BOBST LIBRARY
3 1142 02840 7834

NEW YORK
UNIVERSITY
LIBRARIES

GENERAL UNIVERSITY
LIBRARY

كأنك معي

في طرابلس وتونس

ينبئك

عن احوالهما العامة اسلوبا وصورا وتنسيقا

كأنه الشريط السينمائي الدقيق الرائع

بقلم الأستاذ

محمد بن مسعود

بمدرسة طرابلس الثانوية ومؤلف

تاريخ ليبيا العام

حقوق الطبع والترجمة والنقل والاقتباس محفوظة للمؤلف

١٣٧٢ هـ مدينة طرابلس الغرب (مطبعة ماجي) ١٩٥٣

Ibn Mas'ūd, Muḥammad

/Ka-annaka mā'/

كأنك معي

في طرابلس وتونس

ينبئك

عن احوالهما العامة اسلوبا وصورا وتنسيقا
كأنه الشريط السينمائي الدقيق الرائع

بقلم الأستاذ

محمد بن مسعود

بمدرسة طرابلس الثانوية ومؤلف
تاريخ ليبيا العام

الطبعة الاولى

حقوق الطبع والترجمة والنقل والاقتباس محفوظة للمؤلف

١٣٧٢ هـ مدينة طرابلس الغرب (مطبعة ساجي) ١٩٥٣

Near East
DT
239
.I7
.I3
c.1

مصادر الكتاب

ان مصادر هذا الكتاب، معظمها مستمد من مشاهداتى عيانا، ومن مسموعات اذنى ومن دراساتى الخاصة. لان طرابلس وطنى، وتونس قد زرتها بشخصى، ومن رأيى ان أحسن المعلومات افادة للقارئ، هى ما تكلم فيها الكاتب، عن مشاهداته ومسموعاته ودراساته، كلام توثق ونزاهة وحرية فكر، ولا سيما ما كان منها متعلقا بالحوادث الجارية فى زمن المؤلف او الكاتب، ولسوف يمر بك ما يزيدك عن هذه الامور ايضاحا، ومع هذا فقد كان من بعض ما تصفحته للاستنارة الفكرية، او للتوثق والاعتماد، هى ما ياتى بيانه من المصادر، وقد وجدت ان اكثرها فى الحقيقة بعيدة كل البعد عن الابحاث التى تناولها هذا الكتاب، ولعله باسلوبه وموضوعاته وتنسيقه هو اول اثر فكرى باللغة العربية ذى طابع خاص، ولو كانت صفحاته اصغر واحرفه اكبر لصار مجلدا ضخما.

العدد	اسم الكتاب	مؤلفه او طابعه
١	المؤنس فى اخبار افريقية وتونس	لابن أبى دينار
٢	تقويم النجاح ومرشد الفلاح	محمد نجاح
٣	المفيد السنوى بتونس	محمد المقداد الورتانى
٤	المنتخب المدرسى من الادب التونسى	حسن حسنى عبد الوهاب
٥	المنهل العذب فى تاريخ طرابلس الغرب	أحمد النائب
٦	الرسائل الخمس	للعلامة الجاحظ

العدد	اسم الكتاب	مؤلفه أو طابعه
٧	ضحى الاسلام	أحمد امين
٨	تاريخ ليبيا العام	محمد بن مسعود
٩	مجلتى الجيل الجديد عدد (٥٠) ثم آخر ساعة	دار اخبار اليوم (بالقاهرة)
١٠	العددين ٩٢٢ و ٩٣٦	٧ نوفمبر و ٣ اكتوبر و ١٢ ديسمبر سنة ١٩٥٢
١١	جريدة طرابلس الغرب	عدد (١٣) اكتوبر سنة ١٩٥٢
١٢	جريدة «الليبى»	

الفهرست العام للكتاب

ملاحظات هامة :

تسهيلا على حضرات القراء ، فى مراجعة كل مسالة من هذا الكتاب ، وضعنا الفهرست الاتى بهذا التنسيق المبتكر ، مع الرجاء ان يعتنى بملاحظة ما ياتى :

أولا : ان رقم كل صفحة مقابل تماما جهة اليسار ، لنفس الموضوعات الجانبية ، التى تشتمل عليها الصفحة من الكتاب

وثانيا : ان حرف(س)الواقع تحت رقم اى صفحة ، فانه يرمز للسطر ، والعدد المجانب له فى جدول الموضوعات مباشرة ، هو الترتيب العددى لذاك السطر الذى رمز اليه حرف(س)

ثالثا : الكلمة التى هى بعد عدد السطر وقبل حرف (ص) تدل على السهو المطبعى وحرف (ص) معناه ان ما بعده هوالتصويب للكلمة قبله .

رابعا : بما ان مسافة الفهرست محددة فقد اختصرنا فيه غالبا على اربع نقاط هامة من موضوعات كل صفحة .

خامسا : ان هذا الفهرست يعتبر كقاموس مجمل لمحتويات الكتاب كلها .

ملاحظة شكر :

ولا يسعنى بهذه المناسبة ، الا ان أقدم شكرى وامتنانى الى أولئك الشبان الطرابلسيين وهم : السيد اسماعيل بن سعد ، والسيد محمد سويسى ، والسيد خليفة بن قلاو على ما بذلوه من العناية والمجهودات الشاقة ، فى تصفيف احرف الكتاب ، على الرغم مما فيه من كلمات تافهة ، قد شردت عن التصحيح منا جميعا ، بل أقولها صراحة ان تصحيحه بالنسبة لما نرى من الاخطاء المطبعية ، فى منشورات الصحف او المؤلفات ، التى لها هيئات خاصة للتصحيح ، احترافية خبيرة عالمة ، ليعد بجانبها تصفيف اولئك الشبان جدير بالشكر ، وكنت لا اريد اثباتها لوضوح مفهوماتها الصائبة من معانى الكلام ، ولكن افهام الناس مختلفة ثقافة واطلاعا وسنا ، وفى الحقيقة ان اكثر الكلمات التى اعتبرناها سهوا ، تزايحت احرف بعضها عن وضع الكلمة ، من ضغط الالة الطابعة لها أو لعدم قوة الحروف .

الرحلة وحوادثها

ف (١) ص (١)

رقم ص	موضوعاتها الجانبية	رقم ص	موضوعاتها الجانبية
١	الرحلة - اشخاصها - المسير - نهارنا	٩	خلقه - النفوس الكريمة - حق الامين
٢	مررنا - التمنى - ابن قردان - ام الدئين	س	- ١٦ - الطرابسية ص الطرابلسية
٣	الدروج - عند المساء - مارت - قابس	س	١٨ ابن سلمى ص ابن ابى سلمى
٤	المبيت - اسفاقس - كعربات الصين	١٠	شيخ - المقيم - زيارات - انهاء - طلاب
٥	سوسة - معارك - السيارة - سفح زغوان	١١	مبارأة - تقارب - كلمة تونس
س	- ٢٧ - لم يتجاز ص - لم يتجاوز	١٢	تحقيق - كلمة طرابلس - قطراها
٦	شهامة - مكرها - التفكه بالمنظومات	١٣	افتراق - الساحل - المواصلات - تكوينهما
٧	سيارة - اتضاح - الزيارة - مشاهدات	س	- ١٧ قصرأحمد بصبراتة ص بمصراتة
٨	مولانا الامين - من أوصافه الحميدة	١٤	الشطوط - المغروس - الدقلة - التواتى
س	- ٢٦ - محيص - محيا، بضم الميم وفتح الحاء وتشديد الياء، ومعناه (الوجه)	١٥	جهاتهما الساحلية - ضرب الباب - ريفهما
		س	- ١٩ يفصلا عن بعضهما ص يفصلان
		١٦	صورة لفلاح طرابلسى

ثروتهما الزراعية

ف (٢) ص (١٧)

رقم ص	موضوعاتها الجانبية	رقم ص	موضوعاتها الجانبية
١٧	الزيتون - بتونس - الشملال	٢٤	طريقة اعداده - اشعاره العامية
س	١٧ ماء نقيا ص ماءا	٢٥	مضاره - الزراعة التونسية - الطرابلسية
١٨	زيتون طرابلس - اثره - الطونة		تاخرها عن تونس - محاولة
١٩	سئل فاجاب - نخيل قابس - تاورغا وعينها	٢٦	ترقيتها - مدرسة سيدى المصرى - الخبراء
٢٠	نخيل تاورغا - حصرها - فوائد النخيل		الموفدون - راى زراعى
٢١	اللاقبى الحامض - صنوره - جريده - سعفه	س	- ٢٧ الات ص الالات
٢٢	تناقص النخيل - القصب - البشنة	٢٧	جدارة الفلاح الطرابلسى - ثمرة اجتهاده
٢٣	الكاكاوية - تناولها - الافة المباحة	س	- ٦ اقتصاديو ص اقتصادى
س	- ١٦ يحمر اللوب ص يحمر اللب		

سكانهما واعمالهم

ف (٣) ص (٢٧)

رقم ص	الموضوعات الجانبية	رقم ص	الموضوعات الجانبية
٢٧	نطرون فزان - بحيراته	٣٥	سكان طرابلس - مذهب البلدين
٢٨	صورة لفلاح طرابلسى يحرث ارضه	٣٦	لغتهما - العنصر الاسود - النخاسة
٢٩	فسقات - عماله - المؤلف ووالده	٣٧	الرق - السود فى التاريخ الاسلامى
س	- ١٧- الرى يف ص الرديف	٣٨	جبير - رباح - ذرياب الحيقطان
٣٠	المؤلف - فى سوريا - وصفى - رفعت	س	- ٢١ بالحان اغانية ص اغانيه
٣١	السيدة انيسة - الازهر - المراغى	س	٢٢ - الاندلا ص الاندلس
س	- ١١ منهاجها الاسلامية ص مناهجها		ابن رباح شار - من
٣٢	دار العلوم - اساتذته - تخرجه		شعره البليغ - سبب الالوان
س	- ١١ دام العلوم ص دار		
س	- ١٧ وطوائفه ص وطوائفها	٣٩	البشرية - شدة الحر - الهواء
٣٣	رجوعه لوطنه - عودته لمصر		الساخن - شدة البرد
٣٤	الرجوع الثانى - جالية - سكان تونس	٤٠	الالوان الوسيطة - صبغة الله

حوادثهما التاريخية

رقم ص	ف (٤) تاريخهما قبل العرب	رقم ص	ف (٥) من الاموى للعباسي
٤٠	اصل اجناسهما - حياتهما الاولى	٤٤	عهدهما الاموى - اسباب ثورتهما
س	- ٢٠ كتقدير ص كتقديس		عبد الملك - عقبة - اعماله - نسبته
٤١	حضارتهما القديمة - العهد الفنيقى	٤٥	حروبه الظافرة - استشهاده - زهير
	بناء قرطاجنة - عهدهما الرومانى		انتقامه استشهاده - ثورة الكاهنة
٤٢	رقيهما فيه - سبتيميو - جوليا	٤٦	حسان - تخريب - موسى واعماله
	صورة الامبراطورة جوليا		
	امبراطوريته - عظمته - عهدهما الوندالى	س	٢٠ تغريب المغرب ص تخريب
٤٣	عهدهما البزنطى - تاثرهما بالمسيحية	٤٧	فتح الاندلس ونتائجه - خلفاء موسى
	الفتح العربى - غزوة العبادلة		خوارج المغرب - استقلال طرابلس
س	٢ - يشيب بله ص - يشيب له		عهدهما العباسى

رقم ص	ف (٦) من الاغالبة للاسبان
٤٨	عهدهما الاغلبي - الفاطمي - الزيري
٤٩	بنو خزرون - نكاية الزيريين غزوة العربان - روجير - الموحدون
س	- ٢٢ ملك بنو ص بني
٥٠	قره قوش - ابن غانية - قهرهما

رقم ص	ف (٧) من الاسبان للحلفاء
٥١	الحفصيون - الاسبان - عهدهما التركي مراد - درغوت باشا - الانكشارية -
٥٢	نهاية - الحسين - أحمد - يوسف - زواله
س	١٥ مقاماته ص مقاماته
س	- ١٧ فساقتهما ص فساقتهما
٥٣	الترك - الطليان - فرنسا وتونس

رقم ص	ف (٨) الاستقلال الطرابلسي
٥٤	احتلالات الحلفاء - المساعي الاستقلالية
٥٥	تقريره وتنفيذه - صورة الملك
٥٦	مجلس المندوب الاسمي - النظام الفيدرالي - حكومة وبرلمان ودستور المولود المكبل - تخوف العقلاء
٥٧	ملاحظات كثيرة - الجهاز الاداري عناصره - توظيف غير الاكفاء
س	- ٨ الهعد ص العهد
٥٨	انصاف الحقيقة واجب الولاة - بادرة خير
س	- ٢٧ تاخا ص تاخذ

رقم ص	ف (٩) النضال التونسي
٥٩	الالمان - فرنسا - تباغض الطرفين
٦٠	زيادة - مساعي الملك - المطالب - اصرار المستعمرين - انتهاز الفرص
س	(٣) التعنت ص التعنت
٦١	خطط - زقاق - السفر الخفي
٦٢	من طرابلس للقاهرة - نصائح الطرفين رجوع الحبيب - البروتوكول - شنيق
س	- ١٠ نصيحه ص نصيحة
٦٣	الوزارة - المقيم - فرنسا وشنيق
٦٤	صالح وبدرة - الاقالة - التحديات الدول الاسيوية - ومجلس الامن تحدي فرنسا - تحدي الاسويين
س	- ٢٤ ايديهما ص ايديها
٦٥	الجمعية - انقلابات - حشاد - الليبي
٦٦	الغربيون وفرنسا - بقاء بلا حل

رقم ص	ف (١٠) وصف لمدينة تونس
٦٧	أحوال العواصم - المدينة القديمة
٦٨	الضواحي - ابو سعيد - المدينة الحديثة
س	- ٦ ظاهر اليدى ص اليد
٦٩	الميناء والملاحة - حمام الانف - البلاط الملكي
٧٠	جو المدينة - الحرف - ازياء التوانسة
٧١	ازياء - الصحافة التونسية
س	- ٣ ممتشين ص متمشين
٧٢	الصحافة الطرابلسية - المجتمعات
٧٣	سوقان - صناعات - رقي التوانسة
٧٤	حادثة الرحلة - الجراح عزيز
س	١٦ الى افرت الى أن أفرت

معالم مدينة تونس العشرة

ف (١١)

ص (٧٥)

رقم ص	موضوعاتها الجانبية
٧٥	الصادقية - طلابها واقسامها
٧٦	الغاية من الصادقية - تحقيقها
س	٢٣ اخصائها ص اخصائيا
٧٧	جامع الزيتونة - تاريخه وطلابه
٧٨	داخله وصومعته - كالازهر - الخضر
٧٩	يسروا - المجتهد - مؤلفي السلف
س	٩ ليتفهم منه ص ليتفهم منهم
٨٠	كلية أحمد باشا - تطورها وطلابها
٨١	مكتبة العطارين - مكتبة الاوقاف
س	١ جامعة ص جامعه ، للمعلين ص للمعلمين
٨٢	دار ابن عبد الله - متحف - الزرابى
س	٢٢ الحررية ص الحريرية
٨٣	زرابى طرابلس - نسج الطرابلسيات
س	٢ الفروشات ص المفروشات
٨٤	الحنايا - حالتها الان
س	٢٢ جبل غوان ص جبل زغوان
٨٥	مخزن الرخام - مليانة - باردو
٨٦	اتخاذه متحفا - محتوياته الاثرية
	رسوم التنزيل - تراكيبها الفنية
س	١٦ تزاحت ص تزاحمت

رقم ص	موضوعاتها الجانبية
٨٧	روائعها بصبراتة - الجزء الفوقى
٨٨	التحف الشرقية - المقصورات والابهاء
س	٨ اسرجة ص سروج
٨٩	لسى كارنو - حقيقتها - عمائرها
٩٠	المنظر الجميل - حدائق بطرابلس
س	٢٦ نزة ص نزهة
٩١	معهد الاحياء - كهوف الاحياء
س	٢٥ تهوق ص كهوف
س	٢٦ شضافة ص شفافة
٩٢	مخبر الاسماك - مكتبة الاحياء
س	١٩ لارقابها ص لاقاربها
٩٣	اسماك الهاوى بطرابلس - قرطاجنة
٩٤	شارع لبدة - مسرحها وسوقها
٩٥	صورة رائعة لا طلال لبدة
٩٦	أحيائها الراقية - منشاتها الاجتماعية
س	٢٥ بالتقليات ص بالتقلبات
٩٧	آثار قرطاجنة - تخريبات قرطاجنة
س	٨ لعيشة ص لعليشة ديدون
٩٨	خدمات للاثار والعلم - التحول

ف (١٢) وصف لمدينة طرابلس ص (٩٩)

رقم ص	موضوعاتها الجانبية	رقم ص	موضوعاتها الجانبية
٩٩	التقدير بالاعمال - وضعها الانشائى	١٠٣	الفندقين - القلعة - زمن الترك
١٠٠	مآذنها - مينارها - سيدى الشعاب	س	٢١ تجل بمدافعها ص تجعل بمدافعها
١٠١	المهارى - مطعمه - الودان - لياليه	١٠٤	زمن الطليان - ليتها كبارود
١٠٢	صورة الواجهة من فندق الودان	١٠٥	ركن الولاة - زمنها الحاضر

ف (١٣) المدينتان القديمة والحديثة

رقم ص	موضوعاتها الجانبية	رقم ص	موضوعاتها الجانبية
١٠٥	بابها الرسمى - شارع درغوت	١١٠	المبانى القديمة - سوق الثلاث
١٠٦	سوق الترك - تاريخه سلعه	١١١	سوق الاغذية - مشكلة الاسعار
١٠٧	انواره - عملاؤه - تجاره العرب	١١٢	الدين المعاملة - مدارس ابتدائية
١٠٨	متحف طرابلس - جامع قرجى	س	١٣ بينهم ص بينهم
١٠٩	اهم الجوامع - جامع الناقة	١١٣	تعريفها - مميزاتها - احياؤها
س	٢٥ لدين الفاطمى - ص لدين الله الفاطمى	س	٢٠ وأحيائها بحسب ص احياؤها

ف (١٤) الشوارع الكبرى بمعالمها

رقم ص	موضوعاتها الجانبية	رقم ص	موضوعاتها الجانبية
١١٤	أحياؤها - (الميدان الرئيسى)	س	٢ المتجهة ص المتجه
١١٥	حديقته - بركته - شوارعه - (شارع عمر المختار) - قصر الحكومة	١١٧	امكنة اجتماعية عدة - الحمام الكبريتى - وادى المجنين
س	١٩ متجهة ص متجه		
١١٦	باب الحرية - أحمد النائب - ابن غلبون - مختار حورية	١١٨	(شارع عمرو) - سكة تاجوراء - مدينة العمال - ازمة المساكن

رقم ص	موضوعاتها الجانبية
١١٩	الملجا - (شارع مزران) - المدارس
١٢٠	مكتبات تجارية - جامع مزران رمضان مزران - شارع الزاوية
١٢١	(شارع ٢٤ ديسمبر) - ملاحظات التسمية
س	١٢ علا التسميات ص على
١٢٢	عمارتا الاوقاف - اسماعيل كمال
س	١٦ أحياء ص احياءا
١٢٣	مطبعة ماجى - الحاجة لمطابع عربية
١٢٤	مدرسة الصنائع - ماضيها - أوقافها - رسالتها
س	١ من حزب ساسى ص سياسى
١٢٥	شارع المغاربة - المستشفى الكبير وتاريخه
س	٨ المستاجرين للمهارى ص المستاجرون
١٢٦	تكييراته الايطالية - شارع التيجان
١٢٧	(جادة ادريس) - مظهرها العام
١٢٨	الشباب التجارى - عميد الشباب
س	٢١ بما كان عند ص عنده
١٢٩	الحروب التجارية - الانتصار الساحق
١٣٠	التوجه لصناعة الفضة - تعلمها
١٣١	شركة الفضة - غزو سوقها
١٣٢	البلدية القديمة - نادى الاتحاد
١٣٣	الاحزاب السياسية - مقهى طرابلس
س	٢٦ الراقون مستوى ص الراقين
١٣٤	المقاهى الراقية - فسحة تاريخية
١٣٥	المطاعم العربية - المحاكم المدنية
س	١٧ لجود عائلاتهم ص - لوجود
١٣٦	معبد - حوانيب - (شارع حسونة)
١٣٧	أوبيم سابقا - سوق البنات
س	١١ فراغ واحد ص فراغا واحدا
١٣٨	اكبر كنيسة - شارع ٢١ نوفمبر

رقم ص	موضوعاتها الجانبية
١٣٩	البرلمان الليبى - مجلس الادارة
١٤٠	ملاحظات على البرلمان الليبى
س	١٥ هما مدينتى ب مدينتا
س	١٨ آراء ص آراءا
س	٢١ وليس منهما ص منهما
١٤١	المحاكم الاهلية - الحاجة للاصلاح
١٤٢	قصر الخلد - (قصر بالبو سابقا)
١٤٣	احوال تجهيزاته - حدائقه وأوصافها
١٤٤	حاضره العظيم - (شارع الاستقلال)
س	اجتماعية لانقة ص لائقة
١٤٥	صورة القلعة والعموديين
١٤٦	الفرق المصرية - المسارح المحلية
١٤٧	التمثيل فى طرابلس وتونس
١٤٨	القصر المالى - اغرب حوادثه
١٤٩	الفنادق من الناحية الاقتصادية
١٥٠	الفنادق الشرقية - المجتمع الحسنى
١٥١	الفنادق الحديثة - تمثال الغزالة
س	١٦ - فى الاجتماعية متساوون ص متساوين
١٥٢	مبدأ التعليم الابتدائى والثانوى
١٥٣	المدارس الدينية - النهضة الثقافية
١٥٤	التعليم الوطنى الحر فى المدينة
١٥٥	المدرسة الاسلامية العليا - مناهجها
١٥٦	انصاف تاريخى - مدرسة البوليس
١٥٧	الضواحى - السور الجديد (الكردون)
س	١٧ وصاروا ياخذو ص ياخذون
١٥٨	مظهره الحربى - المنشية (سكرة)
١٥٩	ضواحى متعددة - مظاهر عمرانها
١٦٠	منافسة ريانة - القصيدة البهلولية
س	٣ ان لهما فى ص لهما
س	١٠ طرابلس الغرء ص الغرا

أصل الصور

ملاحظات هامة

محافظة منا على حقوق غيرنا الادبية ، وأمانة فى خدمة الحقائق الثقافية ، فان صور الكتاب المثبتة فى الجدول الاتى ، ماخوذ بعضها لهذا الكتاب عن بطاقات صور لبعض من الفوتوات الشهيرة ،

أولا - فارقام الصور التونسية منها ما هو لفوتو (C.A.P.) كالصور العددية رقم (١٦) و (٢٠) و (٢٤) ولفوتو (MACON) كالصورتين رقم (١٩) و (٢٧) ولفوتو (DEWITTE) كالصورة (٤) .

ثانيا - ما كان منها لمدينة طرابلس فمنها ما أصلها ماخوذ عن بطاقات صور لفوتو (جناح) كصور الصفحات رقم (٨٠) و (١٠٠) و ١١٦) و (١٢٧) ولفوتو (أولا) كصور الصفحات رقم (١٠٤) و (١٩٠) و (١١٤)

ثالثا - وبعضها كليشياتها مستعارة من مطبعة ماجى ، ومنها ما هو للمستر جولستون صاحب جريدة (صندای تبل) بأذنه فله منى الشكر

رابعا - ان أكثر كليشياته مستجدة على نفقات طبع الكتاب ومهما دفع ثمنا لنسخه فلا تزال قيمة اتعابه وحقيقته الفنية والثقافية تستأهل اكثر

خامسا - محذور قانونا بان يحاول اى شخص ، نسخ أية صورة لتلك الفوتوات الخاصة بشركاتها واصحابها أو بهذا الكتاب قاصدا بيعها مستقلة او استعمالها فى أى غرض آخر وكل نسخة خالية من ختم المؤلف تعتبر مسروقة .

سادسا - تشجيعا لمواهب الشباب ، فقد كتب عنوان الغلاف (كانك معى فى طرابلس وتونس) السيد محمود بن على الخوجة ، المتخرج من مدرسة طرابلس الثانوية

جدول لصور الكتاب

العدد	بيان الصورة	رقم ص	العدد	بيان الصورة	رقم ص
١	غرف الدروج بام الدنين	٣	٢٢	ابسطة من زرابى طرابلسى	٨٤
٢	فريق الطلبة بعين دراهم	٨	٢٣	مقصورة فى باردو	٨٨
٣	صورة فلاح وبئر سانية	١٦	٢٤	قبة المنظر الجميل	٩٠
٤	نخيل قابس وعين مائها	٢٠	٢٥	أطلال لبدة	٩٥
٥	تاورغيان يعملان قفافا	٢١	٢٦	من أطلال قرطاجنة	٩٧
٦	متنزهون فى بستان	٢٤	٢٧	ميناء طرابلس	١٠٠
٧	طرابلسى يحرث الارض	٢٨	٢٨	واجهة فندق الودان	١٠٢
٨	المؤلف فى شبابه	٣٣	٢٩	جانب القلعة الغربى	١٠٤
٩	الامبراطورة جوليا	٤٢	٣٠	ناحية للمدينة القديمة	١٠٧
١٠	منظر عمومى للقيروان	٤٥	٣١	القوس ومأذنة قورجى	٢٠٩
١١	فرسان طرابلسيون	٥٣	٣٢	ميدان الشهداء وبركته	١١٤
١٢	ملك ليبيا المعظم	٥٥	٣٣	باب الحرية	١١٦
١٣	ملك تونس المعظم	٥٩	٣٤	حفلة المستشفى التركى	١٢٦
١٤	الحبيب ابورقيبه	٦٢	٣٥	جانب من شارع ادريس	١٢٧
١٥	الزعيم فرحات حشاد	٦٦	٣٦	أكبر كنيسة بطرابلس	١٣٨
١٦	جول فيرى والكنيسة	٦٩	٣٧	قصر الخلد	١٤٣
١٧	أمرتان تونسيتان	٧١	٣٨	القلعة والعمودان	١٤٥
١٨	ميدان باب سويقة	٧٢	٣٩	الفندق الكبير	١٤٩
١٩	الكلية الصادقية	٧٦	٤٠	جامع ومدرسته	١٥٢
٢٠	تونس وصومعة الزيتونة	٧٧	٤١	فصل من مدرسة طرابلسية	١٥٤
٢١	جامع أحمد القرمانلى بطرابلس	٧٠	٤٢	خريطة تونس وطرابلس	

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الكتاب

حمدا لمن علم الانسان ما لم يعلم ، وصلاة وسلاما على رسوله الصادق الافهم وبعد :

فان هذا الكتاب ، سيريك عن طرابلس خاصة ثم تونس ، أنفس مجمل من احوالهما ، الجغرافية والاقتصادية والعمرانية ، وما لهما من تاريخ غابر وحاضر ، وما فيهما من معالم اثرية، ومنشآت مدنية ، وحياة اجتماعية، وما يتعلق بهذه الابحاث أو ببعضها ، من مقدمات أو أسباب او نتائج .

ولم يكن لاحد على فيه اى فضل ، لا فى آرائه وابحاثه ، ولا فى مشاركته اياى ، بتحمل اعبائه ونفقات طبعه ، وحسبى منه مغانم ادبية ، أن أكون به قد ساهمت فى خدمة وطنى ، مع أولئك العاملين المخلصين ، من رجالات العلم والاقتصاد والزراعة والاعمال اليدوية الذين هم عماد البلاد ، وعلى نشاطهم او فتورهم تسعد اوتشقى ، بل حسبى ان اخرج من مغامرات تاليفه وطبعه ، وأنا موفور الكرامة وحائز به رضاء وامتنان اخوانى ، وغير خاسر فيه لاوقاتى ومالى .

ومن يحسب ان صناعة القلم ، أو التاليف ، أو الاتجار ببيع الكتب ، هى مصدر غنى ، او غير جالبة لاصحابها الخسائر والمحن ، فما عليه الا أن يجرب حظه فى واحدة منها بما يقدر عليه .

ولو أردت بهذا الكتاب عرض الدنيا ، لكان فى وضع وأسلوب آخرين ، أو لجمعت به قبل طبعه الاموال الطائلة ممن أشاد بمساعيهم الوطنية ، وأنا مرتاح الضمير ، وهم بذلك منى مغتبطون ،

كما أنه خدم مصالح رسمية او فردية بالمجان ، ربما كانت ستصرف او هى صارفة الان فى الدعاية اليها المبالغ الجسيمة ، بجدوى أو من غير جدوى ، ذلك ان الحقائق فى كل زمان ومكان لا تعدم انصارا لها ، ميسرين لخدمتها بما تنشأوا عليه ، من محبة

الصدق وحرية الضمير واستقلال الفكر ، وصراحة فى القول ونزاهة فى المقاصد ، وهذه الاحوال فى بعض النفوس سجايا ، متوارثة من دماء بعيدة ، او مكتسبة عن غيرها من ايام الصغر ، فى بيئة خاصة او مجتمعات عامة ، ولا يعترف بوجودها عند فريق من الناس الا من كان على صفة أولئك الميسرين .

ولقد حرصت فى هذا الكتاب جد الحرص ، على ألا اذكر احدا او بلدا بما يكره ، وتباعدت فيه عن كل ما قد يوجب ملامة او استياءا ، لتكون غايته هى ، التثقيف الحميد ، والاتعاظ المفيد ، لا نبش الدفائن وايثارة الضغائن .

ولذلك قبل ان أعرضه للقارئين الكرام ، صرفت فيه مدة طويلة ، وأنا اسود وأبيض ، وأقدم وأؤخر ، وأغربل الالفاظ وأصفى المعانى ، وأزيد فى الموضوعات مرة ، او أرجع اليها فانقص منها مرة اخرى ، حتى استقر رأيى اخيرا ، على ما هو معروض بين يديك ، فاذا سرك منه عملى ، فذاك من فضل ربى ، والا فقد اجتهدت واخلصت ، وارجو العفو مما قد أكون فيه أسات او اخطأت ، ومن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره ، والحمد لله اولا وآخرا .

المؤلف

ملاحظة : لظروف مالية واحتياطية لم استطع ان اطبع من الكتاب سوى اقل من الف نسخة ، ولئن نفذت سراعا لتسديد فاتورة الطبع يعتبر هذا من اكبر المظاهر على الوعى الثقافى الطرابلسى راجع ص (٦٧) و (١٢٠)

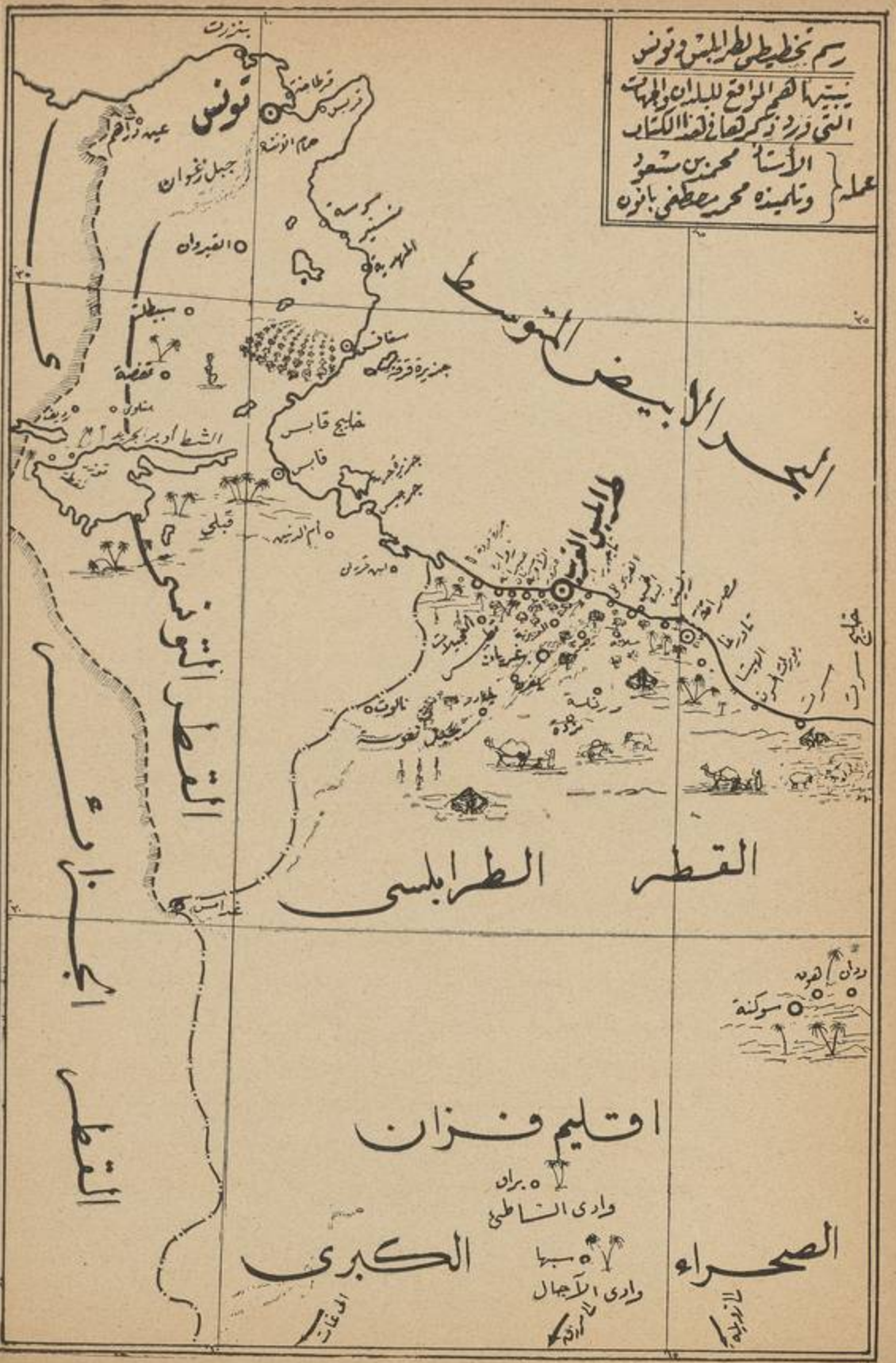
رسم تخطيطي لطرابلس وتونس
بيبنها الفرق الواقع للبلدان والجهات
التي ورد ذكرها في قصة الكتاب
عمله الأستاذ محمد بن مسعود
وتلميذه محمد مصطفى بانون
تونس
بنزرت
قرطاجنة
عين زاغوان
جبل زغوان
القيروان
سبيطلة
قفصة
منارة
الشط أو بحر الشط
قابس
خليج قابس
جزيرة قرقنة
جربة
قبلي
أم الذنبة
البحر الأبيض المتوسط
القطر التونسي
القطر الطرابلسي
القطر الجزائري
اقليم فزان
وادي الناطرون
الصحراء الكبرى
وادي الآجال

الرحلة وحوادثها

الرحلة

فى أول فبراير سنة ١٩٤٩ ، اتفق مدير المدرسة الثانوية ، وكان وقتئذ غير طرابلسى ، ولفيف من أساتذتها أنا أحدهم ، وبعض من طلابها ، اتفق هؤلاء على أن نقضى الاجازة المعتادة من منتصف كل سنة ، فى رحلة ثقافية الى تونس ، ونظرا لاهميتها ولكونها الاولى من نوعها ، فقد صرفنا طيلة فبراير بالاستعداد لها ، وفى صباح الخميس الواقع فى اليوم الثانى من مارس ، وهو تاريخ ابتداء الاجازة والرحلة ، تهيأنا أمام المدرسة جميعا ، وكان عددنا خمسة وثلاثين شخصا ، وهم المدير وتبعة أساتذة وكاتب المدرسة ، وسيدتان مصريتان زوجتان لاستاذين من الرحلة ، وكان لاحداهما طفل فى الثالثة من عمره ، وأربعة وعشرون طالبا ، وجاءت السيارة المستأجرة لنا ذهابا وايابا ، فاستقل كل واحد بمجلسه منها ، وحشى ما تحت المقاعد بسلات الزاد وقلال الماء ، وعلى ظهرها وضعت الحقائب وما تبقى من اللوازم السفرية ، وما كاد المحرك يؤذن اشتعاله وصخيبه بالمسير ، حتى تسارع المشيعون الى نوافذ السيارة ، فتبادلنا معهم المصافحة وسلام التوديع ، واتجهت بنا نحو الغرب مجتازة شوارع المدينة على مهل ، وعند الضواحى صارت تنهب بالجرى مسافات الارض كانها تتبارى مع غيرها فى سباق للفوز ، وكان نهارنا ذاك والذى تلاه ، حقا من أيام الربيع النادرة ، القائل فيها شاعر الاولين

اشخاصها

المسير

نهارنا

تمتع من شميم عرار نجد .·. فما بعد العشية من عرار

والعرار اسم نبات طيب الرائحة يكثر فى جزيرة العرب ومنها اقليم نجد ، ، فعلى جوانب الطريق من طرابلس الى تونس ، قد أصابنا نحن من مناظر هذا الفصل البهيج الضحوك ، ما أصاب من قبل شاعر نجد فى أوقات نزهته بالربيع ، فقد تمتعنا مثله بشميم العرار والازهار ، وبتغريد البلابل والاطيار ، وبالجو الصحو والريح الوسنان ، وتمتعنا كثيرا بالنظر الى بقاع ومروج فيحاء ، تناثرت فيها

وسرنا الغدران كالبحيرات ، واخرجت من الريحان والحشائش اصنافا والوانا ، وكنا احيانا نطوى اراضى ليس فيها غير النبات الصحروى أو برك من المستنقعات والاسباخ ، أونجتاز سهولا وأودية ، أو نعرج سفوحا وتلالا ، وكنا احيانا نمر بحقول خضر وزارع نامية ، وعلى حواشيها وبوسطها اغنام ترتع وصبية تلعب ،

التمنى وشاهدنا قرى جميلة ، قد أندست عنا بين الاشجار ، كما تندس الحسناء الخجول عن الانظار ، تمتعنا وشاهدنا وسرنا ، بكل ما يشرح القلب ويأسر العين ويفرح الحزين ، حتى تمنينا ان تكون أعمارنا كلها مصروفة الى نزهة الربيع الباسم وأريجه العطر الفواح ، غير أنه ما كل ما يتمنى المرء يدركه ، وما بعد العشية من عرار

ابن قردان ووصلنا ظهرا الى (ابن قردان) ، وهى أول قرية من تونس تجاور أراضيها بلدة زواره الطرابلسية ، وابن قردان ليس فيها ما يستحق الذكر سوى جامعها الكبير بالنسبة الى جرم القرية ، وبينما كانت ادارة الجمرك تفحص جوازاتنا واستعتنا ، ذهبنا الى مطعم قريب لنتناول فيه الغذاء مما كنا أتينا به ، وتبريرا لجلوسنا فيه طلبنا ان تذكر لنا اصناف الاطعمة ، وبعد رؤيتها رأى العين ، لم نجد ما يروق أكله سوى العضام المسلوقة ، وقبل ان تضحك ملئنا من كلمة (عندنا عضام مسلوقة) بلفظ الضاد هكذا ، فلا تنسى ان العضام بلهجة ابناء البلد التونسة معناها البيض ،

أم الدنين أو الدحى باللهجة الطرابلسية الدارجة ، وبعد العصر دخلنا (أم الدنين) ، وهى بلدة مشيدة على طرفى واد ، وتلحظ من ابنيتها العربية غرفا بعضها فوق بعض ، وأبوابها على واجهة واحدة يرقى اليها بسلالم حجرية ، ويقال لهذه الغرف عندهم

الدروج (الدروج) ، كان اصحابها بدوا يسكنونها شتاء ، ويرحلون عنها صيفا الى البر الفسيح مقيمين فيه تحت الخيام ، والدروج الان بعضها مستعمل كخلاو لفريق من الطلاب الغرباء عن البلدة ، ممن يتلقون فيها العلم بفرع الجامع الزيتونى ههنا .

وأم الدنين أظهر عمرانا من ابن قردان واكبر مساحة ، وهى مركز

الفحص عسكرى هام لعموم الجنوب التونسى المجاور لطرابلس وفزان ، وتفحص فيها القيادة الفرنسية الجوازات لمن هم قادمون من الشرق بكل دقة وارتياب

غرف الدروج (بام الدنين)

وأمام مكتب للبريد والبرق ، وقفت سيارتنا تنتظر الاذن لها بالسفر ، نحو ساعتين ، ومن غير ان ينزل منها احد الا المدير وبعض من الاساتذة ، وتقع المبانى الحكومية والجديدة الى الجنوب الغربى من البلدة ، وفى هذه الناحية (أوتيل) أنيق

سافيها

ومنازل للفرنسيين على أحدث طراز ،وحديقة عامة بها شجر ظليل ، وتلحظ لافتة خشبية فوق عامود قصير ، عليها بالفرنسية اشارات وأسهم ، تبين اتجاهات الطرق الى كل من طرابلس وغدامس وتونس ، وقريبا من المساء سمح لنا بالمضى الى تونس ، وأخذ طريقنا فى الصعود التدريجى ، وكانت تبدو لنا جهة الغرب ، جبال شامخة داكنة ، يثير منظرها فى النفس انقباضا ورهبة ، ومررنا بجبل يشبه الرابية قيل اسمه مارت ، وعنده اقام رومل خط دفاعه ، ليصد به الانجليز الزاحفين اليه من ليبيا ، وتقاربت الشمس للمغيب ناشرة فى الجو شعاعا احمر مصفرا ، وجاء من خلفنا الليل يسعى بظلامه الدامس ، فاختفت سراعا معالم ام الدنين بما فيها من جبال وأراض ومغروسات تافهة ، وقبيل العشاء أو معه ، ظهرت أنوار قابس وفى هذا الوقت وصلنا اليها ، وهى مدينة يزريها ان تقاس بام الدنين فى أى مظهر اجتماعى ، وقد يكون هذا الرأى منا فيه مبالغة ، ولكننا هكذا تصورناها لاول نظرة خاطفة ، وقامت مبانيها الاولى جهة البحر، وانشئت الجديدة الى الغرب منها ، وحاولنا ان نبيت كلنا فى أحسن فنادقها ، فاخبرنا بانه

عند المساء

مارت

قابس

المبيت

المبيت

مزدحم وليس فيه اسرة كافية لعددنا ولهذا نمنا ، فى غيره من الدرجة الوسطى متوزعين على فندقين ، وكان حظ الفريق الذى أنا معه ، فى محل ذى طبقة أرضية ، تقع أمامه حديقة عامة منفصل عنها بالشارع الرئيسى وفى وسط الحديقة تمثال لشخصية فرنسية ، وفى الصباح المبكر مع شروق الشمس ، رأينا فى الناحية الغربية من الحديقة ، سوقا لبيع الخضروات والفواكه بالجملة ، كان ياتى اليه الفلاحون محملين خضرواتهم على الحمير ، وعلى رقابهم ورؤسهم كوفيات بيض ، كاكثر فلاحى الشواطئ التونسية ، وأهالى الصعيد بوادى النيل ، ومدينة قابس ذات رطوبة شديدة ، ظهر أثرها بجدران منازلها الارضية ، وفيها خط حديدى ومحط صغير للطيران التجارى ، وفيها بساتين ونخل كثير ، وعين جارية تاتيها القرويات ، فيملأن منها الجرار ويغسلن على ضفافها الثياب ، ودخلنا مدينة اسفاقس ضحى ، انها ثانى المدن الاقتصادية الهامة بتونس ، وتشبه مدينة دمنهور المصرية وبلدتى زوارة ومصراتة الطرابلسيتين ، فى أن تجارتها وأعمالها غالبا بايدى ابنائها ، ولها ميناء قل ان يخلو من رسو السفن الكبيرة عليه ، وهى شهيرة بغابات الزيتون ومعاصره الحديثة ، والمدينة القديمة محاطة بسور اثرى عظيم ، ومنازلها وطرقاتها الملتوية ذات طابع شرقى تماما ، وأما اسفاقس الحديثة فهى قائمة ما بين السور والميناء ، وفيها عمائر كبيرة بعضها يتالف من ثلاث طبقات أو أكثر ، وشوارع فسيحة معبدة بالقار لها ميدان رئيسى تتوسطه حديقة ، ويستدل على رواج المعيشة فيها ، بما يرى من وفرة سكانها وامتلاء المتاجر بالاشياء والناس ، والامر اللافت لانظار الغرباء عنها ، هو عربات صغيرة لراكب واحد يجرها شخص منفرد ، ويتجول بمن فيها خلال المدينة الحديثة ، على النمط المعروف عن امثالها فى الهند والصين ، وأخبرنا فاضل من أهل المدينة ، ان هذا النوع من العربات لاوجود له فى غير اسفاقس ، وقد نجم عن كثرة البطالة التى جاءت بعد الحرب ولكن البلدية قررت الغاءه وسينفذ الامر بهذا فى زمن قريب ، وفى سفاقس منتزهات عامة ومطاعم ومقاهى محترمة ، وفى الساعة الثالثة بعد الزوال دخلنا مدينة سوسة ، أنها اقل من اسفاقس فى الكبر والعمران ، وفى الغنى وفخامة المبانى ، ومثل اسفاقس لها قلعة وسور أثرى يشتمل على

اسفاقس

كعربات الصين

المدينة القديمة ، وهذه الجهة طرف البحر ، والى الغرب منها تقع الاحياء الجديدة وهنا تغذينا في مطعم نظيف ماكولات ساخنة لذيذة ، تتالف من حساء شهي ، وخضروات باللحم ، وسمك طازج ، ومحليات وفواكه وقهوة ، ولم نذق فيه لعضام ابن قردان طعما ، ونادتنا صفارة السيارة أن عجلوا ، اذ بقينا مستريحين في المطعم وفي التفرج على مظاهر المدينة ، أزيد من الوقت المعين ، فتبادرنا اليها ثم راحت بنا تعدو ، وبعد ساعتين تقريبا من مغادرتنا سوسة ، أذاب حسن المناخ ما كان في البطون ، وفتح شهيتنا للاكل ، فسطا افراد على ما بقي مدخرا عند غيرهم من زاد في القفاف والسلال ، بحيل مريبة فكرية ، وقام آخرون ينتزعون الاقيمات من ايدي اصحابها ، وبسبب ذلك نشبت بيننا معارك بطونية حامية ، تكاثرفيها غص الحلاقيم والاتخام ، حتى صارت شربة الماء تسريحا للقمة اعز من البنزين عند الالمان في معركة العلمين ، وانتهز ذاك الطفل انشغال أبيه عنه بحديث طويل مع جاره ، وغفوة أمه بنعاس خفيف ، فوقف وراء الكرسي الذي قدامه ، يقضم باسنانه الحادة الخيوط السوداء ، من طربوش احد الاساتذة ، مدفوعا بما في نفوس الاطفال ، من غريزة الافساد والتخريب ، الى ان جعل اطرافها كجناح الطائر المنتوف ، ولما انكشف ما عمل ورآنا نضحك منه ، أخذ هو يضحك مثلنا ، ضحك الطفولة البريئة ، ويصفق براحتيه الصغيرتين سرورا وطربا ، ووبخه والده على ما فعل ، فاخفى رأسه بصدر أمه وبكى ، ثم تحول البكاء الى نحيب ، وكنا نمني انفسنا بالوصول الى مدينة تونس مع العصر او قبل المساء ، غير ان الامور جرت بما خيب فالنا ، فلم نتجاوز سوسة الا شوطا قصيرا ، حتى ظهرت على سيارتنا دلائل الاعياء والفتور ، وكانت هي في منتصف حياتها ، اي لا هي جديدة صرفة ولا هي قديمة تالفة ، وسائقها فرنسي مستعرب اسرائيلي الديانة ، ، وكان مهتما بنفسه أكثر من اهتمامه بتفقد آلاتها ولوازمها ، فاخذت تمشي مسافات بطيئة ومسافات تسرع من غير نشاط ، ومسافات تتعثر كانها متقف ، وبقيت على هذه الاحوال الى ان ادركنا المغيب في السفوح الغربية اجبل زغوان ، وهنا توقفت عن المسير وقوفا تاما ، وبينما كان السائق يعالج من تحتها اصلاحها ، لحقت بنا سيارة خاصة أنيقة ، فيها شابان لم يتجاز سنهما العشرين ، وكان

سوسة

معارك

اسنان حادة

السيارة والسائق

بسفح زغوان

بالزى الاوروبى على آخر طراز ، ومن أوجه أبناء مدينة تونس وأثريائها ، ووالد احدهما من كبار القضاة المدنيين ، وكانا راجعين من زيارة القيروان ، البلدة المباركة عند التونسية جميعا ، فتحدثنا معنا فى بادئ الامر بالفرنسية عن سبب الوقوف ، ولما تم بيننا التعارف وادركا سر وقوفنا ، انطلق لسانهما بالعربية وبالغا فى الترحاب بنا ، واظهرا لمساعدتنا كل شهامة وظرف ، وكانت حالة السيارة ساعتئذ فى حكم الميئوس من قدرتها على ايصالنا ، فاخذا معهما المدير الى مدينة تونس ، ليبعث لنا منها سيارة اخرى ، وتركونا وراءهم بين مقيم فى جوفها ، ومتمش أو جالس على الارض ، وكان السائق ما برح يحاول على نور الثقاب والقداحات ، أن يهتدى الى محل خللها ، وكانها الخبيثة خافت بقدوم ضرتها من مدينة تونس ، ان تبقى مكانها فى الخلاء والليل المظلم ، فما كادت سيارة الشابين تغيب عن أبصارنا ، حتى كشفت للسائق عن سر وقوفها ، واذا هى حين انجز اصلاحها ، محركها يشتغل داويا بصوت عال ، كانه محرك طائرة جبارة ، وقال السائق للنازلين هيا اركبوا ، ومضت بنا على أثر الذين سبقونا ، ولكن على غير نشاطها من قبل ، ومعنى هذا أنها مصممة على مكر آخر ستنفذه فى الوقت الذى تريده ، وظهر لنا فى كبد السماء بهرة واسعة لضوء عظيم ، كانها بقوة انوارها فجر الصباح ، وبشرنا السائق بانها اضواء المدينة الخضراء ، وقال نحن الان فى حمام الانف ، وقبل ان ينهى كلماته المفرحة ، نفذت الغادرة مكرها الثانى ، فانقطع حسها فجأة ووقفت فى منتصف الطريق من غير انذار سابق ، وأخرت بمكرها على هذا الشكل ، سبل المواصلات شمالا وجنوبا ، للمشاة وراكبى السيارات والدراجات وتزاحم من حولها المارة ، مستفهمين الحادثة واسبابها ، ظانين وقوع أمر خطير واستغربوا ونحن فيها من لهجات تخاطبنا ، فتساءلوا عن جنسنا ومقدمنا ، ومذهبنا ، الى أن وجد المستعجل منهم لنفسه مخرجا فمضى نحو مكانه المقصود ، ومل المتفرجون فانصرفوا عنا فرادا ومثنى وثلاثا ثم جملة ، وقال واحد منا : ما هذا الغدر أيتها الخبيثة ؟ ! وقال آخر آه يا ليتنى بقيت فى طرابلس ، وتصايح الطلبة فى وجه السائق بالفاظ غاضبة محترمة ، وأنبوه لخبيثه فى سيارة لا تقوى على السفر الطويل ، ولئن كانت منظومات النحو عادة ثقيلة

شهامة الشابين

مكرها الاول

مكرها الثانى

التفكه بالمنظومات

على الذاكرة والاذان ، ففي هذا المأزق الحرج استعملت باستمع ترفيه للخواطر الثائرة ، فخاطب استاذ نحوى الجماعة قائلا : اتصفوها يا ناس ، ألم تعلموا أنه ، «لكن من التطويل كلت الهمم ، فصار فيه الاقتصار ملتزم» ، ورد عليه متفكه آخر ، فوقفت بنا هنا لستريح ، وهي تئن من محرك جريح ، واذا الافواه تنبعث بالضحك المتواصل ، وانشرحت بما سمعت النفوس ، وانجلى عنها التذمر والغضب ، وبينما نحن على هذا الحال ، بين السآمة والقلق ، جاءتنا سيارة فخمة من نوع بلمن ، يصحبها المدير وموظفون كبار من المعارف التونسية ، وهكذا دخلنا مدينة تونس الباهرة ، لا ظهرا ولا عصرا ولا مغربا او عشاء ، بل دخلناها قريبا من منتصف الليل ، وبعضنا لم تغمض له عين الى الصباح ، على أنه من المحتمل ان تكون تلك الوقفات وزمن الوصول ، بتدبير خاص من السائق أو غيره ، لمارب مقصود ، أما سيارتنا الماكرة حقيقة او المتهمة بالمكر ظلما ، فقد دخلت وراءنا تجرها سيارة من ذوات النقل التجارى ، واتضح لنا فيما بعد ان رحلتنا اعتبرت رسميا ، نوعا من تبادل الزيارات الثقافية بين البلدين ، تونس وطرابلس ، فاخذ الطلاب الى مدرسة جديدة داخليه على أجمل وافخم بناء ، وأخذت السيدتان الى دار المعلمات ، ونزلنا نحن الاساتذة مع المدير وكاتبه فى كلية الصادقية العظيمة ، وأول ما استرعى انتباهنا فى هذ الليلة من مدينة تونس هو تراموا الجميل ، وسياراتها العامة الانيقة واتساع مبانيها ، وتكوينها الطبيعى ، وازدحامها بالسكان ، وانتشار اللغة الفرنسية فيها كالايطالية بمدينة طرابلس ، وفيما عدا ذلك ففى مدينة طرابلس منه الشبه الكثير ، واستمر وجودنا بالقطر التونسى اسبوعين ، داخلا فيهما ايام الذهاب والاياب ، ولما ظفرنا به فى أثناء هذه المدة ، من المعلومات الثمينة ، ومن الحفلات والتكريم ، ومن التجوال الكثير بوسائل النقل الالى ، بسبب ذلك كله ، صرنا كاننا أقمنا بتلك الديار سنينا وأشهرا ، ولقد تفرجنا ورأينا وتحصلنا فى ذينك الاسبوعين ، على ما لم يتح الا لاناس قلائل من أمثالنا ، ففى خارج العاصمة امتدت أسفارنا الدراسية غربا الى عين دارهم الكائنة على حدود الجزائر ، وهناك من مناظر الطبيعة الجبلية ، ومن اشجار الفلين الكثيرة ، ومن اخضرار السهول والبطاح ، ما تحسب نفسك معه مريضا بريف سويسرا أو أسبانيا ، وترى فى أحد الجبال القريبة من العين ، العمل

سيارة فخمة

اتضاح

مدة الزيارة

مشاهداتنا

قائمـا ، باحداث نفـق لجـر مياهـهـا الى مـدينـة تونـس ، اذ ينبوعهـا نهـر عـذب غزيـر ، وعلى ضفـاف مجراها اخذ طلابنا صورة تذكرية لهم ، وهي المثبتة في هـذه الصفحـة ، وامتدت اسفارنا جنوبا الى القيروان ، ومن اروع ما في القيـروان من الآثار بركـة بني الاغلب خارج المدينـة جهـة تونس ، وجامع عقبـة الكبيـر ، وضريح سيدى ابى زمعة البلوى ، وقبر الحفيدة ، وامتياز كلمانها المعروفة بالزرابي بروعة الحيـاكـة ، وسنذكـر عن هذه الزرابي كلمـة عند التحدث عن دارا بن عبد الله ، ورتبت لنـا المعـارف التونسيـة نظام الارتحال شمالا ، لزيارة بنزرت والتفرج على ميناهـا الطبيعـى ، وما في قاعدتـه من السفـن الحربيـة ، ولكنـه لاسباب خاصة بنا نحـن لم نذهب اليهـا ، وأسفنا لضيـاع هذه الفرصة النـادرة منا كل الاسـف ، وحظينا بالمثـول بيـن يـدى مـولانـا ملك تـونـس المعظـم ، محمـد الاميـن ، اطـال الله فـى عمـره ، ووفقـه بكل مسعى لخير وطنـه ، زرنـاه فـى قصره الملكى بحمام الانف ، وحين صرنا قبالته في بهوه العظيم ، كان جالسا وهـو متجه نحو مدينة تونس ، قرب نافذة فيحـاء عاليـة ، تظهر منها المزارع والبطاح السندسية الى ابعد مسافة ، وبجانبـه منضدة مرتفعـة لوسائل المطالعة ، وكان مرتديا بذلة رمادية وطربوشا سمحا ونظـارة ذهبية ، فرأيناه بهذا الزى نموذجا رائعـا ، ان شاء ان يتعـرف الملبس الوجيـه ، لاشخاص الملوك العظام ، وهـو ذو محيـا ابيض مشـرق ، ولحيتـه تخـال شعرهـا كتلة من الماس المضيء ، ينـم عـن

مولانا الامين

من أوصافه الحميدة

فريق من طلابنا على ضفاف عين دراهم

قوة الارادة والحزم ، واكتمال الرجولة والنشاط ، طويل النجاد وافر الصحة ، وتنازل فقام مرحبا بنا واذا صوته خلق ليسمع ، وبشاشته هى من أب لابنائه ، وتلائم الجمع يده الكريمة فى اللقاء والانقضاء ، ويوم جاء دور المؤلف لهذا الكتاب ، خصه بالتفات سام دون الاخرين ، لا يظفر به هنالك الا الحائزون منه بالقبول الافخر ، فقد منحه ان يلثم راحته النقية بدلا من ظاهر اليد ، وكان عند استقباله يربت بالاخرى على كتفه وهو يقول مرحبا بابنى مرحبا بابنى ، وما أكرم نفوس سادتى التوانسة وابنائى الطلبة ، الذين كانوا فى هذا الحضور العالى ، ما أكرم نفوسهم الطاهرة ، فقد تلافتوا فرحين مشرقى الوجوه ، وابتسامات الغبطة تغمر شفاههم ، كأن كل واحد منهم هو صاحب تلك الحظوة الخالدة ، وكادت عيناى من فرط ما تناولنى به جلالته من التلطف ، أن تفيض بالدمع ، دمع الذكريات لما كنا نسمع عن ملوكنا الاولين وخلفائنا السابقين ، من تقدير خدمة العلم ومهذبى الانفس ، حتى رأيته رأى العين فى شخص مولاى الهمام ، على أن ما نالنى فى هذا المثول العزيز ، راجع فضله الى تحاور قلبى مع اخوانهم فى الصادقية ، والى رجالات العلم التونسيين الذين تعرفت بهم ولم أكن بجانبهم شيئا

من خلقه السامى

النفوس الكريمة

والى مواطنينا من ابناء الجاليات الطرابلسية ، فقد أثنوا على جميعا بما فطروا عليه من خلق نزيه . ومحبة فى الاسلام والعروبة وحدهما ، ولانهم جميعا ممن يعجبهم قول زهير بن سلمى (لسان الفتى نصف ونصف فؤاده : فلم يبق الا صورة اللحم والدم) . وما كنت أريد التنويه بهذا ولكنه من حق مولانا الامين أن انشره عظة للقارئين ، وقلادة شرف لاخوانى الطرابلسيين . اذ بهم نلت ذاك الفخار ، وعلى اسمهم أكرمت فى تلك الديار ، بل لولا اعتزازى بالله وحده وبمواطنى الطرابلسيين كلهم من بعده ، لما أخرجت ما اخرجت من مؤلفات ، هى مع قلة شأنها اسهرت ليلى وأشغلت تفكيرى ، ومن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره ، وماذا ترانى قائلا بهذه المناسبة ، عن مولانا الامين ، انى عاجز أن أجد من نفسى ما يقال عن شخصه العظيم ، انى مردد عنه ما قاله ذاك الشاعر الخالد من بيت قصيده :

من حق الامين

عذبت مدادحه بافواه الورى . . . فثناؤه يتلى بكل مكان

فلأشملن خلال كل قبيلة . . . نشرا لذكرك طيب النسمان

شيخ الزيتونة

وفى مدينة تونس زرنا وجالسنا العلامة شيخ الجامع الزيتونى، سيدى بن عاشور فاصابنا من توجيهاته ما ملأ افئدتنا احتراما لفضيلته ، ودعانا فخامة

حفلة المقيم

المقيم الفرنسى العام الى قصره الرسمى ، فلبينا الطلب ، وأقام لنا حفلة شاى حاتمية بمشروباتها المباحة ، ومحلياتها اللذيذة الفاخرة ، وقد جمعت ما فى تونس من علية القوم الحكوميين ، وبعضا من كبار الفرنسيين ، ولم يحضرها سوى الاساتذة والمدير والسيدتين ، واستقبلنا هو والمدام عقيلته ، بمصافحة حارة

شخصيته

وبشاشة مؤدبة ، دلتا على أنهما خير من يمثلان الروح الشعبية الفرنسية، التى لا صلة لها بالنوازع الاخرى ، وكان المقيم حينئذ شابا ناهز الثلاثين ، ذا لون أبيض شابته سمرة الشمس كثيرا ، وأخبرنا من غيره انه كان فى اثناء الحرب العالمية الثانية ، من أكابر رجالات المقاومة للالمان ، بل لعله كان من

زيارات وحفلات

زعمائها الافذاذ ، وزرنا حضرات الوزراء التوانسة فى مكاتبهم ، وأقامت لنا جميعا الكلية الصادقية فى احدى الليالى ، حفلة تعارف فى مسرحها الكبير ، دعت اليها خريجيها القدامى والجدد ، ومثلت فيها رواية من التاريخ الاسلامى ، حازت كل الهتاف المتصل ، والثناء الجميل العطر ، وتنافست الهيئات الوطنية على اختلاف نزعاتها ، بالحفاوة البالغة بنا وتكريمنا ، الى أن أرهقتنا وأخجلتنا تلبية الحفلات والدعوات، وكان من اروعها هى حفلات نادى خريجى الصادقية بنهج الباشا ، ونادى الكلية الخلدونية ، والمعهد الرشيدى للموسيقى، ونادى الجالية

أنتهاء الرحلة

الطرابلسية ، أو مقرها بنهج الذهب ، وبذلك انتهت زياراتنا لمعالم القطر التونسى وفى آخر يوم من تلك الزيارات وقبل أيابنا بيوم واحد ، وقعت لاحد الاساتذة ، وكان من زملائنا فى ثانوية الزاوية ، حادثة خطيرة جدا ، لولا عناية الله وبراعة اطباء تونس العرب لكان الان فى عداد الغابرين ، وسنذكرها فى حينها المناسب من هذا الكتاب ، ولكن الله سلم فرجعنا الى وطننا بسلام آمنين ، رجعنا وقد تركنا فى الخضراء شميم عرار نجد ، وذكريات حسان خالدات مع

طلاب الرحلة

الزمان ، ولقد كانت مظاهر طلابنا فى هذه الرحلة النادرة ، فى سلوكهم وأزيائهم ودلائل ثقافتهم لمن هم فى أسنانهم ، وقرائن تربيتهم الاجتماعية كل مما أكسب طرابلس فخرا واعجابا من أن يكون فيها ناشئة على تلك الاوصاف، ويكفى ان أقول ان واحدا منهم تبارى فى الكلية الصداقية ، بلعبة كرة

المائدة المحتاجة الى براعة فى الضرب ومهارة فى الاصابة ، وكانت المباراة مع طلبة الكلية الصادقية ، فاعجب النظارة ، وتدرك قيمة مباراته بان اهديناه باسم الرحالة قلم حبر كرمز لتكريمه ، وهو اليوم فى بعثة عسكرية بالعراق ، ونرجو ان يكون فى المستقبل من رجالات الجيش الطرابلسى العظام ، وكان من احب الطلاب الى نفسى ويعتبرنى كانى والده ، واذكر مرة انه كان يتبارى فى طرابلس مع فريق من طلاب المدارس الاجنبية البارعين ، فقلت له متفكها ان لم تفز عليهم لاقضمن اذنيك قضما ، وكان قبيل ان يرانى اعتراه شئ من الفتور لكثرة ما بذل فى اللعب من جهد ، ودخلت الى حجرة كرة المائدة فى الشوط الاخير ، وقلت له هأنا جئت فاذا هو يستحيل الى نشاط وبراعة وخفة وثقة ، واذا هو يفوز على خصمه الفوز المبين

مباراة فائز

احوالهما الطبيعية

وفى تلك الزيارة بعد أن وازنت ما بين تونس وطرابلس ، تبين لى أنهما من اقرب البلدان المغربية تشابها فى طبيعة الارض والمناخ ، وفى التاريخ القديم والوسيط والحديث ، وفى مظاهر العمران والحياة الاجتماعية ، وساحاول بحديثى المقبل ، ان أعطيك عنهما فكرة واضحة ، فى النواحى التى أشرت اليها ، وآثرت فى احوالهما المتماثلة ، ان يكون التحدث عنهما باسلوب الموازنة ، آملا بهذا أن يعرف مواطنى الطرابلسيون ، واشقاؤنا التونسة ، واخواننا فى العروبة ، اهم ما يحسن ذكره الان عن حياة البلدين ، من جميع الوجوه ، ولا غرو فالتعارف بين الامم ، ولا سيما المتحدة فى المشاعر واللغة والدين ، هو السبيل الوحيد لبث التآخى الانسانى ، فكلمة تونس قد درستها اقوال المؤرخين العرب جدلا وتمحيصا ، ومع هذا فانه للان لم ياتنا احد منهم عن أصلها برأى قاطع ، شانها فى ذلك شان جميع الاسماء والحقائق الغابرة ، التى ابتلعتها العصور النائية فى جوفها السحيق ، فكتب تذكر ان الكلمة محرفة عن اسم (ترشيش) ، وهى مدينة اغريقية ، كانت محل مدينة تونس ، وكتب تقول ان اللفظة ماخوذة من الانس ، اشارة الى ان القادم اليها من الصحارى المجدبة ، يجد فيها الانس والاغتباط ، وتزعم كتب اخرى قائلة ، كانت هناك صومعة لراهب يستانس المسافرون الى الغرب بالنزول قربها ، ومنه اشتقت الكلمة ، وقرأت انا فى دائرة

تقارب البلدين

كلمة تونس

تحقيق خاص

المعارف للبستاني الجزء السادس ، ان اليونان كانوا يطلقون على جهات تونس الساحلية اسم (بالوس تريتونيس) ، وفي ظني ان هذا اللفظ حرف بحذف (بالوس ترى) واستبقى منه (تونيس) تخفيفا ، ثم شاع منذ الفتح الاسلامي استعماله بهذا النطق الاخير المعروف لدينا الان ، وأكاد أجزم بصواب هذا الاستنتاج وهو من رأيي الخاص، وسميت بالحاضرة اذ اتخذها بنو حفص مقرا لحضورهم اى عاصمة لدولتهم ، ولوقوعها في بطاح خصبة وصفت بالخضار فقيل لها تونس الخضراء وهو الوصف المشتهرة به ، وأما كلمة طرابلس فقد كان اسمها ايام الفنيقيين أويا أو أويات ، وفي العهد الروماني سميت بـ (ترى بولس) ، اشارة الى انها اتخذت عاصمة ومركزا للمدن الثلاث ، وهي أويا نفسها ولبدة وصبراتة ، ولما جاء العرب نطقوا كلمة (ترى بولس) بلفظين ، الاول طرابلس وبه أشتهرت ، والثاني انطابلس ، وقد استعمل في وثيقة لعمرو بن العاص حين فتح ليبيا ، اذ قال : (لاهل انطابلس عهد موفى لهم به) ومدينة طرابلس أسبق وجودا من مدينة تونس بنحو خمسة قرون ، فقد أنشئت الاولى بمحل اويات ، زمن الامبراطور الروماني سبتيموس سفاروس ، وكان حكمه ما بين سنتي ١٩٣ و ٢١١ بعد الميلاد ، وانشئت مدينة تونس حوالي سنة ٧٧ هـ و سنة ٦٩٧ بعد الميلاد ، زمن الوالي الاموي حسان بن النعمان ، واليه يعزو بعض المؤرخين تاسيسها ، ولكنهم مختلفون في ضبط اى سنة من أيامه ، وفي مبدأ نشاتها كانت قرية صغيرة ، متخذة للمرور ما بين قرطاجنة والنواحي الجنوبية ، ولم تصبح عاصمة بدلا من القيروان والمهدية الا زمن الحفصيين ، وقطر تونس وطرابلس في العهد الروماني ، كانا معتبرين أرضا واحدة ، اشتهرت في تاريخهم بافريقية ، وظل هذا الاعتبار وهذا الاسم معمولا بهما الى زمن موسى بن نصير ، ففي هذا الحين اطلق عليهما اسم المغرب الادنى ، وحتى في حدودهما الحاضرة ، نراهما مشتركين من ناحيتين اصليتين ، فالبحر الابيض المتوسط يقع شرقيهما ، والى الغرب منها بلاد الجزائر ، بملاحظة ان فزان شطر من طرابلس ، وفي الظواهر الطبيعية نجد مناخهما متماثلا غالبا ، في الرياح والامطار ، وفي الحرارة والبرودة وكلاهما متاثر بالطوارئ الجوية الاتية اليهما من جبال الاب شمالا ، وجبال الاطلس غربا ، ومن المنطقة الاستوائية جنوبا ، والجبال فيها تشغل

كلمة طرابلس

تاسيسهما

قطراهما

مناخهما

تكوينهما الشمالي

مساحات كبيرة من قسميهما الشمالى ، من هذه فى تونس سلسلة جبل زغوان ، وفى طرابلس سلسلة جبل نفوسة ، وفى سفوح جبل زغوان القريبة الى مدينة تونس ، تجود زراعة القمح ، كما تجود فى السفوح الشمالية من جبل نفوسه، ولا سيما الجهة المعروفة ببئر الغنم وقطيس ، وتكثر فى دواخلهما الشمالية ، سهول الحراثة والاراضى البور والصحارى ، كجهات القيروان وسبيطلة وقفصة من تونس ، وجهات مزدة وترهونة وورفلة من طرابلس

افتراق تونس

وتفترق تونس عن طرابلس ، بان تونس أخصب تربة واجود هواء ، ومناخها اقرب اعتدالا وأغزر امطارا ، وتتعاظم فيها البحيرات الملحة شمالا وجنوبا وتبلغ مساحة بعضها عدة كيلومترات ، ومنها ما هو متكون من الامطار القوية المتحدرة من المرتفعات ورؤس الجبال ، وذلك كالبحيرة المستطيلة الكائنة على طريق تونس والقيروان وفى ساحلها الجنوبى جزيرتان ساهولاتان ولهما شان اقتصادى وهما جربة وقرقنة ، وتكثر فى ساحل تونس الشمالى التعاريج والموانى الطبيعية ومن أشهرها خليج مدينة تونس وبنزرت ، أما طرابلس فان ساحلها البحرى أرضه واطئة ، خالية من التعاريج والموانى الطبيعية الصالحة للملاحة ، وليس لساحلها البحرى غير جزيرة واحدة تدعى (قروة) وهى تقع الى الشمال الغربى من زوارة ، تافهة المحصول قليلة السكان ، ويجاور الشواطئ الطرابلسية بعض من المستنقعات السبخية ، كالتى فى تليل ما بين زوارة والعجيلات ، وجهتى قصر أحمد بصبراتة واطراف بلدة تاورغا ، ، وفى تونس شبكة من الخطوط الحديدية متفرعة فى جميع نواحيها العمرانية الهامة ، فهى تمتد من بنزرت شمالا الى الرديف جنوبا ، ومن تونس شرقا الى حدود الجزائر غربا ، اما طرابلس فاطول خط حديدى بها هو ما بين العاصمة ومدينة زواره ، ومسافته مائة وعشرون كيلو مترا ، وبها اطول طريق ساحلى للسيارات ، يمتد من الحدود التونسية غربا الى الحدود المصرية شرقا ، وهو معبد بالقطران وله ما بين كل خمسة وعشرين كيلومترا محط منزلى للراحة ولاستيفاء بعض من الحاجيات السفرية ، ويعتبر من اجود وأحسن انواعه فى العالم ، تم تشييده سنة ١٩٣٤ وبلغت تكاليفه بعملة تلك السنة ، مائة وثلاثة ملايين فرنك ، وفى أقصى جنوب القطرين واحات كبار واسعة ، وهى وسط الصحراء كالحدائق الغناء ،فيها شجر ظليل وماء كثير ، وخلق وبنيان وفلاحة وحيوان ، من تلك بتونس اقليم

ساحل تونس

ساحل طرابلس

مواصلاتهما

تكوينهما الجنوبى

الجريد ، ويتالف من ثلاث واحات رئيسية ، وهى نفطة وتوزر والوديان ، وفى طرابلس امثالها عددا واوصافا ، ومن أشهرها بفزان واحات غدامس وهون وسوكنة وسبها ، وقديما وصل اليها جميعا ، الفنيقيون ثم الرومان ، وعن هؤلاء الاخرين عرفنا طائفة من اسمائها ، من ذلك سيداموس وقد عربت بغدامس ونبتة وقد عربت بنفطة ، ومن غرائب الاسماء الاتفاقية فى واحات القطرين ، ولكنها اسماء عربية لفظا ومعنى ، انه بنواحى سبها وبراق قسم من الارض يدعى الشاطئ ،وباقليم الجريد او هو نفسه ، ارض تدعى الشط ، وهى الحافة بالبحيرات الملحة الكائنة شرقى توزر وغربيها ، وحياة سكانها وطرق معيشتهم كذلك ليس فيها تخالف ، ومناخها صحراوى صميم ، حر شديد وبرد قارس ومطر نادر ، وطبيعة اراضيها سواء ، مغطاة بالرمال أو المستنقعات والاسباخ ، وفيها عيون جارية وآبار للشرب قصيرة ، وتحتضن انواعا من المغروسات المثمرة ، ومن أعظم اشجارها النخيل ، وهو اميز شئ فيها ، وعليه قامت أحوالها الاجتماعية والاقتصادية ، وتحدثنا كتب من التاريخ ، ان النخيل كان معروفا بتلك الواحات من أيام الفنيقيين ، ويفترض بعضها ان غرسه مجلوب فى العصور الاولى من مصر او الحبشة ، وتمر الواحات الجنوبية فى الجودة والنفاسة على اصناف شتى ، وافخره وأكثره شهرة فى العالم هو المسمى (الدقلة) وتمر البصرة بالعراق حسن وأنا شخصيا رأيته عيانا وتذوقت طعمه ، ولكنه لا يضاهى تمر الواحات التى نحن بصدد التحدث عنها ، وأحسن تمر فى الواحات الفزانية هو (التواتى) بوادى الاجال قرب براق وسبها ، ولكن (دقلة توزر) بارض الجريد أفخر نوعا وألذ طعما ، وقد بلغ رطب الدقلة من الصفاء ، لدرجة ان النواة فى الرطبة الواحدة ، تظهر منها للعين كانها مغلفة بورق اصفر شفاف ، واكتسح الدقلة وحده ، أوروبا وأمريكا منذ عشرات السنين ، ولا يقدم هنالك الا فى مآدب الامراء وارباب المناصب الرفيعة ، وتراه فى الحوانيت الراقية ، موضوعا داخل علب أنيقة ، ومزخرفة بالالوان والاشرطة الحريرية ، كانه عقد من الجوهرات الثمينة، واذكر وأنا شاب رأيت فى احدى المدن الكبرى ، علبة منه فى دكان للمحليات النفيسة ، فلما سالت عن ثمنها اذا هو مساو لثمن علبة من تلك المحليات ، ولم يكن فى علبة الدقلة الا بضعة خصلات من رطبه ، وفى العهد الايطالى جارى تمر

الشطوط

مغروساتها

الدقلة

التواتى

التواتى أخاه الدقلة ، ذيوع صيت فى الخارج ، ولكنها مجاراة اقتصرت غالبا على البلدان الايطالية ، وبعد الحرب العالمية الثانية ودخول الفرنسيين الى فزان ، زادت العناية بتمر هذا الاقليم ، وابتدئ فى استغلاله بالاساليب الاقتصادية الحديثة، وكثير من انواع تمره النفيس ، صار يذهب الى أوروبا بطريق تونس ، وعلى يد شركات لا هى طرابلسية ولا تونسية ، اى المتاجرين به فى الخارج كلهم أجانب ، واذا اقتصرنا من القطرين الحديث عن الجبال والسهول والواحات على المقدار السابق، وانتقلنا للتجول فى جهاتهما الساحلية ، فماذا ترانا واجدين فيهما من مظاهر العمران المشترك ؟ نجد أن معظم قراها وبادانها قد تشابهت اوضاعا وحياة ، فلو تجولت فى بقاعهما الساحلية من مصراتة الى المهدية ، لرأيت فى هذه الاراضى الشاسعة، الاتفاق العمرانى متشابها فى أكثر الانحاء التى أنت مار بها ، فقد اتحدث مثلا مناظر ابن قرادن وقابس ومساكن والمنستير هى ومناظر زيلتن والخمس والزاوية الغربية ، والعجيلات وزواره ، فى اهم الاحوال الريفية وطرق معيشتها ، اتحدث بوصف موجز فى آبار السوانى ذات الاجنحة المبنية القائمة الى الجو ، وفى وسائل استخراجها للماء ، من حبال وبكرات خشبية ، وان الدلاء من الجلد ، تسحب بوساطة البقر والمجر ، واتحدث فى المنازل القروية المشيدة بضرب الباب ، وقليل منها له شبه بابنية الطراز الحديث ، وضرب الباب هو أن تشيد الجدران للمنزل الريفى من تراب أحمر غالبا وبعد ان يمزج بالماء حتى يصير عجينا طينيا ، يرفع بالقفاف ويوضع ما بين لوحين خشبيين كل واحد منهما يشبه الباب المستطيل ، ويقدر ارتفاع هذا اللوح بالمترين ، وطوله نحو اربعة امتار ، ويفصلا عن بعضهما بمسافة ستين سنتيمترا ، ثم يربطان بحبال رفيعة ليظلا ثابتين ، ولما يملأ فراغهما بذلك التراب المعجون، ترصه الرجال الاقوياء ضاربين اياه بمداميك شجرية خاصة لمثل هذا العمل ، وحين يتم الجزء الارضى من الجدار ، تنزع عنه تلك الالواح ، ويترك الحائط للهواء والشمس الى ان يجف ، ثم تجعل الالواح مرة اخرى فوق الجدار الاول الجاف ، ويبتدئ لاقامة الطور الثانى على الاسلوب المتقدم ، وبعد ان يتم بناء المنزل الترابى على الكيفية الموصوفة ، يسقف باغصان الشجر او بجذوع النخل المشقوق المسمى صنورا ، وترى فى أرياف هذه المناطق ، الحدائق والبساتين الكائنة على الطرق والمسارب ، أقيم حولها غرس التين الشوكى (الكرموس) ، أو حيطان يقال لها (الطابية) لتكون سياجا يمنع المارة من الدخول الى تلك

جهاتهما الساحلية

ضرب الباب

مشاهدات ريفهما

صورة لبئر سانية طرابلسية ذات الجناحين مع وسائل استخراج الماء وهى مطابقة لامثالها فى بلدان السواحل التونسية

الاشجار والتعدى على الثمار والمحصولات ، وتشاهد الرجال فى خدمة اراضيهم ، فريقا بالملابس الخفيفة وعلى رؤسهم (طواق) بيض أو صوفية حمراء ، وفريقا يلبس الجرد والجبة وفريقا عائدا الى القرية بحزم الحطب والكلأ وهو يسوق امامه قطيعا من الاغنام وعددا من البقر ، وفريقا يخرط حب الزيتون ، او يقطف جنى النخيل والكروم ، والى جانب هؤلاء ترى اخيانا النساء القرويات يعملن بجانب اقربائهن فى المزارع والسوانى ، وهن مؤتزرات أردية قطنية متشابهة فى الزى ، ولكنها بالوان شتى .

ثروتهما الزراعية

الزيتون

ومن أهم مغروسات البلدين الشجرية ، فى بقاعهما المجاورة لشواطئ البحر هو النخيل وسياتى الكلام عليه ، ثم الزيتون على ان هذا الغرس يتعاظم فى سواحل تونس أكثر من النخيل ، بينما ترى النخيل يتعاظم فى قرى طرابلس الساحلية اكثر من الزيتون ، وتراه فى سفاقس ويليها قابس غابات كثيفة على أجمل تنسيق ، ويقال لها عندهم المنشير ، وموطن غرسه الجديد فى طرابلس هو فى المستعمرات الزراعية التى انشاها الايطاليون لانفسهم ، وتجد عشرات الالاف من اشجاره فى تلك النواحى من البلدين ، على ارتفاع واتجاه واحد كفرق الجند النظامى المصطف ، وانشئت له فيهما معاصر فنية من أحدث طراز آلى ، استطاعت ان تسحق أكبر كمية من حبوبه فى اسرع زمن ، ثم تظهرها زيتا تظنه من الصفاء ماء نقيا . ويملك اخواننا التوانسة ولا سيما اهالى سفاقس ، من غابات الزيتون ذى الغراسة الفنية ، ومن معاصره الدقيقة فى صناعتها وفى استخراجاتها ، الشئ الذى لا يتناوله حصر او بيان ، والميزان الاقتصادى عندهم اصبح يقاس بمحصولات الزيتون السنوية ، ويرجع اشتهار سفاقس بالزيتون دون غيرها ، الى أن أكثر اراضيها مغروسة باشجاره التى تنتج حبا اسمه (الشملال) وهذا النوع ذو حبة صغيرة على شكل مستطيل ولونها اسود حالك ، ويمتاز الشملال عن الاصناف الاخرى بوفرة ما يخرجه من الزيت الجيد ، مع طيب مذاقه ، ويفهم من احصاء رسمى عثرنا عليه ، وقد يجوز ان يكون ليس هو بالاخير ، ان القطر

الزيتون بتونس

الشملال

التونسي يحتوى على اثنين وعشرين مليونا ومائة وخمسة وأربعين الف شجرة من الزيتون ، ويبلغ متوسط زيتها السنوى تسعة وخمسين مليونا من الكيلوات ، ويستهلك منه محليا ما يتراوح بين سبعة عشر و عشرين مليونا من الكيلوات ، والطرابلسيون الا قليلا منهم ما برحوا يغرسون الزيتون بالطرق الاولى المتوارثة عن الاباء والاجداد ، وتعتبر اسلاتة وغريان وقماطة ، الكائنة ما بين القربولى والخمس ، هى المناطق الشهيرة بالزيتون المحلى ، المغروسة غاباته من السنين الطوال ، ونريد بالقليل الذى استثنيناه ، ذلك الفريق من ابناء البلاد ، الذى حاكى الايطاليين ، فغرس له فى املاكه اشجارا من الزيتون على أحسن ترتيب ، وفى مقدمة هؤلاء وجيه ثرى بمصراتة ، وهو يمتلك بطمينة جانب القرى الايطالية بكريسبى أرقى بساتين الفلاحة الطرابلسية الحديثة ، ولقد كونها هو والمرحوم والده بعرق الجبين وكد اليمين ، ويليه آخرون بجنزور وضواحى طرابلس وتاجوراء وصرمان وصبراتة ، وأما المشتغلون منهم بمعاصره الالية الحديثة فهم عدد وافر وآخذ فى الازدياد ، ونظرا لعدم تمكننا من معرفة التعداد الرسمى لاشجار الزيتون فى طرابلس وكميات انتاجه من الزيت وما يستهلك محليا ويرسل الى الخارج ، ولو تخمينا قريبا من الصواب ، فاننا مضطرون للسكوت عن هذه الامور بتاتا . والظاهر لاسباب عدة ، ان غراسة الزيتون المنتظم فى طرابلس بالنسبة لاهالى البلاد ، ستقتصر الان فى الاراضى الساحلية ، على مسافات محدودة جدا ، وعلى الرغم من أن رخاء المعيشة فى طرابلس ، لا يزال متوقفا على المحصول السنوى للحبوب الشتوية من شعير وقمح ، فان الزيت أصبح له فى تحسين الاحوال الاقتصادية داخلا وخارجا ، الاثر الفعال الذى يقدر ولا ينكر ، وهو لاحتياج اشجاره للرى القوى ، يضعف وينمو تبعا لوفرة الامطار الموسمية أو قلتها ، كالحبوب الغذائية تماما ، وقسم عظيم من محصول الزيت تاخذه محليا معامل سمك الطونة ، وهى المشتهره عند ابناء البلاد باسم (الطنارات) ، ومنتشرة منذ العهد الايطالى على ساحل البحر من مصراتة فى الجنوب الشرقى الى زوارة فى الشمال الغربى ، وجميعها الان بيد الاجانب وحدهم ، وفى السنين القريبة من بعد الحرب العالمية الثانية ، بلغ ما ربحه بعضهم فى عام واحد ثلاثين الف جنيه ، وليس لابناء البلاد فى معامل طهى السمك وتعليبه من نصيب يذكر ، غير اشتغالهم باصطياد السمك لها على اختلاف اشكاله ، ثم الحرف البدنية من ايقاد

الزيتون بطرابلس

أثره الاقتصادى

أخذ الطونة

صناعة الطونة

النيران للمراجل وغسل الطونة واصلاح الشباك ، وحين سئل طرابلسى ثرى من اعيان مدينة طراباس ، لماذا لا يؤلف مع امثاله شركة للطونة على نسق الشركات الاجنبية ، أجاب ان ذلك عند المسلمين حرام ، وهذا القول نفسه قيل للمرحوم طلعت حرب باشا حين شرع فى تاسيس بنك مصر ، ومن مشاهداتنا لواحد من معامل سمك الطونة ، فهمنا انه ذورأس مال لا يقل بالدرجة الوسطى عن عشرين الف جنيه ، أما مايزعمه أصحابها من توالى الخسارات فهو بالنسبة لرواج تجارتهم فى الخارج واعمالهم الرابحة ، كلام يحتاج تصديقه الى اذهان غير واعية ، ولعلهم اردوا به ذر الرماد فى أعين الحساد والعباد . وأجود نخيل السواحل التونسية واغزره هو فى أراضى قابس ، وهى بهذا وبعينها المائية ، تشبه فى صورتها العامة قرية تاورغا الكائنة فى طرابلس الى الجنوب الغربى من مصراتة ، الا فى ألوان سكانها ، فان أهالى قابس بيض من الجنس المغربى العربى ، واهالى تاورغا انفردوا وحدهم عن سكان القطر الطرابلسى عدا فزان بسواد البشرة ، وبصناعة الحصر الجيدة من النوع الفاخر ، وبالاشغال السعفية الجميلة ، وهم من الجنس الحامى الليبى مذهبا ولسانا ، اى أنهم مسلمون متبعون لمذهب الامام مالك ، ولغتهم عربية باللهجة الدارجة الفصيحة ، ويملكون اراضى بلدتهم كلها ، الحرائية والمغروسة ، ما عدا جزء يسير لاشخاص من البيض يسكنون فى غير بلدتهم . وعين تاورغا يتدفق ماؤها كالنهر ، ولكنه ذاهب عبثا بين انصابه فى البحر وسيحانه بالاراضى الواطئة ، وقد نتج عن هذا الماء ان تكاثرت فيها المستنقعات والاسباخ ، فتولدت بها جراثيم وباعوض الحمى من نوع الملاريا ، حتى صارت الاقامة فى تاورغا نفسها على الغرباء من النادر ، خوفا من الاصابة بامراضها المتوطنة ، والموظفون من غير أهلها يقيمون فى أطراف البلاد الخلوية ، وكلهم تقريبا من البلدان الطرابلسية الاخرى ، ومن غير ان ياتوا معهم بعائلاتهم ، وأما سكانها الاصليون فقد الفوا جوها بالوراثة ، واكتسبوا من طول السنين مناعة ضد الملاريا ومع ذلك فان هذا الوباء ما برح يضعف اجسامهم ويسرى مرضه بين افرادهم ، ولقد حاول الايطاليون كثيرا ان يستخدموا مياه العين الغزيرة لاغراض زراعية وفلاحية ، بالعمل الفنى والتجارب المتعددة ، فلم يفلحوا مدة بقائهم ، ويا ليت ولاة

سئل فأجاب

نخيل قابس

التاورغيون

تاورغا وعينها

جوها الصحى

كملة اصلاح

الامور فى هذا العهد يدرسوا مشروعات الطليان فيستانسوا بهـا ثم يعيدوا الكرة لعلهم يوفقون بالتطور الالى الاخير ، الى الانتفاع بتلك المياه فى مشروعات زراعية واسعة ،وتخليص جوالبلدةمن المستنقعات التى تحولت الى رقعة مستديمة للامراض الوبائيـة ، وأولى الجهات الرسمية اهتماما بهذه الملاحظة هى حكومة القاطعـة

نخيل تاورغا

الشرقية ، وتاورغا ذات نخيل وافر ممتاز بتمره ورطبه ، ولانغماره بمياه العين تحصل منها على تلك الميزة ، واختص سعف جريده بالبياض والنعومة فانتفع به الاهالى فى أعمالهم وبراعتهم لتلك الحرف اليدوية التى قامت على السعف الجميل الماخوذ من نخيلهم ، كما

نخيل قابس وعينها المشابهين لتاورغا

حصر تاورغا

ان المستنقعات والاسباخ مليئة بنبات الحصر فاحترف اغلبهم صناعتها بأتقان ، وما ينسب من الحصر الجيدة الى مصراته فهو خطا ، اذ كلها من اعمال تاورغا ، ولكن المصراتيين هم المحتكرون للاتجار بها فى جميع انحاء طرابلس وخارجهـا ، ومن الثابت أن تمر تاورغـا وقابس همـا أنفس انواعهمـا فى ريف القطريـن ، والنخيل

فوائد النخيل

بالنسبة للفلاحين العرب ، ، له فوائد اقتصادية لا تخفى على العارفين ، ويبرر لنـا ما اسهبنا فيه من اقوال ، فبلحه عندهم فاكهة ورطبه حلوى ، وتمره

اللاقبى الحلو

غذاء لحتاجى الحضر ، وزاد لسكان الوبر ، ورشح جماره (اللاقبى) ، مغرم به الصالحون الاتقياء ، والعصاة الاشقياء ، فالطازج منه عند الاتقياء فيه منافع للناس وهو كونه شرابا كالعسل مذاقا ، ودواء لبعض الحالات

اللاقبى الحامض

المرضية ، وكثيرا ما استعمل فى سنين المجاعة قوتا للابدان ، وهو عند الخاضعين لانفسهم بالسوء ونزيد بهم الاشقياء ، اذا ترك نحو اربعة وعشرين ساعة ولم تغسل مرشحة جماره فى رأس النخلة بالماء ، جاء كالخمر حموضة واسكارا ، وما شربه امرؤ غير عاص لربه الا وقد ثمل ، ومن أظرف ما يروى ان احد المشائخ الوعاظ نهى عن شرب اللاقبى غير الحلو ، فجاءه مدمن يحاسضه وخاطبه بما يفيد ان اللاقبى بفمه كله حلو ، فبهت الشيخ ولم يدر بما يجيب ، ولقد اتخذوا من جذوع النخل اشطارا تبلغ ثلاثة امتار ، اسقفوا بها دورهم وبذلك استغنوا عن اثمان الخشب ، بل أن اهالى الجبات الجنوبية وعلى الخصوص فى توزر وبعض من نواحى قزان ، جعلوا منها بيوتهم على هيئة الاكواخ المعروفة باقاليم كندا الشمالية وفلندا ، وتسمى تلك الاشطار عادة بالصنور ، ومن جريده اتخذوا مددا للنوم (أسرة) ولكنها

صنوره

جريده

تاورغيان يعملان من السعف اطباقا وقفافا

قائمة على عوارض من جذوع النخل ، وهذه مثبتة فى جدران الدار ، كما اتخذوا من الجريد اقفاصا للشمار والطيور وسراجيح للاطفال ، وصنعوا من سعفه مفارش للطعام ومراوح للقيظ ، وزنابيل للسماد ، ومحامل للحبوب والخضراوات ، وصنعوا منه حبالا وشباكا وقفافا ، ومحافظ لحاجيات المأكول وغيره ، ونوى الرطب والتمر من أشهى العلوفة عند الحيوانات المجترة ، ولقد زاحم ليف النخل بعد الحرب العالمية الثانية الصوف والقطن نظرا لغلائهما ، فصار تجار الاثاث المنزلى يحشون به افرشة الاسرة المعروفة عند المصريين بالمرتبة ، وعند اهالى مدينة طرابلس بالمندار ، اذ بعد تمشيطه بالات خاصة يرطب لمسه كالشعر

سعفه

ليفه

تناقص النخيل

ومما يؤسف له على الرغم من منافع النخيل ذات الاثر الجلى ، فى حياة الريف الطرابلسى ، فانه آخذ فى التناقص لعدة اسباب ، منها أن فلاحى الجيل الحاضر أهملوا غراسته ، نظرا لمشاقه الجمة وبطء اثماره ، ومنها ان اشجاره القديمة اخذت من العطش او الوهن تتساقط بالرياح الهوج ، او لاستعمالها صنورا للسقف وغيره ، ولقد مررت بحقل فى بعض من نواحى طرابلس الشرقية ، ففهمت انه قبل خمسين

بستان مقفر

سنة تقريبا ، كان بستانا رائعا يسر الناظرين ، كان فيه من النخيل وحده أكثر من مائة شجرة ، فاتت عليه حوادث المجاعات والحروب واهمال الخلف لما تركه السلف حتى صار الان حقلا مجردا من اى شجرة مثمرة وهكذا دائما

(الدهر يفجع بعد العين بالاثر .. فما البكاء على الاشباح والصور)

الحيوان والنبات

وليس تماثل البلدين منحصرا فيما تقدم ذكره عن الزيتون والنخيل ، بل هما متماثلان كذلك فى الحيوانات الداجنة والمتوحشة ، وفى أنواع الكروم واشجار الفواكه والحشائش الطبيعية ، وفى كليهما يزرع التبغ وتنبت الحلفاء ، ويستخرج من بحارهما الملح والاسفنج والاسماك ، ويتماثلان فى البقول والخضراوات والحبوب الغذائية ، وهذه الاصناف غالبا ، كالوجود من نوعها فى بلدان الشرق

القصب

العربى ، غير أنه فيهما حبوب غذائية صغيرة ، تشبه فى لونها الذرة البيضاء ، وتزرع صيفا بالسقاية ، وتنمو سنابلها على سيقان رقيقة طرية لها عقد ، ويبلغ ارتفاعها عند النضوج نحو ثلاثة امتار ، وبعد قطف السنابل تجفف العيدان علوفة للماشية وتدعى (الصريم) ، واسم هذه الحبوب فى طرابلس (القصب) وفى تونس (الدروع) وفى السودان (الدخن) ، وللقصب فى طرابلس نظير صيفى اخر

البشنة

أصغر منه حبوبا ولونه محمر ، يقال له (البشنة) ، ولكن البشنة ذات ظمأ دائم ، فهى أشق على الفلاحين سقاية من قرينها القصب ، وعيدان سنابلها اطوع ليونة وأقل ارتفاعا ، وعلينا ان نلاحظ أن هذه الحبوب الصيفية فى البلدين زراعتهما نادرة ، ولدقيق القصب المستعمل (سحلبا) خواص بدنية ، كما يقول ابناء البلدالشيوخ ، منها مقاومة الكساح عند الاطفال ، ومادته الغذائية قوية ولكنه بطىء الهضم فى

ما فى الماكل فخر

المعدة ، وان تضحك فاضحك من أولئك المتافخرين باكلهم دقيق القمح أبيض كالثلج ، واستهزائهم باخوانهم الريفيين على أكلهم للشعير ، أضحك لانهم لا يعلمون ما للشعير وبالخبز القمح غير المنخل دقيقه كثيرا من فوائد صحية ، هى من

غير شك أحسن من ذاك الخبز الابيض بما لا ينكره طبيب ، ويحسبون أن التعود على تناول الطعام الدسم ، او المحليات الصناعية ، فيهما تقوية للبدن وسلامته من الامراض ، نعم انه من الواجب ان نحسن التغذية في حدود ما يحتاج اليه الجسم في الاسبوع من مواد زلالية ودهنية مثلا ، ولكن الافراط في ذلك ورث اصحابه البول الحلو وغير البول الحلو من الامراض الناشئة عن التلذذ بالاطعمة الدنية ، ولذلك فانت لا ترى لمرض السكرى او البول الحلو في الارياف وجودا ، (ألا فاخشوا شنوا فان الحضارة لا تدوم) ومن أشهر مزارع القصب والبشنة في طرابلس ، ساحل آل حامد وزيلتن ومصراتة ، ويراد من فلاحتهما هناك ان يكونا وسيلة لسقاية النخل العطش في السنين غير المطيرة ، واحسن القصب جودة عندهم ما كان سقيا بالماء الملح ، ومن ازجالهم في هذا : (حتى كان قصير فالح . قاطع كيف قصب المالح) واشتهرت طرابلس في مزارعها الساحلية الحديثة ، بغراسة الفول السوداني المعروف محليا باسم (الكاكاوية) وله محصول نام يكفي حاجة البلاد ، واحيانا يصدر منه للخارج كميات وافرة ، والطرابلسيون لا ياخذون الكاكاوية الا ليتناولوها مع الشاي ، وأسلوبهم في هذا الاستعمال غير معروف في البلدان الاخرى ، فهم ينزعون اللب من مزاوده ، ثم يحمصونه في مقلاة متخذة لهذا الغرض الى ان يحمر اللوب من التحميص ، وبعد ذلك يفركونه بايديهم ، فتتفاصل الحبات عن غشائها الرقيق ، وعندئذ يضعونها في أكواب الشاي الزجاجية الصغيرة ، ويختمون بها آخر شربة منه ، وأعظم آفة مباحة شرعا وقانونا ، ابتلى بها الطرابلسيون رجالا ونساء ، شبانا واطفالا ، ريفا وبادية وحضرا ، هي الاقبال الزائد على شرب الشاي وطريقتهم في تحضيره خالفت جميع شروطه الصحية ، فهي تقول : بان يغلى له الماء وحده في الوعاء الخاص به ، ثم ينزل عن النار وينقع فيه الشاي نحو خمس دقائق ، وبعد ذلك يشرب ممزوجا بالسكر ، ومع هذه الحالة فان الاطباء ينصحون بعدم الاكثار منه ، ولكن غرام مواطنينا به ، في الارياف وعند عامة الناس بمدينة طرابلس ، قد ابتز من الفقراء أموال قوتهم الضروري ، وورثهم الكسل عن العمل ، والتلهي في مجالس مجتمعاته الشعبية بخصوصيات غيرهم ، وبعد ان كان اسلافهم يحضرون الشاي أيام آلته (السماور) ، بذاك الاسلوب الصحي ، شاربين اياه مرة واحدة في النهار عاجلين ، تطورت طرق اعداده بمرور السنين ، حتى صار ابناؤهم الريفيون والناس الاعتياديون

الكاكاوية

كيفية تناولها

الافة المباحة

في المدن ، يشربونه مع الوجبات الغذائية الثلاث ، صباحا وظهرا ومساء، أو كلما جاءهم زائر او حفزهم اليه الخاطر ، وفي كل مرة من هذه الاوقات ينبغي ان تقدم

طريقة اعداده

أكوابه على ثلاثة ادوار ، آخذة العمليات الكيمائية أو الطباخية الاتية ، يوضع الشاى مع الماء في ابريق صغير ، ويترك على منقل خاص مشتعل بالفحم ، الى أن يغلى فوقه نحو ربع ساعة ، ولما يصير لونه من كثرة الغليان مسودا خاثرا ، يفرغ ماؤه في أبريق أصغر حجما من الاول ويضاف اليه السكر ، ثم يرجع الى النار فتزيده بالسكر غليانا ، ولحظة بعد لحظة يصبونه في كاس زجاجي كبير أو معدني ، رافعين الايدى به الى فوق منزلينها الى اسفل ، ولما تنشا له بهذا العمل المتكرر رغوة بيضاء ويخثر كالرب ، يسخن قليلا ويسكب في الاكواب الصغيرة ، فيشربه اصحابه شهيا عندهم لذيذا . وفي آخر دور يمزج في الاكواب بالكاكاوية ،

متنزهون طرابلسيون يشربون الشاهي بين الاشجار

اشعاره العامية

(ياشاهي ياغلاك على : طاسه فيها الكاكاوى ، لسى ياتاز المرعوب: حشيشه حمرا باسكر طوب، الشاهي لحمر عند الصبح : الجنة ومفاتيح الربح ، بنه زادتها النعناعه : يارتها جتنا من الساعه حلف بالله قال البراد : ما نظهر لين نفلق لبلاد ،) والشاى يعرف عند التوانسة بالتاى وفي الريف الطرابلسي يقال له حشيشة والمرعوب يريدون به الفحم غير الجيد والسكر الطوب هو ذو القوالب . والبراد هو الابريق وهذه المدائح باللغة الريفية الدارجة ،

سقناها اثباتا لما شغف به القوم من تناول الشاى على طريقتهم الخاصة ، ولكنها ويا للاسف طريقة تحمل من الاضرار الصحية ما فيه الخسران المبين ، ماليا وجسميا واجتماعيا ، ومن أوضح مضارها الصحية انها تورث الارق وتوتر اعصاب الدماغ وينشأ عنها فقر الدم واضطرابات المعدة وضعف القلب والنخس احيانا بعضلات الصدر ، ومن نتائج ذاك الافراط الاقتصادية ، ان متوسط ما ينفقه الفرد الاعتيادى على الشاى ولوازمه يوميا ، نحو ستة قروش مصرية أو ليبية باقل تقدير ، بينما قد لا يتذوق هو اللحم الا مرة فى الشهر ، او قد لا يشترى الريفى الفقير المغرم بهذا الشاى ، صابونا لاسرته فى الشهر بما يساوى ستة قروش ، وتونس من ناحية رقى الزراعة فيها على اختلاف أنواعها ، تعتبر اقرب البلدان المغربية شبها بمصر ، والفضل فى ذلك راجع الى كون ، تربة اراضيها الشمالية ومناخها . كتربة ومناخ الجنوب الاوروبى ، مما يقع على سواحل البحر الابيض المتوسط ، واستفاد أهاليها بما كانوا يقتبسونه عن الاجانب من أساليب الفلاحة النامية ، وطبقوا ما كانوا يرون فى حقولهم ، وكان أعيان فلاحيهم وقادة الفكر والشعب ، لا ينفكون عن ايفاد الطلاب الزراعيين الى معاهد فرنسا المختصة بتخريج العلماء المثقفين نظريا وعمليا بخدمة الارض وما يغرس وينبت ويزرع فيها ، وبمرور السنين توفر لهم من هؤلاء الفنيين جمع بذلك خبير وقدير ، وبفضل أولئك وهؤلاء صار لهم الان عشرات من المؤسسات الزراعية وطائفة من مدارسها ، ابتدائية وثانوية وعالية ، ومن أشهرها رقيها مدرسة منجة الزراعية على مقربة من مدينة تونس ، ويؤيدنا فى صحة هذا القول ، ذلك الكتاب النفيس الذى أخرجه بالعربية الزراعى التونسى ، الاستاذ النابه السيد محمد نجاح ، وهو كتاب تبلغ صفحاته من الحجم المتوسط ، نحو ثلاثمائة ومتين صفحة وعنوانه (تقويم النجاح ومرشد الفلاح) واهداه مؤلفه الى الفلاح نفسه الذى وصفه فى مقدمته بانه (لا يثنيه عن متابعة مهمته العمرانية حر ولا قر) ،والزراعة الطرابلسية لا تزال متاخرة تماما ، وهى بالنسبة الى تونس قياس مع الفارق ، فليس لها من تلك المؤسسات والمدارس اى شئ يذكر ، وللان لا يوجد من الطرابلسيين خبراء فنيون فى شئون الزراعة ، لا افرادا ولا جماعات ، وما أشرنا اليه سابقا عن أولئك الاشخاص الذين لهم مزارع تمشوا بفلاحتها على النمط الحديث ، انما هم الناس خدموها بالمجهود المستقل ، بل ان فريقا منهم (مع احترامنا له واعجابنا بنشاطه) لا يعرف أولا

مضاره العامة

الزراعة التونسية

الزراعة الطرابلسية

تاخرها عن تونس

يحسن حتى القراءة والكتابة بالعربية ، فتحقيق ما هو موجود بتونس من رقى الزراعة ههنا متوقف قبل كل شى على ايجاد التربة الصالحة لما يلائمها من غرس او زرع أو نبات ومتوقف على الثراء والعلم ووفرة السكان ، والطرابلسيون الان من هذه الاشياء محرومون من غير جدال ، ومع كل هذا فقد برهن فلاحوهم كما سنشير اليه ، على أنهم ـــــن أنشط أمثالهم عند الامم الاخرى كدحا فى خدمة الارض ، وصبرا على متاعبها

محاولة ترقيتها

فى الحـر والقـر ، وقد حاول الاتراك زمن راسم باشا سنة ١٨٨١ م. ان يحدثـوا فى البلاد نهضـة زراعيـة ، مسايرة منهم لروح التقدم العصرى ، فاتوا من الخـارج بانـواع من المغروسات الاقتصاديـة كاشجار توت القز مثلا ، ودربوا الناس عليها فى غريـان وبعض الجهات ، ثم انشاوا بسيدى المصرى قرب مدينة طرابلس ، نـواة لمـدرسة زراعيـة ، من بساتيـن تجاربية وحظائر لتنميـة الحيوانات ، ولما جاء الايطاليون احتفظـوا بهـا واستعملوها فى مكانها لهذا الغرض ، وزادوا الامر اهتماما ، فاوجـدوا اخيا لهـا فى مصراتـة بناحيـة من زاوية المحجوب ، وهى السوانى التى كانت من قبـل لاسـرة رمضان السويحلى ، وعلى الرغم من هذا كلـه ، ففى طيلـة العهدين التـركى والايطـالى لم تضـم هتان المنشاتان ـ سيدى المصرى وزاوية المحجوب ـ بين جوانبهـما اى طـلاب زراعيين ، ولا أخرجتـا لارباب الاراضى العرب ، اى فنى من ابناء بلادهم انتفعـوا بتوجيهاته وخدماته ، وانمـا كان عملهما مستأثرة به حكومة العهدين لمصالحها الرسميـة ، والان فان الحكومة الحاضرة ، اعدت ذاك المحل فى سيدى المصرى ، لنفس الفكـرة التـى بنـى قديمـا من أجلهـا ، ثـم جعلتـه مدرسة زراعيـة ، وأختيـر لهـذه المدرسـة نحـو ثلاثيـن طالبا من بلدان طرابلسية مختلفة ، وتنشر الجريدة الحكوميـة المرة بعد المرة ، أن هناك خبراء أرسلتهم جمعية الامم لترقية الزراعة المحلية ، وان فريقـا من هؤلاء اقترح امورا ، وفريقـا ما برح يدرس الاحوال الاقتصادية ، وفى اعتقـاد الناس ان خريجى سيدى المصرى ، وارشادات ونصائح العلمـاء الموفدين ، كـل لا تظهـر منـه فائدة الا فى المستقبـل البعيد ، والمثل يقول خير البر عاجله ، وانجـح الاعمـال ما كان ايسرها طرقـا واقصرها اجراء وأقربهـا زمنا ، فلو أسعف الفلاحـون الطرابلسيون بطائفـة من الخبراء العرب ، مصريين وتونسيين مثلا ، وارسل هـؤلاء الى أرشادهم فى صميـم بيئتهم الزراعية باللغة الدارجة ، لانهم عرب مثلهم ، ثـم مع هذا الارشاد زود الفلاحـون بمجموعات من الات الزراعية الصغيرة ، ما بيـن حاصـدة

مدرسة سيدى المصرى

الخبراء الموفدون

رأى زراعى

حارثة ودارسة ومذرية ، ومستخرجة للماء من الابار المحلية ، كأن تكون قوتها بضعة احصنة ، وتدريبهم على كيفية استعمالها واصلاحها ، لكانت هذه المشروعات اجدى اعمالا وأيسر تنفيذا ، من تلك المشروعات النظرية الفخمة ، التى يحتاج تحقيقها الى اذهان عالية وأموال طائلة ووقت طويل ، ولايظهر أثر ترقيتها لزراعة البلاد فى زمن قريب ، ونحن اذ نورد هذه الاراء لا نجزم بانها احسن ما يجب ان يعمل ، ولكننا نعتقد انها تستحق من ولاة الامور ، اواقتصاديو البلاد أن يعتنوا بدراستها ، ويلفتوا اليها انظارهم الفاحصة ، ويكفى دليلا على جدارة الفلاحين الطرابلسيين بالتوجيه المباشر ، والمساعدات الفنية العاجلة ، انهم خير من التمس رزقه فى خبايا الارض ، بل لا نكون مبالغين اذا قلنا ان نشاطهم فى الحقيقة هو قدوة لاى فلاحين غيرهم ، فعلى مرور السنين والاجيال ، هم واسلافهم من قبل قد حولوا أراضى السواحل الطرابلسية من صحارى مجدبة ، الى غابات من النخيل الباسق والزيتون العظيم والشجر المثمر ، وانتزعوا بالسيقان المثمرة والسواعد المفتولة ، تربة حدائقها الغناء ، من تحت الرمال الصفراء ، وسووا ارضها بقلب الاحجار ، وحفروا لرى بساتينها آلاف الابار . حتى خيل للغريب القادم الى نواحيها الساحلية العامرة ، وهو لا يدرى من امرها الزراعى شيئا ، ان فى البلاد انهارا تجرى وعيونا تسقى ، فى حين انه ليس فيها من هذين النوعين أثر ، بل فيها رجال اشداء لا يثنيهم عن الجهاد بخدمة اراضيهم حر ولا قر

جدارة الفلاح الطرابلسى

ثمرة اجتهاده

سكانها واعمالهم

وأشهر ما فى البلدين من الثروات الطبيعية ، التى لا دخل لعمل الانسان فى ايجادها بباطن الارض ، هو النطرون بفزان والفسفات باقليم الجريد ، فالنطرون صنف من القشور السبنخية ، الناشئة عن ركود وترشح المياه الملحة فى المستنقعات الجنوبية ، وموطنه فى أراضى الشاطئ أو وادى الاجال ، الكائنين الى الجنوب الغربى من سبها وبراق ، ويستخرج من هنالك فى أوقات معينة ، من منتهى الصيف ومقدم الخريف ، واعظم تجمعات القشور النطرونيه هناك فى بحيراته هو على ثلاث مرات ، ويقال للاولى (المعدن) وللثانية (نشنوشة) وللثالثة (فريدغة) فلما يتناقص ماؤها فى الاوقات

نطرون فزان

بحيراته

صورة رائعة لفلاح طرابلسى ، وهو ممن لايثنيه عن خدمة أرضه حر ولا قر
واستخرج تربتها من تحت الرمال ، وسقاها بري الابار

المذكورة ، تعلوه اغشية ملحية تدعى النطرون ، ويختلف لونه ما بين البياض والحمرة الفاتحة ، ثم يجمعه الاهالى بالكراء على حساب الشركات التجارية ، وهذه ترسله للخارج بكميات عظيمة ، وفى زمن الايطاليين كان يذهب الى أوروبا عن طريق طرابلس ، واليوم صار يذهب اليها بطريق تونس ، وتقدر قيمة ما يستخرج من النطرون سنويا بنصف مليون جنيه ، وللان لم يتضح لنا الاغراض الصناعية التى يؤخذ لها النطرون ، ولكن الاهتمام باخذه الى هناك ، وما يدل عليه ايراده السنوى ، يؤكد لنا أنه ذو شان عظيم ، وبحيرات تونس الكائنة جنوبا حوالى تورزونفطة ، وأكبرها تمتد شرقا الى غربى قابس ، كذلك فى أشهر الصيف يغيض ماؤها كثيرا ، الى أن يصير لون بعضها بيضا كالثلج الناصع ، والسفات ، بتونس مكانه جنوبا ، باراضى المتلوى والرديف ، وهو من اعظم وأشهر ثروات تونس الطبيعية ، فقد مضى على استخراجه من تلك النواحى ازيد من خمسين عاما ولم ينته له محصول ، وبمرور الايام والسنين عليه ، صارت له فى جوف الارض مغائر لاستخراجه ، عميقة طويلة كمناجم التعدين الاوروبية تماما ، ويستخرج السفات منها بواسطة عربات صغيرة ، تجرى على خطوط حديدية ضيقة ، واستغلاله لشركات أوروبية محضة ، ونظرا لما له من الاثر الاقتصادى الهام ، فقد جذب اليه الوفا من العمال التونسة وغيرهم ، وسعى للعمل به طرابلسيون كثيرون ، وابرز هؤلاء عددا وجالية فى تلك النواحى هم ابناء بلدة مصراتة ، ولقد كانت هجرة الفريق المصراتى الى الرديف والمتلوى موطنى السفسات ، من أيام الاتراك وازدادت اليها بالاحتلال الايطالى ، حتى أصبح لهم الان بهاتين الجهتين ، قرى خاصة بهم ، فى عاداتها والظمة عائلاتها ، وعسير جدا أن تلقى اليوم فى مصراتة نفسها ، قبيلة أو عائلة ، وليس لها فرع ميت أو حى بتلك الاراضى السفاتية ، من ذلك ان والد المؤلف وآباؤه اصلا من قبائل (شوا) القاطنة على ضفاف بحيرة (تشاد) ، جنوبى ليبيا ، قد سافر هو أيضا زمن الاتراك الى جهات الرديف ، عاملا ثم متاجرا ، وفى سنة ١٩٠٩ م. عين فى بلدته مصراتة ، ملاحظا بمدرستها التركية ، أيام مديرها (الخوجة رضوان افندى) وكان ابنه المؤلف وقتئذ ، طفلا يتعلم القرآن فى جامع سيدى التواتى من قريبة الشواهدة ، على الفقيه الشهير المرحوم الشيخ مصطفى التريكى ، فنقله ابوه من هذا الكتاب ، وادخله معه فى المدرسة التركية تلميذا بسنتها الاولى ، وفى أول

مبلغ ايراده السنوى

السفسات تونس

عماله المصراتيين

والد المؤلف

طفولة المؤلف

ظهور الطريقة السعدية بمصراتة ، وارتفاع شانها باقاضل الرجال ، انتسب اليها والد المؤلف ، وصار من كبراء اخوانها ، ومن هؤلاء فى ذاك الحين ، المرحوم الحاج سالم

الحاج سالم

ابن شعيب ، أحد أعيان واثرياء الشواهدة فى زمانه ، وكان صديقا حميما لوالد المؤلف ، وجاره بيت بيت ، ومن غرائب الاتفاق ، ان زوجة المؤلف الحاضرة ، هى حفيدة الحاج سالم بن شعيب ، صديق والده من قبل ، وفى سنة ١٩١٠ م. ترك والد المؤلف وظيفته

العودة للرديف

بالمدرسة لقلة مرتبها ، ورجع لاعماله السابقة بالرديف التى كان قد جرب ربحها ، وظل من هنالك يرسل لعائلته بمصراتة مستلزمات حياتها ، وعلى أثر الاحتلال الايطالى

سفر المؤلف فى سوريا

سنة ١٩١١ م. ، ذهب المؤلف مع الترك فى بعثة مدرسية ، وفى اثناء الحرب العالمية الاولى سنة ١٩١٤ ، حين كانت سوريا لا تزال بيد الاتراك ، لظروف عامة نقل المؤلف للغرض نفسه الى عاصمتها دمشق ، وفى سنة ١٩١٨ م. حين دخل المرحوم

فيصل الاول واعماله

الامير فيصل دمشق واستقلت سوريا وتوج فيهما ملكا ، دخل المؤلف الى مدرسة دورية للبرق والهاتف كان مقرها فى دمشق بمحلة سوق ساروجة ، وبعد ستة اشهر ادى امتحاناته التطبيقية فى بعثة فنية انشات فى شرقى الاردن ، خطوطا ومراكز ما بين عمان و كرك الحجاز ، وذلك حين كان هذا الاقليم الكبير لا يزال تابعا لسوريا وكان حاكم الكرك العسكرى وقتئذ معين من قبل الحكومة الفيصلية وهو الكولونيل على خلقى بك الجرشى

أولى توظفه

وبعد رجوع البعثة لدمشق ونجاح المؤلف صار موظفا لعمله الفنى فى وزارة الحربية بنباية المشيرية ،أيام رئيسها القائد الشهيد ، يوسف بك العظمة ، وكان المؤلف فى وظيفة عمله بهذه الوزارة مرتبطا بشعبة اركان الحرب الاول المرحوم مصطفى وصفى بك ، ومن

مصطفى وصفى

هذه الشخصية العظيمة تلقح المؤلف بالروح المثالية المخلصة فى تادية الواجب وبفضل هذا الاركان الفذ ، خريج الكليات الحربية فى تركيا والمانيا ، رقى المؤلف لمثل عمله الفنى فى البلاط الملكى بمحلة الجسر ، ثم لتكاثر الاعمال فى شعبة الاركان الاولى ، بمناسبة حوادث ميسلون ومقدماتها ، اعيد اليها المؤلف هو ولفيف من زملائه

رفعت الايوبى

النجباء ، وفى عهد الانتداب عين المؤلف مامورا لمصلحة التلفونات فى قضاء دوما ، ايام متصرفها العظيم رفعت بك الايوبى ، ولما نقل هذا المتصرف الى ولاية حلب وبها توفى فقد به المؤلف سندا شفيقا رفع من قيمته فى ارض غربته ، (ذهب الذين احبهم : وبقيت مثل السيف فردا) ، فترك بعده خدمة الحكومة ، واحترف التعليم

احترافة التعليم

الحر الابتدائى فى دمشق ، من ذلك أنه اشتغل مدة فى مدرسة الناشئة العربية ، لصاحبها

الاستاذ العالم الشيخ محمد الدالاتى ، حين كانت بزقاق الحطاب وفيها تصاحب مع مواطنه الطرابلسى الأستاذ عبد الرزاق الباجقنى ، وكان عمله الرسمى بالمعارف وله ههنا بعض الحصص الاضافية ، وفى اثناء اشتغال المؤلف فى دمشق بالتعليم الاهلى شعر بنقصان ثقافته واتجه فكره الى الاستزادة منها ، ففى سنة ١٩٢٦م. بير الحسيبة النسيبة السيدة أنيسة اليشرطية ، حفيدة القطب العظيم سيدى على نور الدين آل يشرطا ، صاحب الضريح والطريقة النيرين بمدينة عكا الفلسطينية ، أعادها الله الى حظيرة العروبة ، وقد تعرف عليها قبلا حين ذهابه الى تركيا ، ثم وبما كان قد ادخره هو من مرتبات وظائفه السابقة ، كل من هذين الامرين الشريفين وحدهما قد يسرا للمؤلف فى ذاك التاريخ ان يسعى للقاهرة اتماما لتحصيله وتقوية لعربيته ، وبالكد المستمر وبالاستعداد الذهنى ، اخذ فى السنة الاولى من مجيئه ، الشهادة الابتدائية للازهر النظامى من الخارج ، وكانت بقوة منهاجها الاسلامية والعربية والرياضية والعلوم الحديثة امنع على غير المجدين من عقاب الجو ، وفى العهد الاول من مشيخة الامام المراغى للازهر ، تقدم لثانوية الازهر النظامى من الخارج وكانت مقرراتها الدراسية فى مستوى تجهيزية دار العلوم حتى فى مواد الجبر والهندسة ، وأدى امتحانها مطمئنا بالنجاح ، ولكنه فوجئ ان صدر قرار يمنع الثانوية من الخارج الا بعد اربع سنوات من أخذ الابتدائية ، وفى هذه الاثناء بتشريف اخوانه اياه من طلاب الرواق المغربى تولى رآسة اللجنة التى الفوها ، رغبة فى اصلاح الرواق واوقافه من جميع الوجوه ، وكان من اعضائها البارزين ، العالم المرحوم الشيخ فرج بن عبد السلام الفيتورى ، الذى شغل منذ ثلاث سنوات ادارة التدريس فى المعهد الاسمرى بزليتن ، ثم توفى فيها قبل ان يحقق رسالته الايقاظية ، فاتصل المؤلف بهذا السبب هو واخوانه الاعضاء بالامام المراغى كثيرا ، ووجدوا منه ما استحق به أن يكون خليفة استاذه الشيخ محمد عبده ، وتمغطس المولفه منه بمثالية اخرى اسلامية ، وقد بلغت اللجنة عنده من الحظوة ان اعترف بها رسميا ، وكادت لولا استقالته الاولى ان تظفر جميع مطالبها بالنجاح الباهر ، وحين شرح المؤلف للامام المراغى ما أصابه من تاخر بايقاف شهادته الثانوية من الخارج ، امر رحمه الله أن تعطى له بصفة ممتازة خاصة وأشار على ادارته بالاسباب المعقولة ، ولكن الامام المراغى استقال فى مرته الاولى قبل ان ينفذ امره ، وعوكس المؤلف بعده فلم تعط له ، وترك بعد المراغى العظيم الازهر ،

السيدة أنيسة

فى الازهر

الامام المراغى

تركه الازهر

والتسب رسميا بامتحان المعادلة ، الى مدرسة دار العلوم العليا الحكومية ، زمن ناظرها احمد براده بك ، وكان الفضل الاول فى تيسير دخوله لها بالمعادلة ، راجع الى

فى دار العلوم

عظيمين مصريين ، أولهما المرحوم صاحب الدولة محمد محمود باشا ، حين كان حوالى سنة ١٩٣٠ م. رئيسا للوزارة ، وثانيهما الى سكرتيره الخاص وقتئذ ، وزوج كريمته، وسفير مصر بامريكا الان ، وهو السيد كامل عبد الرحيم ، ورتبته قبل العهد المصرى الحاضر (باشا) ، اذ كان المؤلف فى ذلك التاريخ ، قابل السيد كامل وشرع له شخصيا عصاميته

اساتذته العظام

وطموحه وظروفه الخاصة ، واسترحم من صاحب الدولة محمد محمود باشا ، مساعدته الادبية، فظفر من كليهما بالتأييد الفعال السريع ، حتى تم له الالتحاق بدار العلوم على ذاك الشرط ، وفى سنة ١٩٣٥ نال منها اجازة التدريس ، بتفوق نوهت عنه فى حينه امهات الجرائد المصرية ، ومنها البلاغ والمقطم ثم الاهرام فى عددها المؤرخ يوم (١٩) اكتوبر مع نشرها لصورته ، وكان من المع أساتذته العظام فى دام العلوم العليا هم : العلامة الفيلسوف الدكتور على العنانى ، والجغرافى الشهير الشيخ محمد فخر الدين ، وفى الادب العربى الاستاذ الشيخ أحمد الاسكندرى صاحب كتاب الوسيط ، وفى اللغة والقواعد

بعد تخريجه

الاستاذ أحمد نجاتى ، وفى أصول التدريس ونظم التعليم ، المربى الكبير زكى المهندس ، وفى التفسير واحكامه عبد الفتاح خليفه ، وفى علم النفس عطية الابراشى ، وفى التاريخ حسن خليفه ، وهو المؤلف لكتاب تاريخ النظريات السياسية ، وفى البحوث الاسلامية وطوائفه كل من الاساتذة التونى وطه عبد البر والبشبيشى ، وغير هولاء من العلماء والاساتذة الاكابر كثير ، وكان من أعضاء اللجان التى حضرت امتحان تخرجه ، مصطفى أمين بك صاحب كتاب تاريخ التربية وجاد المولى بك صاحب كتاب الانسان الكامل ، والى التثقيف المخلص من جميع أولئك الاساتذة العظام ، وغيرهم مما يضيق المجال عن ذكرهم ، يرجع الفضل الاول فى احرازه على ذاك التفوق ، وبعد تخرجه أريد تعيينه بمدارس الحكومة المصرية ، ولكن نظرا لعدم تحصله على الجنسية المصرية ، اشتغل فى التعليم الحر بمدارس القاهرة ، واختاره صديقه السيد ولى الدين آل اسعد ، رئيس البعثة السعودية بالقاهرة ، استاذا ممتازا لفريق من طلابها الوجهاء ، وكان من بينهم

الحنين لاسرته

السيد حسن سرور الصبان ، ابن نائب وزير مالية المملكة العربية السعودية ، ثم تملك المؤلف الحنين الى رؤية والديه وافراد أسرته بوطنه ، فاضطر ان يذهب الى القنصلية الايطالية بالقاهرة لاثبات جنسيته ، كى تسمح له بالمجئ الى طرابلس ، وبعد متاعب

رجوعه لوطنه

منها شاقة ، رجع الى وطنه ثم الى مسقط رأسه مصراتة ، فوجد والده متوفيا بتونس بعد أن كبرت سنه وتبددت مكاسبه ، ووجد اخويه اللذين هما اكبر من المؤلف سنا ، قد ماتا زمن الحروب الوطنية قبل ان يتزوجا ، ووجد والدته حية وهي في حال أسيف ، وكانت له شقيقة اصغر منه ، وجدها متزوجة واحوال اسرتها الفلاحة باراضيها الخاصة حسنة جدا ،

المؤلف محمد بن مسعود فشيكة في سنة ١٩٣٥ م

وحين هم بالرجوع الى المشرق ، تسارع افاضل مدينة طرابلس الى الحكومة طالبين الانتفاع به لتثقيف ابناء وطنه ، فوافقت على رغبتهم وعينته ادارة أوقاف المدينة في المدرسة الاسلامية العليا ، أستاذا لطائفة من مواد العلوم الحديثة ، وفي العطلة الصيفية من تعيينه ، رجع لمصر لاحضار كتبه ولقضاء مصالح تعليمية هناك كانت مرتبطة من قبل به ، فانتهز المرجفون هذه الفرصة ، فقالوا عنه هنا ما شاءوا ، وقال عنه امثالهم بمصر ما شاءوا ، (ولايخلو المرؤ من صديق يمدح وعدو يقدح)

عودته لمصر

فعزل هنا بتدبير خفي وهو في مصر ، وبقيت والدته تدعو الله في صلواتها ، ان يرجع اليها ابنها الوحيد لينزلها الى قبرها على يديه ، وبقي هو في القاهرة مشتغلا بالتعليم الحر المشرفة عليه وزارة المعارف ، ولكن طلابه في المدرسة الاسلامية العليا هم وآباؤهم ، قالوا للحكومة نريد استاذا من مصر للعلوم الحديثة كمحمد بن مسعود ،

الرجوع الثانى

وقدر ربك ان تشترط المعارف المصرية على المدارس المعانة من قبلها ، ان يكون معلموها الفنيون من حملة الجنسية المصرية ، اذ رائحة الحرب العالمية الثانية كانت قد انتشرت ، وتحرج موقفه بهذا القرار فسعى للتحصل على الجنسية المصرية واستوفى شروطها وكاد يظفر بها ، فلم توافق على ذلك ايطاليا عملا بمعاهدة جغبوب المعقودة زمن زيور باشا ، فرجع سنة ١٩٣٩ الى وطنه للمرة الثانية معينا من القاهرة لوظيفته السابقة استاذا فى المدرسة الاسلامية العليا ، وتلقاه طلابها بالترحاب المزيد ، والى هؤلاء

بعد الحرب الثانية

يرجع الفضل الاول فى اخلاصه بخدمة التعليم فى وطنه ، وفى سنة ١٩٤٤ عين مديرا لمدارس مصراته العربية وفى مدتها على أثر حادثة دبرت للقضاء على مكانته توفيت والدته متأثرة وانزلها الى قبرها على يديه ، فحقق الله لها بذلك رجاءها منه ، وفى سنة ١٩٤٥ نقل الى مدينة طرابلس مشرفا على أولى دورات المعلمين المنتظمة ، ومن سنة ١٩٤٦ الى سنة ١٩٤٨ كان استاذا وقائما باعمال مدرسة طرابلس الثانوية ، وفى هذه المدة لم يسلم ايضا من منغصات عليه عامة ، وتطورت الاحوال

حب السلامة

التعليمية فزحزح بلباقة أو تزحزح هو بلباقة الى استاذ للتاريخ ويوم أريد ترقيته الى مدير للثانوية قال : (حب السلامة يثنى عزم صاحبه : عن المعالى ، ويغرى المرء بالكسل) وقال انى مطمئن الان الى وظيفتى باعتبارى مدرسا ، فكان له ما أراد ، وهو لا يزال على هذا الاعتبار ، شانا ومرتبا وعملا ، وقد أتينا بهذه اللمحة عن المؤلف ووالده تنويرا لذهن القارئ الكريم ، عن شخص الذى يقرأ كتابه ماضيا وحاضرا ، وتخليدا لفضل اولئك العظام الذين لهم المآثر الغراء فى تثقيفه

جالية البلدين

وفى الجهات الشمالية من تونس ، يوجد كذلك عدد كثير من افراد الجالية الطرابلسية ، واكثر المقيم منهم فى مدينة تونس هم من ابناء مدينة طرابلس ، واميز حرفهم هناك صناعة الانوال والتجارة ، واختلطوا مع أهالى مدينة تونس بالمصاهرة ، الى ان صار لبعضهم شان يذكر وتولى مناصب حكومية ملحوظة ، كما ان مدينة طرابلس فيها كثير من

سكان تونس

من الاثرياء والاعيان الذين هم من أصول تونسية ، وسكان القطر التونسى لم نعثر لهم على تعداد رسمى مضبوط ، فالمظنون انهم حوالى ثلاثة ملايين نسمة ، وسكان العاصمة يتجاوزون نصف المليون ، منهم نحو مائة الف أجانب اكثرهم فرنسيون ، وهؤلاء مشاركون لابناء البلاد فى المناصب الحكومية ، وفريق منهم مشرف على الشركات الاقتصادية ، كالترام والكهرباء وقنوات المياه والسكك الحديدية ، واعمال

الموانى ، ومناجم الفسفات ، وكانت الجالية الايطالية فى مدينة تونس تاتى بعد الفرنسيين فى الدرجة الثانية ، ولكن عددها بعد الحرب العالمية قد تناقص بالنزوح الى وطنها الاصلى ، ومن تبقى منها اندمج فى الجنسية الفرنسية ، ويليهم اليهود وهم المتسيطرون فى الحقيقة على معظم الامور الاقتصادية فى تونس العاصمة نفسها او فى غيرها من أمهات البلدان الشمالية ، وأما سكان طرابلس فللان لم يجر لهم تعداد فنى جديد ، وما سنذكره عن نفوسهم هو بتقديرات شبه رسمية ، اضطررنا لاعتبارها هنا وان كنا لا نجزم بصحتها ، فالمظنون بناء على تلك التقديرات ، أنهم ثمانيمائة الف نسمة ، منهم نحو ستين الفا من الاجانب أغلبهم من الطليان ، وفريق كبير من هؤلاء يحترف الزراعة فى القرى التى انشاتها لهم دولتهم من قبل ، والباقى يسكن العاصمة ، مشتغلا أو موظفا بالاعمال الفنية والصناعات الالية ، وأهالى مدينة طرابلس نحو مائة وخمسين الفا ، والعرب فيها كاخوانهم فى مدينة تونس ، هم الاكثر عددا ، ولكنهم الاظهر فقرا وجهلا وتاخرا ، وتستطيع ان تعرف من كثرة الحوانيت المقفلة فى أهم شوارعها يوم السبت ، ما لليهود فى مدينة طرابلس من نفوذ تجارى ومالى ، وأهالى القطرين مسلمون متبعون للمذهب المالكى ، وفى طرابلس فريق كبير على المذهب الاباضى ، وموطنه جبل نفوسة وبلدة زوارة ، نسبة الى الامام عبد الله ابن أباض ، الذى عرفت حياته ايام الدولة الاموية ، وقال عنهم العلامة الشيخ ابراهيم اطفيش فى مجلة (الجيل الجديد) المصرية ، عدد (٥) وتاريخ ٨ ديسمبر سنة ١٩٥٢م. وهو الان من فقهاء مذهبهم الكبار ، قال : «الاباضية هم أهل مذهب تابعى ، يعتمد على الكتاب والسنة ، لا يحيدون عنهما قيد انملة ، ويعتبر الخروج على الكتاب والسنة عندهم مروقا عن الدين ، ولهم مؤلفات منذ عهد التابعين فى الحديث الى يومنا هذا ، وكذلك فى أصول الدين والفقه المعتمد على الكتاب والسنة ، وهى متداولة بين العلماء شرقا وغربا ... اما الاعتقاد عندهم فهو التنزيه الخالص لله ، لا تشوبه شائبة ، ومن وصف الله بصفة المخلوق فقد شرك ، وعقيدتهم اساسها قوله تعالى : (ليس كمثله شئ) وقوله : (لم يكن له كفوا أحد) وقوله تعالى (وهو معكم اينما كنتم) ... وهم أشد ما يكونون حرصا على التنزيه المطلق لله ، عن كل صفة لمخلوق» وفى تونس كذلك يوجد اباضيون ، ولكنهم اقل عددا مما فى طرابلس ، فريق منهم يسكن شمالى تونس بجزيرة جربة ، وفريق يسكن جنوبا بنواحى قفصة ، وهم ابناء قرى السند وما جورة

سكان طرابلس

مذهب البلدين

المذهب الاباضى

والناصرية ، ويمتازون عن اخوانهم الاباضية فى البلدان الاخرى ، ببياض اللون وجمال الصورة وحسن القوام ، والمظنون ان هؤلاء يرجعون فى أصولهم الى أحد الاجناس الاربية وهى الرومان ، واللغة السائدة فى القطرين هى العربية المحرفة عن الفصحى ، وينطقون بها كاهل سوريا والعراق ومصر ، بلهجات عامية مختلفة النبرات ، وقد أصبح فى عامية البلدين ، بتاثير الاحداث التاريخية ، الفاظ أجنبية لا تحصى ، والجيل الحاضر فى مدينتى طرابلس وتونس ، معظمه يقدر أن يتخاطب فى الاولى بالايطالية وفى الثانية بالفرنسية ، سواء أكان متعلما أم أميا ، ولكن الايطالية فى طرابلس اخذت الان بين العرب تخف رواجا واستعمالا ، وبينما العامية التونسية بوجه عام اسلم الفاظا وأوضح معانى من لهجات الجزائر ومراكش ، اذا انت واجد العامية الطرابلسية متقاربة مع المصرية الدارجة ، فى جميع المدن والقرى الساحلية ، اما الجهات الغربية من طرابلس فهى مشوبة بالنطق التونسى ومفرداته ، والاباضيون كلهم ما برحوا يتحدثون فى أماكنهم الخاصة باللغة البربرية ، التى كانت لسان الشمال الافريقى قبل مجئ العرب اليه ، وألوان أهالى البلدين يغلب عليها البياض والانوف الشماء ، وفيهم عناصر سوداء من بقايا زمن الرقيق ، وأخرى سمراء من ذرية آباء بيض وأمهات سود ، وهاتين العنصرين فى مدينة طرابلس اكثر وجودا من ريفها ودواخلها ، ومن مدينة تونس وأقاليمها ايضا ، والسبب فى هذا راجع الى أن مدينة طرابلس ، كانت لها قبل الاحتلال الايطالى ، تجارات واسعة باكثر نواحى كنو ونجيريا وبرنو بافريقيا الغربية ، حين كان الجمل سفينة الصحراء ، وريش النعام ومن الفيل والطاووس والعبيد ، من مقتنيات ملوك وأمراء أوربا ورجالاتها العظام ، فتزوج الطرابلسيون المسافرون الى هنالك لاعمال اقتصادية بالنساء المحليات ، ولما رجع بعضهم الى وطنه أتى معه باولاده منهن ، ومن لم يرجع منهم لوطنه يرسلهم الى أسرته ليتعلموا وليخلفوه فى أمواله اذا ادركته الوفاة ، والفريق الاسود الصميم مبدأه مجلوب بالنخاسة ، ومن أجل هذه الاسباب كانت العناصر الحامية ههنا اظهر وجودا من مدينة تونس والنخاسة هى غير الرق الشرعى ، اذ شرط هذا فى الفقه الاسلامى هو ان يكون اسيرا فى جهاد لاعلاء كلمة الله ، وقد أفتى ببطلان النخاسة كثير من العلماء المسلمين الكبار ، ومن هؤلاء فى السنين المتاخرة العلامة الشيخ رشيد رضا صاحب مجلة المنار ، ونقله عنه الامير شكيب ارسلان فى كتابه (حاضر العالم الاسلامى) ، وكفاه بطلانا فى غير الجهاد الشرعى قول سيدنا عمر بن الخطاب : متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم امهاتهم أحرارا ، وفى الحقيقة

لغتهما الدارجة

العنصر الاسود

بطلان النخاسة

الرق عالمى

ان الاسترقاق بمعناه اللغوى أو الاصطلاحى ، وكما تشهد به التواريخ القديمة والوسيطة والحديثة ، قد جرى على امم الارض جميعا فى قاراتها الخمس ، ولا ادل على صحة ما نقول ، من تاريخ الماليك البيض ، ايام العباسيين بالعراق والفاطميين والايوبيين بمصر ، ولولا مراعاتنا للذوق الادبى لسقنا الامثلة الكثيرة ، مما وقعت فيه شعوب راقية وأمم نابهة وعلماء مسلمون من العباقرة ، ولم تثبت حوادثه الماضية ان افرادا من السود كانوا يبيعون اولادهم خشية املاق ، كما كانت تفعل هذا بعض الامم البيضاء بابنائها ، اذن فوصف السود الان بالعبودية وحدهم واختصاص فلولهم بوصمة الاسترقاق دون غيرهم ، وما يناديهم به السفهاء احيانا من ألفاظ ، عبد ووصيف ونيكرو ونيرو ، انما هو ضرب من الجهل المطبق ، والعواطف النابية عن الضمير الانسانى ، ولا صلة لها بالاخاء الاسلامى ولا بالاحساس القومى ، بل هى تترجم ان قائل تلك الالفاظ (العيب اشهى عنده لذة ، من لذة المال لخزانه ، فارم على غاربه حبله ، تسلم من كثرة بهتانه) ومن عاب صنعة فقد عاب الصانع ، ولكن أكثر الناس لا يعقلون ، واتماما للفائدة فان السمر فى مدينة طرابلس ، بحكم قرابتهم من الاسر البيضاء ، هم احسن احوالا اجتماعية ، من جميع السود الاخرين المتبقين من أيام النخاسة ، فالقسم الاعظم من هؤلاء السود يحترف الخدمات البدنية ، ومنهم افراد يشغلون وظائف رسمية تافهة ، والاخرون فى بلدان داخلية متفرقة ، ، كونوا لهم بالصبر العجيب والمشاق الهائلة ، حياة فلاحية مستقلة ، أو حياة تجارية فى نفس مدينة طرابلس ، ولكن حتى هؤلاء يعدون فى الحقيقة بالآحاد لا بالعشرات ، ولم يصلوا فى حياتهم الاجتماعية لغير الدرجة الوسطى ومما لا شك فيه ان حالة السود الثقافية ، كانت فى طرابلس ايام الاتراك بوجه عام خيرا منها بعدهم ، فقد فتحوا وقتئذ لاذكيائهم ابواب المدارس الحكومية على اختلاف درجاتها ، ويسروا لهم الترقى حسب استعدادهم ، الى أن وصل فريق منهم الى أعلى المناصب الادارية والعسكرية ، ومن بقايا المتخرجين فى مدارسهم العسكرية الان ، شخصية نابهة لا تخفى على ابناء البلاد ، ومتولية لمنصب ادارى كبير فى احدى الجهات الطرابلسية ، ويوم زرنا تونس اخبرنا ان اثنين من السود فى وظائف حكومية بارزة ، احدهما ضابط برتبة (كبتان) رئيسا على احدى الثكنات ، والاخر فى العاصمة مديرا لمدرسة ابتدائية كبيرة ، وقد دعينا لزيارته فلضيق وقتنا لم نستطع ، والتاريخ الاسلامى يذكر لنا من العظماء السود ، فى الحرب والحديث والفقه والعلم والادب

التنابذ بالالقاب

حالتهم الاجتماعية

السود والترك

السود فى التاريخ الاسلامى

والفنون ما لم تره لامثالهم فى الامم والاديان الاخرى ، وانك واجد كثيرا من هذا ومن أخبارهم ومناقبهم المفصلة ، فى كتاب السود من الرسائل الخمس للعلامة الجاحظ ، وهو نفسه يمت اليهم بعرق نسب ، وزاد عليه فذكر بعضا من أفذاذهم ، العالم المصرى البحاثة الدكتور أحمد امين فى كتابه (ضحى الاسلام) ، خذ مثلا من اكابر السود أن سيدنا (جليبيبا) كان أسود ، من الصحابة الافذاذ السابقين ، استشهد فى احدى غزوات البعثة ، بعد ان قتل من المشركين سبعة أنفار ، ويدلك على سمو منزلته عند النبى صلى الله عليه وسلم ، أنه حمله الى قبره على ساعديه الشريفين ، وهو يقول :(أنه منى وأنا منه) ، وكان المدعو وحشيا اسود ، واشجع من عرف فى زمانه ، فقد قتل فى غزوة احد وهو مشرك سيدنا حمزة بن عبد المطلب عم النبى ، ثم بعد ان اسلم وحشى قتل فى حروب الردة (مسيلمة الكذاب) ولهذا كان يقول عن نفسه قتلت خير الناس وشر الناس ، وكان سعيد بن جبير رضى الله عنه اسود ، ومن أعظم رجالات الحديث الاولين الاكابر ، وكان نصيب اسود ، ومن المع شعراء العهد الاموى ذكرا وعفة لسان وطهارة نفس ، ومن أعلام السود فى هذا الزمن ، رباح بن عطاء الله ، وكان من أفقه العلماء بمناسك الحج ، ويروى أن الخليفة سليمان بن عبد الملك كان لا يحضر درسه الا وهو مثنى أمامه لركبتيه ، وعبادة ابن الصامت كان اسود ، وهو الذى أنابه عمرو بن العاص حين فتح مصر ، بمفاوضة عظيمها المقوقس ، و (ذرياب) ، ذلك الاسود الموسيقى النابغة ، بماذا نحدثك عن فنونه وعبقريته ، نحدثك انه تتلمذ فى العراق بدراسة الاغانى والعزف بالاتها ، على مبدع الموسيقى العربية (اسحق الموصلى) ، ولم يلبث طويلا حتى جارى استاذه تفننا وبراعة ، ونمى صيته بهذا شرقا وغربا ، فاحتال عليه ملوك الاندلس الامويون واجتذبوه اليهم ، ويوم وصل الى تلك الربوع الزاهرة ، ما زال يحذق صناعته فى قصور الامراء والعظماء ، ويشدو بالحان اغانيه الشجية الساحرة ، وبموسيقاه المبتكرة الجذابة ، حتى صار ذرياب فى الاندلس بمنزلة (بتهوفن) باوربا أو سيد درويش بمصر ، ولما مات قامت بناته فاحيين فنه بين ربات الحجال وحزن ايضا أقبالا وأى اقبال ، ومن اروع ما يذكر من قصائد السود ، ان المدعو منهم الحيقطان ، هجاه شاعر بلفظ بذئ ، على لبسه ثوبا أبيض فى يوم عيد وهو أسود ، فرد على هاجيه بقصيدة ، قيل ان أهل اليمامة احتجوا بها على قريش ومضر ، ومن أحسن ما جاء فيها قوله :

جليبيب

وحشى

ابن جبير

نصيب

رباح

عبادة

ذرياب

منزلته بالاندلس

الحيقطان

لئن كنت جعد الرأس والجلد فاحم .·. فانى لسبط الكف والعرض أزهر
وان سواد اللون ليس بضائرى .·. اذا كنت يوم الروع بالسيف أخطر

وهجا جرير بن الخطفى بنى تغلب قائلا :

لا تطلبن خؤولة فى تغلب .·. فالزنج اكرم منهمو اخوالا

ابن رباح شار

واذا فارس اسود اللون ، من الشعراء الفحول ، واسمه (شيخ بن رباح شار) ينبرى له بهجاء شعرى ، وقول استفزازى ، من أبلغ وأقوى ما عرف من نوعه فى كتب الادب عند الاولين ، وكانت من نفس قافية وروى قصيدته كما جرت به عادة القوم فى ذلك الحين ، ومنها :

من شعره البليغ

سال بال كلب من كليب سبنا .·. ان لم نوازن حاجبا وعقالا
والزنج لو لاقيتهم فى صفهم .·. لاقيت ثم جحاجحا ابطالا
ومربطين خيولهم بفنائهم .·. وربطت حولك شيهما وسخالا
كان ابن ندبة فيكمو من نجلنا .·. وخفاف المتحمل الا ثقالا
هذا ابن خازم بن عجل منهمو .·. غلب القبائل نجدة ونوالا
فلنحن أنجب من كليب خؤولة .·. ولانت الام منهمو اخوالا

سبب الالوان البشرية

والسواد والبياض فى الاجناس البشرية ، سببهما ناشئ عن الاحوال الجوية فى اراضى اقامتهم ، ثم الى توارثهم عن اسلافهم ما كان لهم من الوان وسحن ، فالمقيمون منهم فى صميم المنطقة الحارة ، او ما يقع فى حيزها ، كاهل الهند وسيام والفيليبين وجزائر اندونيسيا واليمن والصومال والحبشة والسودان والمصرى ، وبنوع خاص أولئك الافريقيين ، المتعامدة فوقهم بخط الاستواء اشعة الشمس ، لتعرضهم جميعا هم واجدادهم الاولون ، لشدة الحر وقوة الضوء ، تلونت ابدانهم بالسواد الحالك أو الفاتح ، وبالسمرة الداكنة أو الخفيفة ، وكذلك بتاثير المناخ الحار فى تلك البقاع ، كانت شعور سكانها ،

شدة الحر

الهواء الساخن

اما سوداء متجعدة او سوداء ناعمة ، ولتنفسهم بعمليات الشهيق والزفير فى الهواء الساخن ، انفطست أنوفهم انفطاسا زائدا او خفيفا ، واظهر المتصفين بهذا الانفطاس ، هم السود الحاميون ، والبيض الجاويون والسومطريون وأهل الملايو وبرنيو ، ، اذ الشئ عادة ، تمدده الحرارة ويكمشه البرد الصقيع ، ولا سيما اذا خضع الانسان للتنفس فى الهواء الحار ، وتاثيرات مناخه ، من آلاف القرون وملايين السنين ، ولذلك اذا تحولت الى اقصى الشمال الاوروبى ، تجد أن الوان سكانه وأوصاف خلقتهم ، مخالفة لامم المناطق الحارة كل المخالفة ، تجد أن شدة البرد هناك ، وندورة الحرارة الجوية ، وضوء الشمس

شدة البرد

القليل ، كل قد جعل اهل : فلندا والسويد والنرويج والدنمرك والالمان والانجليز ،

الالوان الوسيطة

لهم أجسام ذات بياض ناصع ، وشعر أشقر ، وعيون زرق ، وانوف شماء دقيقة ، ومن جاء من الناس بعد ذلك ، على بياض وسيط ، أو لون قمحي ، او سمار خفيف ، فهو ناشئ عن اعتدال الاقليم الذى يعيشون فيه او موروث عن الاباء الغابرين ،

صبغة الله

والى هذه السحن البشرية كلها ، اشار القرآن الكريم بقوله ، صبغة الله ومن احسن من الله صبغة ، ومن آياته خلق السموات والارض واختلاف السنتكم وألوانكم

تاريخهما قبل العرب

أصل اجناسهما

وكما اتفق البلدان فى أحوالهما الجغرافية والاقتصادية والاجتماعية ، التى ذكرناها سابقا ، فان هذا الاتفاق نفسه سيمر بنا فى حوادثهما التاريخية من اقدم العصور الى الوقت الحاضر ، فسكانهما القدماء كانوا راجعين الى أصل واحد ، وهو الجنس الليبى على رأى ، أو البربرى على رأى آخر ، والجنس الليبى أو البربرى ، أهو ناشئ من الجنس الارى الذى ينتسب اليه الاوروبيون ، ام هو ناشئ من الجنس السامى الذى من نسله العرب والفنيقيين ؟ ام من الجنس الحامى المنحدر منه الافريقيون السود ، ؟ وفى الاجابة على هذه الاسئلة الاستفهامية خلاف كبير ، والقول الراجح عن اصل الليبيين أو البربر ، أن دماءهما مزيج من الاجناس الكبرى الثلاث ، الارى والسامى والحامى ، وآثار البلدين فى العصور الحجرية والتالية لها ، تدل على ان سكانهما كانوا متوحشين مثل بقية الامم الاخرى فى ذلك الحين ، والمكتشف فى أراضيهما من آثار العصر الحجرى لا تخالف بينها جدير بالذكر ، وفى معتقداتها الوثنية كانت لهما معبودات كثيرة من الظواهر الطبيعية ، كتقديس الكهوف والاشجار والزلازل وغيرها ، ثم تحولا بمرور السنين وتطور الفكر الانسانى الى المعبودات الحيوانية ، وكان من أشهر آلهتهما معبود من البقر يسمى (غرزيل) كالهنود والفراعنة تماما ، وروى هيردوت الاغريقى انه كان له معبد كبير فى طرابلس عند قبيلة تدعى (اليقطاق) ، وهيردوت عاش فى القرن الخامس قبل الميلاد ، وساح فى ممالك البحر الابيض المتوسط ، وزار طرابلس وكتب عنها فى تاريخه البحوث القيمة ، ومن غرائب بقاء العادات والتاثر بها ، ان أكثر الطرابلسيين والتونسة وعلى الخصوص اهالى الارياف ، ما برحوا حتى الان يتفرون

العادات المتوارثة

من التغذى بلحوم البقر ، بل أن جهة من أراضى طرابلس الغربية فيها قبيلة تتشاءم حتى من رؤيته ، وحضارة البلدين قديما وحديثا كانت فى الغالب مستمدة من أراضيها الجافة ، وقد أشتملت على عمران وزراعة وانظمة حكم بما كان يلائم اجتماعيات بيئتهما القديمة ، وكان لهما لغة ذات احرف كتابية ، عرفت أو اشتهرت بالخط الليبى ، ولكن حضارتهما مع ذلك كله ، لم تبلغ بتاتا درجة السمو الذى وصلت اليه حضارة الفراعنة بمصر والبابليين فى العراق ، اذ أن هاتين فى الحقيقة ازدهرتا بالنيل والفرات لا باراض جافة ، وبقيت حياة البلدين فى الازمان السحيقة غامضة الى أن جاءهما من لبنان الفنيقيون ، لنفس الاغراض الاقتصادية التى أتجروا من أجلها فى جزائر البحر الابيض المتوسط واسبانيا ، فانشاوا لهم فى طرابلس مدنا أو مراكز ثلاثا ، هى صبراتة وأويا ولبدة ، والتاريخ المضبوط لانشاء هذه المدن ، او تاريخ اتصالهم بالقطر التونسى لم نهتد اليه بالدقة بعد ، وبحسب تقديرنا واجتهادنا الخاصين ، أنه كان حوالى القرن التاسع قبل الميلاد ، وهناك مصادر على خلاف هذا الرأى ، وفى سنة ٨١٤ ق.م. شيدوا فى تونس مدينة قرطاجنة ، وسنذكر فيما بعد لمحة عن قصة تاسيسها عند الكلام عن وصف اطلالها ، ولما أرتفع شان قرطاجنة وصارت دولة عظيمة برا وبحرا وغنى وملكا واسعا ، استولت على كلا القطرين بالقوة الحربية ، وجعلتهما خاضعين لها معتبرة اياهما بلدا واحدا ، وقد استغلتهما اقتصاديا مع اقليم فزان وحاصلات السودان الغربى ، بثلاث طرق كبرى ، كان الاول والاهم يبتدئ من لبدة الى قرطاجنة ، وطوله خمسمائة واثنا عشر ميلا ، والثانى من صبراتة الى فزان ، والثالث من قابس الى فزان سارا بواحة غدامس ، وبذلك أنفرد القرطاجنيون او الفنيقيون بخيرات هذه البلدان وحدهم ، وبلا أى منازع ، وكانت لهم من أكبر الاسباب فى ترقية دولتهم بالمغرب ، واتساع نفوذها الخارجى ، وقد اندمج الفنيقيون فى حياة البلدين ، حتى اقتبسوا لغتهما وخطهما الليبى ، وكونوا من ذلك لهجة وكتابة عرفت باللغة البونيقية ، كما اخذ عنهم التوانسة والطرابلسيون طائفة من الفوائد الاجتماعية ، من ذلك اقتباسهم اساليبهم التجارية وتربية النحل وتعلم الدباغة وغراسة النخيل والخضراوات ، ثم نازعهم الرومان على السيادة فى حوض البحر الابيض المتوسط ، وتحاربوا بسببها فى مدة قرن ثلاثة حروب كبرى ، وفى سنة ١٤٦ ق.م. تغلب عليهم الرومان بمعركة زاما الفاصلة ثم دخلوا عاصمتهم قرطاجنة بالقوة الجبارة وخربوها ، وعلى أثر هذا الانقلاب التاريخى ،

حضارتهما القديمة

عهدهما الفنيقى

بناء قرطاجنة

استغلال البلدين

الفوائد المتبادلة

عهدهما الرومانى

رقيهما فيه

صار البلدان تحت سيطرة الرومان ، وقد ظلا محكومين لهم نحو اربعة قرون، وفي هذه الاثناء رأتا أزهر عصورهما قبل العرب ، ذلك أن الرومان اشركوا ابنائهما في الوظائف الصغيرة والهامة ، وبثوا في انحائهما العمران المدني والزراعي ، وفتحوا امام سكانهما ابواب التعلم ، ومنحوا كثيرا منهم لجدارته حقوق المواطن الروماني ، ولا ادل

سبتيميو

على صدق هذا ، من تاريخ الامبراطور (سبتيموس سفاروس) الليبي أصلا والطرابلسي مولدا ، فقد ولد في قرية بجانب لبدة سنة ١٤٦ بعد الميلاد ، وتلقى اول تحصيله في مدينة لبدة ، ثم اتمه في معاهد روما ، وتخرج منها محاميا وزاول حرفته هذه في نفس روما ، ويوم تجند في الجيش الروماني توصل فيه بشجاعته الى رتبة قائد عظيم ، وفي سنة ١٨٠ م. أيام الامبراطور (كومودوس) اسندت اليه عدة مناصب هامة ، في كل من سوريا وايطاليا ، وفي سنة ١٩٢ م. عين واليا عاما لاقليم (غاليا) في جنوب فرنسا ، وفي هذه المدة تزوج بفتاة حسناء اسمها (جوليا) كانت عرفته حين كان يواليها مدينة حمص من أرض سوريا ، وجاء زواجه بها فالاحسنا عليه اذ بعد سنة من تاريخه عين قائدا للجيوش المرابطة على سواحل ايطاليا واتخذ مقره في جزيره صقليه ، فلما اضطربت احوال الحكومة

جوليا

صورة الامبراطورة جوليا زوجة الامبراطور سبتميوس سفاروس

امبراطوريته

في مدينة روما ، انتخبه جنده سنة ١٩٣ م. امبراطورا رومانيا ودخلوا به العاصمة ، وسرعان ما دانت له بالطاعة وجارتها في هذا الامر جميع الاقطار الاخرى ، وكان فضله على الطرابلسيين خاصة وأهل المغرب عموما مما لا تمحوه السنون ، ولقد كان سبتيموس

عظمته

عند الرومان وفي تاريخهم بمنزلة يوليس قيصر شهرة وعظمة واعمالا مجيدة وتوفي سنة ٢١١ م. في مقاطعة يورك من ارض الجزائر البريطانية ، ومن أشهر اولاده غيتا وكركلا، وقد تولى هذا بعد وفاة ابيه الحكم باسم الامبراطور اسكندر سفاروس ، وذكرنا طرفا من احواله في الجزء الاول من تاريخ ليبيا العام الطبعة الثالثة ، ولما غزت مدينة روما

عهدهما الوندالي

حوالى سنة ٤٠٥ م قبائل الهون ودمرتها ، جاء منها الى اسبانيا فرع يسمى الوندال

فاستولى عليها ، ثم زحف على شمالى افريقيا وانتزعه من القائد الرومانى (بونفاشيو) ، وبذلك دخل البلدان تحت الحكم الوندالى ، وقد رأيا من فظائعهم ما يشيب بلـه الطفل الرضيع ، وخربوا مدينة لبدة الزاهرة وجعلوها اكواما من التراب ، والحجارة ، وكان الرومان قد أصلحوا مدينة قرطاجنة فاتخذها الوندال عاصمة لهم ، على انها هـى أيضا لم تسلم فى أول غزوتهم اياها من اتلافاتهم ، منضما اليها بلدان نفوذهم فـى المغرب وجنوبى اسبانيا ، وأخيرا حين تفاقم طغيان هذا الفاتح الزنيم ، ثار عليه سكان المغرب جميعا من سرت شرقا الى شواطئ المحيط الاطلسى غربا ، ثورة عامة كاسحـة ، وانتهز (جستانيوس) امبراطور القسطنطينية ، هذه الفرصة النادرة لاسترجاع المغرب الى الحكم الرومانى فساند الثائرين بالجند والاساطيل ، تحت رآسة قائده العظيم بلزار أو (بلزاريوس) ، ولم يقو الوندال على هذه القوات المتحالفة فانكسروا امامها سراعا سنة ٥٣٣ م ، وحلت مكانهم فى البلدين الدولة البزنطية فى زمن امبراطورها المتقدم الذكر (جوستانيوس) وهى المعروفة فى تواريخ العرب باسم الروم ، ومن أظهر احوال البلدين زمن الروم ، أنه انتشرت فيها الديانة المسيحية ولكنها اقتصرت غالبا على بلدان سواحلهما وفى مجالات ضيقة محدودة ، وبقيت دواخلهما الجنوبية على وثنياتهمـا القديمـة ، ولو ان المسيحيـة كانـت سائـدة فى البلديـن قبـل مجـئ العـرب لكـان لها فيهمـا بقايا للان كما هو الشان فى مصر وسوريا والعراق ، وكان عهد البزنطيين فـى تونس وطرابلس بالنسبة لمصائب الوندال ، حسنا مقبولا من وجوه متعددة ، فخففوا عنهما الضرائب وتركوا جبايتها لابناء البلاد ، ومنحوهم نوعا من الاستقلال الداخـلى ، وجندوا منهم فرقا تركوها تحرس شواطئ بلادهما ، وظلت احوال الطرفين على هـذا النمط ، الى ان كانت سنـة ٦٤٣ م و سنة ٢٣ هـ ، ففى هذا الحين أنتزع العرب منهـم طرابلس بقيادة عمرو بن العاص ، وبذلك كانت طرابلس اسبق من تونس فى اتبـاع الاسلام ، وفى سنة ٢٩ هـ أيام الخليفة سيدنا عثمان بن عفان ، تمكن والى مصر عبـد الله بن أبى سرح ، من الزحف على تونس فى جيش كبير يسمى غزوة العبادلة ، نظـرا لما كان فيه من كبار الصحابة وابنائهم المسمين بعبدالله ، فاستولى عليها بعد ان هزم الروم وقائدهـم جرجير أو (جرجريوس) فى معركة سبيطلة الفاصلة ، واعتبر العرب تونس وطرابلس اقليما واحدا ، اطلقوا عليه اسم (افريقية) وأضيف أمرهما الى والى مصر فى القاهرة ، وفى عهد الخلفاء الراشدين رحبنا بالحكم الاسلامى لما وجدنا فيه من العدالة

عهدهما البزنطى

تاثرهما بالمسيحية

الحكم البزنطى

الفتح العربى

غزوة العبادلة

من الاموى للعباسى

عهدهما الاموى

غير أنه ما كاد يطلع عليهما حكم الامويين حتى انفجرتا مع المغرب كله بثوران عظيم أوشك ان يزيل عنهما الحكم العربى من شمالى افريقيا برمته ، واستمرت فيهما الفتن والاضطرابات متفاقمة ودماء الحروب سائلة ، مدة سبع وخمسين سنة تقريبا ، اى من سنة ٤٠ هـ. ايام الخليفة معاوية بن أبى سفيان ، الى خلافة الوليد بن عبدالملك سنة ٩٦ هـ. و ٧١٨ م ، وترجع تلك الثورات الهائلة الى عدة اسباب اجتماعية وسياسية

اسباب ثوراتهما

(ا) منها ان زعماء البلدين والمغرب فقدوا بالفتح العربى الديمقراطى ما كان لهم فى العهد الرومانى والبزنطى من نفوذ وامتيازات . (ب) ومنها أنهم نقموا على العرب والامويين لانفرادهم بمناصب الدولة وحدهم (ح) زد على ذلك دسائس الروم فى شمالى افريقيا لاخراج العرب من اقطاره (د) ـ وتاثر المغاربة جميعا بالخلافات الدينية التى وقعت فى المشرق بعد ان قتل سيدنا عثمان وعلى ، ولكن الخليفة عبد الملك بن مروان الذى تولى الامر سنة ٦٥ هـ ، وتوفى سنة ٨٦ هـ ، استطاع بما كان يتحلى به من قوة الارادة والحزم الصارم ، ان يخمد حروب المغاربة الهوجاء قبل ان يرتحل الى الدار الاخرة ، ولقد كان فى هذا العهد من أحسن ولاة البلدين وعظمائهما العرب ، افذاذ أربعة ، وهم عقبة بن نافع الفهرى ، وزهير بن قيس ، وحسان بن النعمان وموسى بن نصير ، فعقبة هو الذى فى زمانه جعل البلدان ولاية مستقلة مرتبطين بدمشق عاصمة الخلافة الاموية ، وقد تعين لولايته مرتين الاولى سنة ٥٠ هجرية ، زمن معاوية بن أبى سفيان ثم عزل عنها فى زمانه ، لاسباب ناجمة عن وشايات خصومه ، وفى أيام الخليفة يزيد ابن معاوية ، حوالى سنة ٦٢ هـ ارجع واليا للمرة الثانية ، ومن أشهر اعمال عقبة فى البلدين ، أنه سنة ٥٥ هـ اسس بتونس مدينة القيروان ، وجعلها عاصمة للحكم العربى فى شمالى افريقيا ، وفى طرابلس قضى على ثورات برقة وفزان وغدامس ، واتخذ بلدة زويلة مركزا عاما للجيوش العربية بالمغرب ، وكان من احسن الولاة تادبا وسلوكا حميدا مع أهالى ولايته ، فقد عاملهم بمنتهى الرأفة والحلم ، وتودد لغير المسلمين منهم حتى دخلوا فى الاسلام برغباتهم المحضة ، وتطوع من هؤلاء فى جيشه العدد الكثير من شبانهم ، ولا غرو بذلك فان عقبة كان يعظ الناس ويريهم حقيقة الحكم العربى والدين

الخليفة عبد الملك

عقبة

اعماله

نسبته

الاسلامى بافعاله هو لا باقواله ، وحسبه فخرا أنه من فهر ، وفهر مدحهم سيدنا حسان ابن ثابت شاعر النبى قائلا :

ان الذوائب من فهر واخوتهم .·. قد بينوا سنة للناس تتبع

يرضى بها كل من كانت سريرته .·. تقوى الاله وبالامر الذى شرعوا

حروبه الظافرة

وفى ولاية عقبة الثانية اندلعت ثورة المغرب الاولى ، وغذاها الروم بما قدروا عليه من قوة ودسائس ، وكانت بقيادة زعيم مغربى يدعى كسيلة ، وامتدت الى تونس والنواحى الغربية من طرابلس ، وأزاء هذا الحادث الخطير هب عقبة وجنده المغوار ، يحاربون اولئك العصاة بشجاعة الابطال الواثقين من جدارتهم بانتزاع النصر ، حتى ولو كان بين مخالب الاسود وأنياب الافاعى ، وما زالت المعارك بين

منظر عمومى لمدينة القيروان التى اسسها عقبة بن نافع

الطرفين ، دائرة بعنف الى ان انخذل الثوار ففروا غربا بلا انتظام ، وتبعهم عقبة موسعا فتوحاته ، الى ان استولى شمالا على طنجة وجنوبا على اقليم السوس بمراكش ، ولما وصل الى شاطئ المحيط الاطلسى ، رفع حسامه قائلا : ليشهد الله لولا هذا البحر لمضيت غازيا فى سبيلك ، وفى أثناء رجوعه الظافر الى القيروان ، اغتيل بكمين من بقايا فلول الثوار ، فمات شهيدا بعد ان كسر وهو يدافع عن نفسه حسامين ، وزهير بن قيس كان نائبا لعقبة فى الولاية والقيادة ، وبمنزلته شجاعة واقداما ، عينه الخليفة عبد الملك ابن

استشهاده

زهير

مروان خلفا لعقبة ، ليأخذ بثار قائده العظيم ، وليحفظ هيبة العرب وحكمهم بارض المغاربة ، فكان زهير عند حسن الظن به ، فلما اعاد كسيلة ثورته الكبرى الثانية ، تلقاه زهير بن قيس بالنضال العسير حتى قتله ، وزحف على الثائرين فاستعاد منهم جميع البلدان التى أخذوها ، وبذلك حقق لسيده الخليفة عبد الملك الامرين : أخذ الثار وحفظ الهيبة ، وتحقق لزهير أمر ثالث كان يرجوه لا خرته ، فبينما هو عقب انتصاراته الباهرة راجع للشام ، وجد حين وصوله لبرقة جماعة من البزنطيين ، نزلت من الاسطول وكانت تتقاتل فى شواطئ درنة مع فريق من العرب ، فانجد زهير اخوانه ، وما زال يجاهد معهم حتى استشهد ، وهكذا تموت افذاذ التاريخ الحربى العظام ، تموت فى ميدان الوغى أو بين مصارعة الاهوال ، وما كادت تونس وطرابلس والمغرب ، تسمع فاجعة المسلمين بوفاة زهير ، حتى قامت فيها جميعا ثورة اخرى عامة للمرة الثالثة ، وكانت هذه أفدح خطورة من الاولى التى استشهد فيها عقبة ومن الثانية المنتهية بقتل كسيلة ، وتزعمتها فى هذه المرة امرأة بربرية اسمها داهيا ولقبها الكاهنة ، ذات حزم صارم وشجاعة فائقة ونفوذ كبير ، ورماها الخليفة عبد الملك باصلب قادة جيوشه عودا ، وهو حسان بن النعمان الغسانى ، ولما وصل الى ارض ثورتها ، نازل جموعها فحالفه النصر فى بادئ الامر ، ثم تغلبت عليه آخذة منه اراضى تونس والقيروان ومدينة طرابلس ، وتقهقر هو أمامها الى اراضى مصراتة الجنوبية ، وأراد الاستمرار فى انسحابه الى برقة ، ولكن عبد الملك سيد الابطال المغاوير فى زمانه ، لما وصلته الانباء عن احوال قائده حسان ، امره أن يبقى فى أراضى مصراتة مهما تكن خطورة موقفه ، الى أن ترسل له النجدات ، فامتثل الامر وظل مكانه منتظرا خمس سنوات ، وفى أثناء هذه المدة خربت الكاهنة عمران المغرب ، ولا سيما البلدان الساحلية لتمنع العرب من الانتفاع بخيراتها ، ولما تلقى حسان المدد كر غربا ، فاستولى على كل من طرابلس والقيروان وتونس ، وحاصر الكاهنة فى وادى (مسكيانة) وأخيرا تغلب عليها وقتلها ، واليه ينسب مؤرخون من العرب انشاء مدينة تونس ، وعلى أثر تغلبه على الثورة الثالثة رجع الى المشرق ، وكان عبد الملك بعد ان خضع شمالى افريقيا قد توفى ، فخلفه ابنه الوليد سنة ٨٦ هـ. فعين للبلدين والمغرب البطل العربى الشهير ، موسى بن نصير ، واتخذ مقره مدينة القيروان ، ومن أهم اعمال موسى الخالدة فى اثناء ولايته ، أنه أستكمل القضاء على شرازم الثوار ، ثم نشط العمران على اختلاف انواعه ،

انتقامه

استشهاده

ثورة الكاهنة

حسان

تقهقره

تغريب المغرب

قتل الكاهنة

موسى وأعماله

فانصلحت به تخريبات الكاهنة ، وراجت التجاره وساد الامن ، وازداد العرفان الثقافى، وقسم أنحاء اسارته الى ادارات حكومية ، واسند اليها الموظفين الاكفاء ، وجعل شمالى افريقيا ثلاثة أقاليم كبرى ، هى المغرب الادنى ويشمل طرابلس وتونس ، والمغرب الاوسط ويشمل القطر الجزائرى ، والمغرب الاقصى ويشمل جميع البلدان المعروفة لدينا الان باسم مراكش ، وألف بين العرب والبربر فجعلهم فى جيش واحد تحت قيادة فارس من أبناء المغرب اسمه طارق بن زياد وكان حاكما لمدينة طنجة ، ثم فتح هما الاثنان الاندلس سنة ٩٢ هـ و ٧١٦ م ، وبعد هذا الفتح استدعاهما الخليفة الوليد ابن عبد الملك الى دمشق ، ولم يحظهما انهما وصلا الى العاصمة الاموية والوليد على فراش الموت ، فلما خلفه اخوه سليمان ابن عبد الملك ، نقم عليهما لاسباب لا تزال حقيقتها مجهولة ، واختلفت فيها آراء المؤرخين ، قيل لان موسى بن نصير كان ايام عبد الملك فضل ان تكون الخلافة للوليد اخى سليمان ، وقيل لان موسى لم يحتفظ بالغنائم التى اتى بها من الاندلس حتى يموت الوليد فيتسلمها سليمان ، بل اعطاها للوليد وهو على فراش الموت فكان اكثرها لورثة الوليد ، ثم ان سليمان نفى موسى الى الحجاز وبقى هناك حتى مات فيه فقيرا ذليلا ، وأما طارق فانه بعد ذهابه لدمشق لم تعرف آخرته ، ومصير هذين البطلين العظيمين من اسواء ما فى تاريخ سليمان بن عبد الملك ، وبعد موسى شغل محله بالقيروان فى مدة ثلاثين سنة اثنا عشر واليا ليس فيهم من يستحق باعماله الذكر ، وفى سنة ١٣٢ هـ و ٧٥٠ م زال الحكم الاموى بظهور الدولة العباسية ، وعلى أثر هذا الانقلاب ، تكاثرت فى المغرب الفتن والقلاقل وظهور الزعماء المتسيطرين ، وظهر بنواحى الجزائر ثائرون خرجوا عن الدين الاسلامى بتاتا ، وهم من قبيلة تسمى ورفجومة ، فعاث رجالها بالارض فسادا ، الى أن استباحوا القيروان ، واتخذوا فيها جامع عقبة بن نافع اصطبلا لخيولهم ، والتجا اغلب أهالى القيروان وتونس الى مدينة طرابلس وتوابعها ، ناجين بانفسهم من موبقات أولئك الخوارج عن الاسلام ، وفى هذا الحين كانت طرابلس قد أعلنت استقلالها بزعامة رجل من أبنائها عربى الاصل ، اسمه عبد الاعلى ابو الخطاب الاباضى ، فكون جيشا طرابلسيا كبيرا حارب به ثوار ورفجومة الطغاة الى ان قهرهم وبدد شملهم ، ثم ضم تونس والقيروان الى حكومة طرابلس ، وأقام عليها واليا من طرفه ، اسمه عبد الرحمن ابن رستم ، وأهتم الخليفة ابو جعفر المنصور بشمالى افريقيا ، فبعث للاستيلاء عليه والى

فتح الاندلس ونتائجه

خلفاء موسى

خوارج المغرب

استقلال طرابلس

عهدهما العباسى

مصر محمد بن الاشعث ، واستصحب هذا معه واليا للقيروان اسمه سالم بن الاغلب التميمي فالتقى ابن الاشعث هو وأبو الخطاب باراضي سرت ، وبعدان تحاربوا انهزم ابن الاشعث ، ثم اعاد الكرة فانتصر على الطرابلسيين عند تاورغا ، وقتل زعيمهم ابا الخطاب ، وأخذ طرابلس وتقدم الى تونس ، وقبل ان يصل الى القيروان ، فر واليها الطرابلسي عبد الرحمن بن رستم الى الجزائر ، وأسس له هنالك فيما بعد مملكة بني رستم ذات التاريخ المجيد ، ثم احتل ابن الاشعث القطرين ، ودخل القيروان واسند ولايتها الى سالم ابن الاغلب المتقدم ذكره ، ورجع هو الى مقر عمله بمصر ، وهكذا صارت تونس وطرابلس مرة اخرى بلدا واحدا تحت حكومة القيروان العباسية .

من الاغالبة للاسبان

عهدهما الاغلبي

ومخلص حوادثهما في هذا العهد العباسي ، انه سنة ١٨٤ هـ ، اسند هرون الرشيد امارة القطرين بالوراثة الى ابراهيم بن سالم بن الاغلب ، وسالم هذا هو الذي تقدم ذكره في حملة ابن الاشعث ، وبذلك يكون ابنه ابراهيم هو المؤسس الحقيقي لمملكة الاغالبة في شمالي افريقيا ، وهي أول عهد فيه للحكم الاسلامي الاقطاعي ، واتخذ عاصمتها مدينة القيروان ، وكان يجاورها غربا مملكة بني رستم ، الذي أسسها عبد الرحمن المسبوق ذكره ، واتخذ عاصمتها في الجزائر مدينة تاهرت ، ولم يكن لها بالعباسيين اية صلة ، ومن اهم ما جرى للاغالبة من الحوادث الخارجية ، ان الرستميين حاربوهم ، واخذوا منهم جبل نفوسة ودواخل اطرابلس وفزان ، وغزا من مصر العباس بن أحمد ابن طولون ، مدينة طرابلس ، محاولا اخذها من الاغالبة ولكنه بعد ان حاصرها نحو أربعين يوما طرده الاغالبة بمساعدة الامير الرستمي على جبل نفوسة المسمى الياس ابن منصور ، وفي سنة ٢٩٦ هـ ظهرت الدعوة الفاطمية بالمغرب الاقصى فقضى رجالها على مملكتي الاغالبة والرستميين معا ، ثم استولوا على تونس وطرابلس ، وبنوا جنوبي سوسة المهدية واتخذوها عاصمة لهم ، وفي سنة ٣٦١ هـ لما انتقل خليفتهم المعز لدين الله برجاله ودولته الى القاهرة بمصر ، منح امارة البلدين الى رجل بربري الاصل ، كان من عظماء الفاطميين بالمغرب ، يقال له يوسف بلكين بن زيري ، وفي زمن الحفيد الثاني ليوسف بلكين ، وهو المعز بن باديس ، اخل الفاطميون باتفاقهم الاول مع

عهدهما الفاطمي

بنو زيري

جده يوسف ، فنزعوا اختصاص ابن باديس عن طرابلس وجعلوها ملحقة لحكمهم المباشر فى القاهرة ، ونافست ابن باديس فى امتلاكها ايضا ، اسرة اخرى يدعى افرادها بنو خزرون ، واظهرت ولاءها للفاطميين ، فقبل هؤلاء منها انضمامها اليهم ضد الزيريين ، وأزاء هذه الحوادث ما كان من المعز الا أن حارب اسرة خزرون حتى انقادت فى جهات الجزائر لحكمه وترك لفريق منها طرابلس ، ثم اعلن خروجه عن طاعة الخلافة الفاطمية ونشر نكاية بها المذهب المالكى فى بلدان امارته واتبعه هو ، وبايع الخليفة العباسى ببغداد ورفع اعلامه فوق دور الحكومة ، وشعر الفاطميون أنهم لا يستطيعون بالحرب أن يقهروا المعز ، فافلتوا عليه من مصر قبائل كانت تسكن فى الصعيد ، وهى بنو هلال وسليم ، مانحين أفرادها ملك بنى زيرى فى المغرب ، بان يفعلوا به ما يشاءون ، واكتسح عربانهما البلدين كالجراد المنتشر ، وناضلهم المعز بن باديس بجرأة الاسود وثبات الصنديد ، حتى تغلبوا عليه بكثرة عددهم سنة ٤٤٤ هـ. فى معركة الحيدران الفاصلة من ارض تونس ، ثم حاز بنو هلال تونس الجنوبية واخذ بنو سليم بادية طرابلس المجاورة لقرى السواحل ، وتركوا المدن العامرة فى كلا البلدين يحكمهما زعماؤها الخاضعون للنفوذ الفاطمى وكان من أشهر هؤلاء الزعماء فى طرابلس ، خليفة ابن وروا الخزرونى ، والاثر البليغ الذى احدثته غزوات هذه القبائل ، هى انها مع الحاقها بعمران البلدين الزراعى وغيره اضرارا جسيمة ، فقد نشرت فيهما اللغة العربية بنطاق أوسع مما كانت عليه قبل غزوتها ، وهذا هو السبب على رأينا فى فصاحة اهاليهما بالعربية دون البلدان المغربية الاخرى ، اذ أن تلك البلدان لا يزال أغلبها يتكلم باللسان البربرى ، ولا سيما قرى وادى مزاب بالجزائر ، وجبال الاطلس جنوبى مراكش ، ولم تسد فى ربوعها اللغة العربية الا فى المدن الساحلية الكبرى ، وبنوع خاص بين المتعلمين فى المدارس الدينية ، ورجالات الادب والصحافة ، وباستقرار العربان انحل ملك بنو زيرى فى البلدين ، وتكاثرت فيهما فتن وقلاقل داخلية لا عداد لها وتعرضت شواطئها لغزوات روجير ملك صقلية ، فاستباح المهدية ونهب ما كان فيها من كنوز وخيرات ، ثم أستولى على مدينة طرابلس ، وفرض عليها الجزية ، وأقام عليها حاكما من أهلها خاضعا له ، يدعى يحى بن مطروح ، وكانت اسرته متنفذة وبيدها مقاليد الحكم من ايام امارة بنى خزرون ، وبينما كانت احوال القطرين على تلك الاوصاف التى مرت بك ، ظهرت فى المغرب سنة ٥١٩ هـ. دولة الموحدين ، واتسع

بنو خزرون

نكاية الزيريين

غزوة العربان

بنو هلال وسليم

تاثيرات العربان

روجير

عهد الموحدين

نفوذها شرقا الى تونس وأخذت المهدية وكادت تزحف على طرابلس ، فذهب يحى ابن مطروح مع وفد طرابلسى الى المهدية ، وهناك اعلنوا لامير المسلمين عبد المؤمن ، خضوع البلاد الطرابلسية للموحدين ونبذها لحكم روجير ، فاقرهم عبد المؤمن على ذلك ، واثبت الخليفة يعقوب يحى بن مطروح فى منصبه الاول ، وكانت دولة الموحدين قد امتدت غربا الى جنوبى الاندلس ، فاشتبكوا هنالك مع الاسبان فى حروب قاسية اضطرتهم لان يسحبوا قواتهم من البلدين ، وفى أثناء هذه الظروف جاء من مصر فريق مغامر بقيادة واحد من مماليك الايوبيين اسمه قره قوش ، فاستولى بطريق واحة سيوة على فزان ، واخذ طرابلس وجبل نفوسه وقابس بمحالفته لعربان بنى سليم ، وبنفس الوقت ظهر من جزيرة ميورقة الكائنة شرقى اسبانيا ، مغامر آخر من بقايا ملوك الملثمين اسمه على بن غانية . فاستولى على بجاية وتقدم منها الى تونس فامتلكها ، وباستيلاء قره قوش على قابس كاد يصتدم هو وابن غانية ، ولكنهما رأياهما الاثنان ، ان مصلحة الطرفين تقضى عليهما بالاتفاق فاتفقا ، مشتركين فى حكم البلدين معا ، وليخدعا الناس بانهما جاءا لاغراض دينية ، بايعا بواسطة صلاح الدين الايوبى بمصر ، الخليفة العباسى ببغداد ، ثم عائا هما وخلفاؤهما العربان فى ارض البلدين فسادا ، من سلب للاموال وتخريب المزروعات والقرى وقتل الابرياء والتعدى على الحرمات (١) ولما بلغت مفسداتهم مسامع خليفة الموحدين يعقوب بن عبد المؤمن ترك المغرب الاقصى ، واتى لمحاربتهم هو وابن عمه المسمى يوسف بن أبى حفص ، وباشرا فى جهات تونس قتالهم فورا ، وفى أحد المعارك امتلأ الخليفة يعقوب حماسا وغيرة ، فجرد حسامه الصارم ، وهز من تحته جواده السباق ، ثم صرخ فى جيشه اليوم يوم الثار فدونكم أيها الشجعان حرب الفجار ، فتسارعت الجنود والفرسان الى ساحة الوغى ، ملبية نداء قائدها الباسل ، وملكها المحبوب ، ثم التحمت مع ابن غانية وقره قوش واعوانهما فى معركة لم يروا مثلها ، وصارت سيوف الموحدين تحز أعناقهم كما تحز المناجل سنابل القمح اليابس ، وهنا عرف اعداء الله الناشرين فى الارض فسادا ، قيمة أنفسهم الرديئة ، فانسل الذين نجوا من الموت مع قره قوش وابن غانية ، هاربين فى الصحارى الجنوبية ، وهم من الرعب كانهم مجانين ، وبقى أكثرهم على الارض جثة هامدة وقد فارقتها الحياة ، جزاء تعديها على الناس الابرياء ، وأخيرا تمكن الموحدون سنة

قره‌قوش وابن غانية

شهامة يعقوب

قهرهما

(١) راجع الجزء الثانى صفحة ١٨ الطبعة الاولى من تاريخ ليبيا العام للمؤلف

عهدهما الحفصي

٦٣١ هـ من القضاء على حكم هذين المغامرين في كل من تونس وطرابلس ، فقتل ابن غانية بارض الجريد ، وبعدئذ قتل أخوه يحي قره قوش بودان من ارض فزان الشمالية ، ثم أسندوا امارتهما لاسرة بني حفص القريبة لخلفاء الموحدين في النسب ، ورأى القطران زمن الحفصيين حياة زاهرة من أمن ورخاء وحضارة وعلم ، ولم تحدث فيه غير قلائل محلية في مجال محصور وامتد نفوذ الحفصيين شرقا الى برقة .

من الاسبان للحلفاء

عهدهما الاسباني

ولما حلت بالعرب نكبة الاندلس وضعف الموحدون وبنو حفص من جميع الوجوه، أخذ الاسبانيون يغيرون على البلدان الساحلية من شمالي افريقيا على التوالي ، الذي استولوا منه في مرات كثيرة على موانى الجزائر وباجة وبنزرت وجربة ، واحتلوا مدينة طرابلس تماما ثم تركوها لفرسان القديس يوحنا بمالطة ، وكان العثمانيون الاتراك ، حوالى سنة ٩٢٦ هـ أيام سلطانهم العظيم سليمان القانوني ، قد وصلوا الى السيادة الدولية في كل شئ ، فامتلكوا باساطيلهم الجبارة ، عباب البحر الابيض المتوسط بلا منازع ، ولكي ينقذ سليمان القانوني ، اخوانه مسلمي المغرب من طغيان الافرنج والاسبان ، أرسل لهم سفنه الحربية العاتية ، بقيادة كل من أمراء البحر العظام ، البشوات بيالة وسنان ودرغوت ، فحمت شواطئ افريقيا الشمالية من الاعداء ، وأذاقت الاسبان وغيرهم العذاب المر ، في نفس جزائرهم وبلدانهم الساحلية ، ثم أحتل منهم درغوت المهدية وجربة ومدينة طرابلس ، وفي بادئ الامر عين السلطان مراد آغا واليا عاما لطرابلس ثم عزل مراد وأقام بدلا منه درغوت باشا فاصلح هذا أمورها ، وجعل ميناءها مع جربة قاعدة عامة لاساطيله ، ولما قامت في تونس فتن ، احدثها بالقيروان شخص يدعى (الشابي) أستنجد أهاليها بدرغوت فبادر اليهم وأنقذهم ، ثم ضم القيروان وتونس لولاية طرابلس ، وبعد أن استشهد درغوت سنة ٩٧١ هـ في حصار جزيرة مالطة ، انفصل البلدان عن بعضهما بولاة من الترك ، مرتبطين بعاصمتهم استانبول مباشرة ، وحتى في هذا العهد الجديد لم ينعم القطران بالراحة التي كانا يؤملانها ، فقد سادت فيهما مظالم الجند التركي المسمى بالانكشارية نحو مائة سنة ، اذ كانوا هم الذين يعينون الولاة من بينهم او الحائزين على رضائهم ثم يخبرون السلطان فان

عهدهما التركي

مراد ودرغوت

الانكشارية

اقرهم احترم نفسه ، وأن أبى نفذوا فكرتهم رغما عن ارادته ، وكانوا يسلبون الاموال ويرتكبون الفظائع ، ويعتدون على الناس بالضرب والقتل ، والوالى الذى يمانعهم فى سلوكهم الذميم ، اولا يطيع لهم امرا ، سرعان ما يعزل أو ينفى أو تزهق روحه ، ولذلك عمت بالانكشارية فى البلدين الفوضى ، وازداد فيهما الامن اختلالا ونظام الحكم فسادا ، حتى صدق فى أهاليهما قول الشاعر :

المستجير بعمرو عند كربته كالمستجير من الرمضاء بالنار

لكل بداية نهاية

ولكن لكل شئ خاتمة وانتهاء ، فقد ظهر فى البلدين رجلان فذان ، يرجعان الى أصل واحد هو الجنس التركى ، وكان سلوكهما الشخصى والرسمى مناقضين تماما ، لطباع الانكشارية المنتسبين غالبا الى عناصر أوروبية ، كان الاتراك اخذوا افرادهم اسرى من حروبهم فى البلقان ، او فرضوا تجندهم على أهاليهم فى البلقان غير المسلمين ، وكان ذانك الرجلان قد خبرا الاحوال فى بلدى اقامتهما واندمجا فى حياة سكانها ، كما فعل محمد على باشا الالبانى بمصر ، وهما الحسين بن على التركى بتونس ، وكان ظهوره سنة ١١١٧ هـ وأحمد بن مصطفى القرمانلى بطرابلس ، وكان ظهوره سنة ١١٢٣ هـ ولم يكن تقارب ظهورهما منشأه اتفاق سرى بينهما من قبل ، أو لصلة نسب عائلى بل كان ظهورهما فى الحقيقة اشبه بما قاله الحريرى فى مقاماته (قد تقع الامور على التواتر ، كما يقع الحافر على الحافر) ، أو هو باقتضاء سنة الله فى خلقه ، أن تجعل لكل

الحسين وأحمد

امارتهما

بداية نهاية ، فساقتهما العناية الربانية ، ليكونا حدا فاصلا بين عهدى الانكشارية الفوضوى ، وعهد الاستقرار البنى ، فقد استطاع كل منهما بالشجاعة والاقدام وأصالة الرأى ، ان ينشئ لاسرته وذريته فى موطن وجوده ، امارة مستقلة تحت نفوذ السلطان التركى اسما ، ومستقلة فى شئونها الداخلية فعلا ، وفى علاقتها الخارجية عملا ، ولما ضعف امر الاتراك صارت كل واحدة من الامارتين بمثابة الدولتين ، فاخذتا تعقدان مع غيرهما المعاهدات السياسية والتجارية و كونتا لهما جيوشا باسلة وأساطيل قوية ، نازلتا بها خصومهما ، فاحرزتا بذلك الانتصارات الكبيرة والصيت الحميد ، وقد بلغ

يوسف القرمانلى

القرمانليون من القوة والمجد ، ايام أميرهم يوسف باشا ، ومدته ما بين سنة ١٢٠٩ هـ. و سنة ١٢٥١ هـ ، لدرجة ان حكمه تناول ليبيا كلها ، وامتد جنوبا الى برنو فى السودان الغربى ، وتسيطر بسفنه الحربية على مياه البحر الابيض المتوسط ، وتغلب فى

زوال القرمانليين

معارك بحرية كثيرة على جمهوريات ايطاليا ، وفرض على سفنها وسفن السويد وامريكا

الجزية الباهظة ، وأخيرا بسبب اعتزازه بقوته وتفاقم المشاكل الداخلية والخارجية عليه ، وبزخه واسرافه وكثرة ديونه ، تالبت عليه مصائب هذه الاحوال جميعها ، فازال الاتراك حكمه واسارة اسرته ، وارجعوا البلاد لحكم السلطان المباشر ، وصار هذا يرسل لها الولاة من عاصمته ، وبقى الترك يحكمون طرابلس هكذا الى أن أخذها منهم الآيطاليون سنة ١٩١١ م ومنذ تاريخ احتلالها الى حوالى سنة ١٩٢٥ والحروب

رجوع الترك

الطليان وعهدهم

فرسان طرابلسيون من بقايا وابناء مجاهدى الحروب الوطنية

الوطنية قائمة بينها وبين أبناء البلاد ، وأخيرا تغلبت عليهم بكثرة عددها وعددها وفى سنة ١٩٤٣م خرج منها الطليان على يد الحلفاء ، بعد ان بقوا فيها اثنتين وثلاثين سنة، وقد خلف الطليان فى طرابلس من عجائب العمران الحديث ما أدهش الناس ، وأذهل عقولهم ، اذ اعتبرتها رسميا ولاية ايطالية صرفة ، واسكنت فيها عشرات الالوف من أبنائها ولعله من أعظم آثارهم ذلك الطريق الساحلى العظيم ، الذى يبلغ طوله (١٨٠٠) كيلومتر ، وما أقاموه فى مدينة طرابلس من عمائر رائعة وشوارع أنيقة ، وأما الاسرة الحسنية بتونس فقد كانت احسن حظا من القرماليين ، اذ استمر حكم ذريتها بالاستقلال الناجز الى سنة ١٢٩٨ هـ و ١٨٨١ م ، ففى هذا الحين احتل منها الفرنسيون تونس ، وعلى الرغم من هذا فقد بقى الحكم الداخلى للبلاد باسم الاسرة الحسنية واحتفظوا

الحسنيون

فرنسا وتونس

خروجها ورجوعها

لامرائها بحقوقهم الشرعية ، ولكن مع مرور السنين اتسعت دائرة النفوذ الفرنسى فى تونس الى أن صاروا هم حكامها الحقيقيون ، وفى سنة ١٩٤٢ انتهى حكم الفرنسيين من تونس باحتلال الالمان لها ، ثم بعد قليل رجع اليها الفرنسيون ، اذ حاربوا الالمان هم وحلفاؤهم الامريكان والانجليز حتى اجلوا الالمان عن شمالى افريقيا ، واحتفظ الفرنسيون بعد ذلك بتونس على حالتها التى كانت عليها قبل سنة ١٩٤٣ م ، وملك تونس الان هو من الاسرة الحسينية ، وهو مولانا الهمام الباى محمد الامين ، رمز الوطنية والغيرة الاسلامية ، أمد الله فى حياته بطول العمر وانجح به لخير بلاده كل أمر ، وهنا يحسن بنا تكملة لاخبار البلدين التاريخية ان ناتى بموجز عن احوالهما الحاضرة .

الاستقلال الطرابلسى

احتلالات الحلفاء

فمنذ سنة ١٩٤٣ الى الوقت الذى صدر فيه هذا الكتاب ، قد جرت فيهما وما زالت تجرى أحداث جسام ، أثارت عطف الامم جميعا ، واشغلت ساسة الدول فى مشارق الارض ومغاربها ، فبعد أن زال عن طرابلس الحكم الايطالى سنة ١٩٤٣ م ، انفردت منها فرنسا باحتلال فزان ، واستولت بريطانيا على طرابلس وشاركتها امريكا بجزء من هذا الاستيلاء ، فاخذت لنفسها مطار الملاحة العظيم بالايجار وبتعويض أصحاب الاراضى التى كبرت بها المطار ، وتخلف من الايطاليين عن النزوح الى بلادهم ما يقرب من خمسين الفا ، وصحب الاحتلال ميئات من الموظفين والمترجمين ، المنتسبين الى أمم ومذاهب شتى ، فازدادت بذلك فى طرابلس عناصر السكان اختلافا فى الالسن والميول ، وصار كل حزب بما لديهم فرحون ، ولما تاكد الطرابلسيون ان ايطاليا تحاول العودة اليهم ، وأن الدول الاربعة : بريطانيا وامريكا وفرنسا وروسيا ، فى مؤتمر باريس تضاربت مصالحها على مصير طرابلس وما تبعها ، قاموا يدافعون عن حريتهم بالمظاهرات الصاخبة ، والاحتجاجات المستمرة ، مطالبين فيها أولئك الحلفاء الاربعة ، أن يبروا بما كانوا فى اثناء الحرب العالمية الثانية ، يعدون به من نصرة الشعوب الضعيفة ومنحها بعد الانتصار على المحور الاستقلال ، وآزرتهم فى مطالبهم الجامعة العربية ، وبنوع خاص الشعب المصرى وحكومته ، وكان من نتيجة مساعيهم هذه ، ان رفعت تلك الدول قضية البلاد الى جمعية الامم المتحدة بامريكا ، وبعثت لهم جمعية

المساعى الاستقلالية

الامم لجنة تحقيق تتعرف احوال طرابلس ورغبات سكانها ، فوصلت اللجنة يوم ١٢ ابريل سنة ١٩٤٨ وابتدأت باعمالها مسرعة ، فطافت بالمدن والقرى وفهمت ان الطرابلسيين ، حينما كانت تاخذ رأيهم، مصرون على المطالبة بالاستقلال ، وفي يوم ٧ فبراير سافرت اللجنة راجعة الى أمريكا ، ورفعت تقريرها لجمعية الامم بما رأت وسمعت ، واحترمت هذه

تقريره وتنفيذه

المجاهد الليبي الاول ملك ليبيا المعظم محمد ادريس السنوسي

الجمعية رغبة ابناء البلاد فاعلنت في يوم ٢١ نوفمبر سنة ١٩٤٩ ، (قيام دولة ليبية ذات سيادة ، في فترة لا تتجاوز أول يناير سنة ١٩٥٢) وتنفيذا لهذا القرار، أرسلت الهيئة العمومية الى طرابلس مندوبا عنها اسمه المستر بيلت ، فكون مجلسا استشاريا ، انتخب اعضاؤه من قبل دول أوروبية أربعة ، هي بريطانيا وأمريكا وفرنسا وايطاليا ،

الدولة الليبية

ودولتين شرقيتين هما مصر والباكستان ، ثم من ليبيين يمثلون الاقاليم الثلاث ، طرابلس وبرقة وفزان ، واتخذ المجلس مقره بمدينة طرابلس فى بناية (غراند أوتيل) اى الفندق الكبير ، وما كاد يباشر اعماله حتى تكشفت جلساته واحوال اعضائه الدوليين والليبيين ، عن نيات متخالفة المارب ، وكان الطرابلسيون الاحرار فى تفكيرهم القومى وميولهم السياسية ، على فهم جيد باتجاهات المجلس السياسية ، فحاولوا بجميع ما قدروا عليه ان يكون لآرائهم قبول ايجابى ، وحذروا قومهم من نتائج الشقاق السيئة ، ولكن كثيرا من مواطنيهم خذلهم ، وساير تلك الاتجاهات ، وبعد لأى اختتم المجلس الاستشارى الامى وظيفته ، بان قرر لليبيا نظام الحكم (الفيدرالى) ، والمخالفون لهذا الوضع ، يقولون ان جازت الفدرالية مثلا فى بلاد صغيرة كسويسرى، المتكون شعبها من اجناس ولغات ثلاث ، هى الالمانية والفرنسية والايطالية ، فالفيدرالية بالنسبة لليبيا امر لا يتعقل حكمته سكانها الناطقون بلسان واحد ومتفقون دينا وجنسا ، وفى أول يناير سنة ١٩٥٢ صار الاستقلال حقيقة رسمية ، فتسلمت حكومة محلية الأمور من السلطات العسكرية ، واجريت فى ليبيا انتخابات عامة ، اسفرت عن تكون مجلس نيابى على اساس ذاك النظام الفيدرالى ، ونصب سمو الامير محمد ادريس السنوسى ، ملكا على ليبيا المتحدة وأقر المجلس النيابى الدستور الذى وضعته من قبل جمعية تاسيسية ومن أهم ما جاء فيه ، أن يكون فى كل اقليم مجلس تشريعى له سلطة تنفيذية ، يسمى اعضاؤها بالنظار ورئيسهم يدعى الوالى ، ومن الملاحظ على هذا الاستقلال انه ولد وهو مكبل بقيود حربية وسياسية لاعداد لها ، من ذلك مثلا أنه لا يزال فى طرابلس وفزان ، قواعد وجيوش عسكرية اوروبية، وهناك معاهدات دولية ابرمت أو ستبرم، روعى فيها مصالح الاجانب المقيمين فى البلاد كلهم ، وهؤلاء بحكم ثقافتهم ورقيهم الاجتماعى ، من البدهى انهم سيكونون متفوقين على السكان العرب اقتصاديا وفنيا طيلة الجيل الحاضر وربما حتى فى المستقبل ، وللان لم يشعر الرجل العامى بان حالته المعيشية والادبية خير منهما بالامس ، وكثير من عقلاء البلاد المفكرين ، موجسون خيفة من ان تغشاهم جاليات اخرى من الغرب او الشرق ، فتزيد فى فقر البلاد والاهالى سؤا على سوء ، وخصوصا اذا كان أولئك القادمون ، ليسوا هم من الاطباء ولا الصيادلة ولا من ذوى الأموال الطائلة ، الذين ستنتفع منهم طرابلس علميا واقتصاديا ، بل هم من ذوى الحرف الصناعية التافهة وفى البلاد من أمثالهم العدد الوافر المتعطل ، ولو ترك

مجلس المندوب الامى

النظام الفيدرالى

حكومة وبرلمان ودستور

المولود المكبل

تخوف العقلاء

الفاقدون لمعيشتهم فى غير طرابلس ، يدخلون اليها بسلام آمنين ، تحت ستار خدمة البلاد ، وفى الحقيقة انما هم موجهون لاغراض دولية ، لاصبح ابناء البلاد مع تلك العناصر المتكاثر مجيئها هم الغرباء حقيقة المواطنون اسما ، وليس أولئك العقلاء قد لاحظوا وحدهم على مولد هذا الاستقلال ما أوجزنا الاشارة اليه ، بل هناك ملاحظات اخرى كثيرة صارت فى انحاء البلاد أشهر من قفا نبكى ، ومن ذلك ما تناولته جريدة الليبى الطرابلسية الاسبوعية ، وهى وان كانت شبه حكومية ، أو اتسمت بالاعتدال ، بيد أنها ذات مواقف وطنية لا تنكر ، وتدل صراحتها احيانا على ما ينبغى ان يكون فى هذا العهد من حرية الفكر والنشر ما دام فى حدود النظم القانونية ، فقد جاء فيها بتاريخ ١٣ اكتوبر سنة ١٩٥٢ ، مقال تحت باب صدى الرأى العام ، وعنوان الجهاز الادارى ما ياتى اقتباسه بالنص الحرفى (ان الجهاز الادارى فى هذه البلاد ، هو أغرب جهاز معروف فى البلدان المتمدنة المستقلة ، سواء فى نظمه وتقاليده، أو فى لغته وأساليبه ، أو فى اعماله وموظفيه ، فهو تركى ايطالى فى اكثر اجراءاته ونظمه واسمائه ، عسكرى مرتجل فى لوائحه وتقاليده ، انجليزى فرنسى فى روحه ومسحته ، عالمى فى موظفيه ولغاته ، ان جهازا هو خليط هذه العناصر ، ووليد تلك الاجناس ، لا يمكنه ان يحدد غرضا أو يوجد غاية أو يتفق على خير ، وهذه العناصر المجتمعة لا تزال غضة يتميز كل منها بخواصه ، وينفرد اغلبها باتجاهات معروفة ليس فى صالح أهل البلد منها شئ ، ان هذه العناصر الجديدة لم تفكر فى أن تتبلور (أو تتاقلم) ، ولم تحاول ان تبذل مجهودا صادقا لخدمة هذه البلاد ، ولم تظهر يوما حسن مقاصدها لتبرير ما تتقاضاه من مال ، وتتمتع به من امتيازات ، اننا لا نستطيع ان نطلق على هذا النوع ! الا بانه قوة ... قوة تعمل لتخرب وتتصرف لتستغل وتفكر لتسير ... ولكن الى الخلف ، وماذا عسى ان تعمل العناصر الوطنية - الضعيفة بحكم مركزها - وليس بيدها شئ من وسائل السلطة ، فلا يكاد يبلغ مكان الناصح المقترح منها ، أو الناقد المتبرم فيها ، الا من استجمع قواه والقى بنفسه ، وما سوى ذلك قالة صماء ، وجهاز أبله ، يأكل الطعام ويمشى فى الاسواق ... ولقد وضعت الحكومة قانونا نظمت به طوائف الموظفين وصنفتهم درجات وطبقات ، مراعية فى ذلك عمل الموظف وكفاءته ، وحددت ظروف الترقية وطرائق التدرج ، فهل احترمت الحكومة ما رسمت من سياسة ، وما اختطت من مناهج ؟ وهل أشرف المسئولون على تنفيذ ما

ملاحظات كثيرة

الجهاز الادارى

عناصره

توظيف غير الاكفاء

شرعوا وتطبيق ما ابدعوا ؟ ان ما نرى من تصرفات وما نشاهد من استثناء ، يذكرنا بما يتندر به الناس من ان النظم والقوانين ، انما تسن لبغاث الطير وسواد الناس ، وان المحظوظين المدللين لا يخضعون لقانون ولا يشملهم تشريع) هذا بعض مما قالته الجريدة الغيورة فى عددها ذاك ، وتلك بعض من الملاحظات العامة عن مولد الاستقلال ، أوردناها ههنا أمانة للتاريخ ، وصراحة فى الحق ، ونزاهة فى المقاصد ، فنحن نكتب ونقرأ عظة لانفسنا جميعا ، وتراثا أدبيا لمن ياتى بعدنا ، لا تجريدا لهذا الاستقلال ورجالاته الاكفاء من أية حسنة ، ولا سلبا لوزرائه ونظاره من أية فضيلة ، فمن يقل عنه وعنهم التجرد من اى خير فهو غير منصف ، ولذلك نقول انصافا للحقيقة والواقع ، ان هذه الملاحظات ، وهذا التزمت العام ، وهذه القيود والمشاكل السياسية والاجتماعية ، امور بدهية فى أمة ظفرت باستقلالها ، وهو مشوب بتراث الماضى الاسيف ، ومشوب بمصالح جالية كبيرة توجب القوانين احترامها والاعتراف بها ، ومشوب باوضاع جديدة ساق اليها الارتجال الحثيث ، والسعى لاكتساب مايمكن نيله من الحائز الغريب ولكن على ولاة الامور ، أن يضعوا نصب أعينهم ، ما يلاحظه وما يشتكى منه ابناء وطنهم ، ليوجهوا عنايتهم الى تنفيذه او اصلاحه أو تغييره بالتى هى احسن ، فانهم اقاموا انفسهم للخدمات العامة لا لارضاء رغبات فردية ولا ليفرطوا بما هو ليس من حقوقهم الخاصة ، وما يرجوه منهم العقلاء هو ان يخففوا من تغاليهم فى التمسك بسياسة الامر الواقع ، بالمبادرة الى السياسة الايجابية الحازمة ، وقديما قال الشاعر :

لسان الفتى نصف ونصف فؤاده فلم يبق الا صورة اللحم والدم

وأما قوله : فمن لم يصانع فى امورة كثيرة يضرس بانياب ويوطا بمنسم

فليكن هذا التصانع عند المغرمين به ، فى أمورهم وعلاقاتهم الخاصة لا فى مصالح البلاد والعباد ، التى لا تفيد المصانعة فيها كسبا وطنيا ، على أنه اتضح فى غرة هذه السنة ، ما يدل على ان رجالات الحكم الاستقلالى ، تاثروا بما كانوا يسمعون ويقرأون من الملاحظات العامة والخاصة ، فاخذوا يظهرون من النشاط والحرص على حقوق البلاد ، ما جعل أولئك العقلاء يتفاءلون بهم خيرا ، وهكذا كانت الاحداث الطرابلسية ، التى سبقت عهد الاستقلال ، أو احاطت به ، سردناها بهذا المقدار من التلميحات الموجزة ، ربطا لحاضر هذا الفصل التاريخى بماضيه ، وتنويرا للاذهان التى لم يتح لها من قبل ان تاخذ فكرة اجمالية عنها .

نكتب للعظة

انصاف الحقيقة

واجب الولاة

المرجو منهم

بادرة خير

النضال التونسى

الاحتلال الالمانى

وأما ما كان من نظيرها زمنا فى القطر التونسى ، من الحوادث الوطنية الهامة ، ونحن نذكرها لنفس الغرض الذى اختتمنا به تعليقنا الاخير عن استقلال طرابلس ، فانه لما أحتل الالمان تونس سنة ١٩٤٢ م زمن حكومة فيشى ، تلقاهم ابناؤها وملكهم الغيور المسمى (المنصف) بمزيد الحفاوة والقبول الحسن ، وتبادلوا معهم عواطف الكره للفرنسيين ، ظانين ان عهد الاستعمار الفرنسى قد غربت شمسه ، سواء أنتصر الحلفاء ام تغلب المحور ، بيد أن وقائع الحرب جاءت على خلاف ما كانوا يؤملون ، اذ فوجئوا بانكسار الالمان فى شمالى افريقيا ، امام الجيوش الحليفة ، التى باغتهم بعضها من الجزائر وهم الامريكان وجنود الجنرال الفرنسى دى جول ، والبعض الاخر وهم الانجليز لحقوا بهم من طرابلس ، وعادت فرنسا ١٩٤٣ م الى تونس وشرار الغضب على ابنائها يتطاير من أعينها ، فانتقمت ممن تعاون مع الالمان او تودد اليهم سرا وعلانية ، بان القته فى غياهب السجن ، او عاملته بالنفى وسوء التعذيب ، وعزلت الملك (المنصف) ونفته الى بلادها معتقلا الى ان مات هنالك ، وتولى مكانه الشهم الغيور الملك الحاضر مولانا (محمد الامين) ، وبدلا من ان يستقبل التونسة وفرنسا عهدا جديدا من التصافى والتفاهم على الغاء معاهدة الحماية

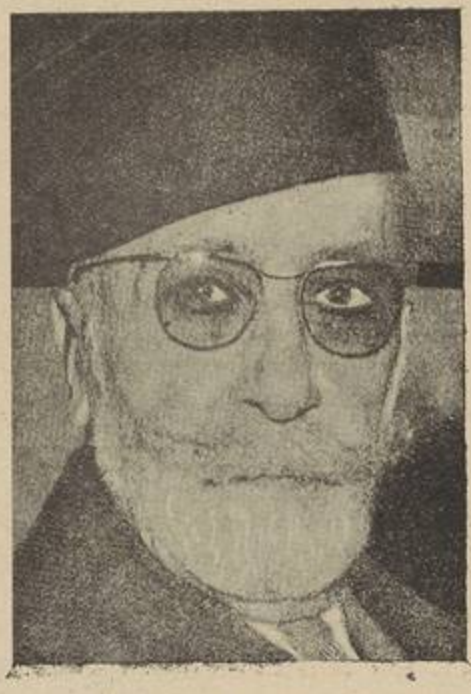

ملك تونس المعظم الباي محمد الامين

راجع صفحة (٨ و ٩) من هذا الكتاب

رجوع فرنسا

تباغض الطرفين

بتـاغض الطـرفيـن

الشهيرة باسم باردو ، بما يكفل حقوق الطرفين ، وينال به التوانسة شرفهم وكراماتهم في بلادهم، بدلا من الالتفات الى هذه الامور ، والعمل بها قولا وفعلا ، اضمرت فرنسا بعد رجوعها مزيدا من التعنت ، وأضمر التوانسة حين رأوا منها هذا ، مزيدا من بغضهـا

ازديـاده

والاصرار على التخلص منها مهما تكن العاقبة ، ومهما يكن الثمن ، وأزدادت بسبب ذلك بينهما العداوة والبغضاء ، وكان من البدهي ان الشعور التونسي العام ، سينفجر يوما ما ان عاجلا أو آجلا بثوران عظيم كالبركان المشتعل ، وبذل الملك

مساعي الملك

مولاي محمد الامين ، لدى فرنسا مجهودات جبارة ، محاولا اقناعها بان أمس الدابر لن يعود ، وان الامة التونسية اصبح من حقها ان تطالب بما ظفرت به منها لبنان وسوريا ، وأن تونس أوشكت من نواحي الشعور القومي والثقافة والرقي الاجتماعي ، ان تتقارب جدا مع حياة ذينك القطرين العزيزين ، وساند مولاي محمد الامين ، أو هو ساند زعماء

حقيقة المطالب

البلاد ، في هذا المقصد النبيل ، مقصد الالغاء لمعاهدة باردو المعقودة على أثر الاحتلال الفرنسي للبلاد سنة ١٢٩٨ هـ و ١٨٨١ م ، ثم نيل الاستقلال ، واحترام ما لفرنسا من حقوق اقتصادية ، ومعاملتها فيما بعد بالنسبة لغيرها من الدول بامتياز خاص ، وتمشيا مع التطور العالمي الذي حدث بعد الحرب العالمية الثانية ، وبنصائح الانجليز والامريكان

الجنوح للتفاهم

لفرنسا ، كادت احزابها السياسية بباريس ان توحي الى حكومتها ، بالتنازل للتونسيين عن أكثر مطالبهم انصافا ، لا سيما وان فرنسا تفخر بان ثورتها الكبرى ، هي التي أقرت في العصر الحديث مبادئ حقوق الانسان ، وحررت الاستعباد ، ودكت حصون الطغيان ، ولما احس ابناء فرنسا المقيمون بتونس ، وهم من غلاة المستعمرين ، ان امتهم توشك ان تستجيب داعي المنطق السليم ، وتعترف لغيرها ببعض ما تحب لنفسها ،

اصـرار المستعمريـن

تجاروا الى عاصمتهم محذرين فيها الحكام الذين تنشأوا مثلهم في العهد الاستعماري ، حذروهم من ان يفرطوا ببلاد اخذوها بحد السيف ، والا فقد ضاع منها الجند الكثيف والخير العميم ، وما لهم بعد ذلك في وطنهم من جاه وثراء ولاقول نافذ ، ثم ذكروهم بما فعل التوانسة مع الالمان ، فقالوا لهم بقرائن الاحوال . صدقتم صدقتم ، لن نتـرك تونس وان طال الزمن ، وازاء هذا الموقف العنيد من الفريق الفرنسي المستعمر في باريس ، اخذ بركان الشعور المكبوت في صدر التوانسة يتنفس للانفجار بالنار المتقدة ،

انتهاز الفرص

وتصابر القوم مهلا مهلا حتى تجيء الفرص الملائمة ، وجاءتهم أولى الفرص الملائمة ، بتناقص هيبة فرنسا بعد ان اخرجت من سوريا ولبنان اخراجا ، وثانيها بالحركات الوطنية

انتهاز الفرص

في طرابلس ، وثالثها ما اعلنته الجامعة العربية ، من انها ستحتضن الدفاع عن قضايا الشمال الافريقي ، ورابعها اعتقادهم ان اكابر الحلفاء سيكونون عند شرف كلمتهم القائلة انهم بعد التخلص من كلاب المحور ، سيمنحون كل شعب مستعبد حريته واستقلاله ، وخامسها ثقتهم في جمعية الامم بانتصارها لانقاذ البلدان المستعمرة من هذا النير ، وعلى ضوء هذه الفرص الخمس مشى التونسة قدما الى ميدان نضالهم العسير ، وأخذوا هم وسليكهم الشجاع ، يهيئون خطط المعارك السلمية الفاصلة وتناول الحزب الدستوري الحر ، الخطط المرسومة وسلمها لزعيمه الدكتور الحقوقي والمحامي القدير السيد الحبيب ابورقيبه ، وأدركت فرنسا بما لها في كل ناحية من المرتزقة باخذ الاخبار ، أنه تحت الرماد وميض نار ، يوشك ان يكون له ضراما ، فاستجلبت القوات وبالغت في المراقبة والحذر ، ولكن اذا جاء القدر عمى البصر ، ففي ليلة ٢٦ مارس من سنة ١٩٤٥ اتفق أن أسرة الحبيب ابي رقيبة ، رئيس الحزب الحر الدستوري أقامت لها زفافا كبيرا اسه علية القوم ومختلف طبقاتهم ، وحضره الحبيب نفسه بحكم قرابته من أهل الزفاف ، فتلهى عنه المخبرون الذين كانوا معينين لترصد خطواته وحركاته ، ظانين أياه مختلطا في ذاك المحل بين اهله أو ضيوفه ، واذا هو يستدعى الى بعض من حجرات مكان الفرح ، ويسلم اليه مندوب فوق العادة من قبل هيئة الحزب التنفيذية خطة النضال السرية ، ويامر أن يفر في نفس القوت الى مصر بطريق طرابلس فلبى الامر ، امر القائد الاعلى ملكيه الامين ، واركان حربه الدستوريين ، فتخفى بزى النساء وخرج الى نقطة ما مستغفلا الرقباء ، ومنها وجد صحبه الاعوان ، فسافروا مستترين الى جزيرة قرقنة ، ومنها الى جربة ، ومنها نزلوا قرب زوارة بجزيرة فروة ، ومنها اتوا الى العجيلات وارتدوا الملابس الوطنية الوجيهة ، وفي طرابلس بقي بضعة أيام ، واستقبل ممن تشرفوا بمعرفته وادركوا سر مجيئه ، بالحفاوة والمادب الفاخرة ، وذهب الى مصراتة مع زعيم كان اخوه فيما مضى سيد البلاد ، فبقي ضيفا عنده بزاوية المحجوب نحو ثلاثة ايام ، ثم ذهبوا الى بنغازى ومنها لدرنة ومنها افترقا ، فالزعيم المصراتي ، او الطرابلسي ذهب الى مصر بالطرق المشروعة ، ليكون قرب اسرته بالاسكندرية ، والزعيم التونسي تمكن بوساطة برقاوى عظيم في درنة ، أن يصل بطرق ما الى قرية الضبعة من ارض مريوط ، وفيها جرت له مع رجالات الامن حوادث ولكن الله سلم ، فما كادوا يفهمون شخصيته باشارات جاءت اليهم من الجامعة العربية حتى أكرموه ، فوصل للقاهرة مطمئنا ، واستقبل

خطط العمل

زفاف واسرار

السفر المخفي

من طرابلس للقاهرة

فيها بكل حفاوة وتعظيم ، استقبل بهذا الاجلال من زعماء مصر والعروبة ، ومن جاليات الشمال الافريقى ، وفى القاهرة لم يترك الحبيب وسيلة لخدمة القضية التونسية الا وقد عملها ، فخطب طويلا وكتب كثيرا وفاوض مخلصا ، وحالفه من قبل الجامعة العربية والحكومة المصرية كل توفيق ، غير ان انشغال العرب وحكوماتهم بحروب فلسطين ، وظهور المسالة الليبية فى التيار الدولى ، قد أثرت على مركز الحبيب فى مصر ، وتولدت فى السياسة العالمية احداث جديدة ، نصح معها الحبيب والتونسة ، ان يتفاهموا مع فرنسا بايجاد حل لقضيتهم يتفق مع مصلحة الطرفين ، وأوعز حلفاء فرنسا الأكابر لها بمثل ذاك النصح ، فتظاهرت فرنسا بالرضا ، وقبل الحزب الحر الدستورى ، نصيحة اخوانه سادة العرب ، فرجع الحبيب بطريق ليبيا الى وطنه تونس ، فى ٨ سبتمبر ١٩٤٩ وما كاد يصل الى العاصمة الخضراء ، حتى فوضه حزبه ان يخاطب فرنسا لايجاد الطرق المؤدية للاستقلال ، فذهب الى باريس ثم عاد الى مدينة تونس ، وكان من نتائج هذه الاتصالات والنصائح السابقة ، واتحاد التونسة بقيادة ملكهم الامين ، ان اضطرت فرنسا الى تعديل سياستها الاستعمارية فى تونس ، فاصدرت فى اغسطس سنة ١٩٥٠ بروتوكولا ، وعدت فيه التونسة بمنحهم حكما ذاتيا يتولونه بانفسهم ، وتنفيذا لهذا الوعد الرسمى ، تكونت فى تونس حكومة ائتلافية جديدة ، برآسة السيد محمد شنيق ، وهوا كفأرجالاتهم الاداريين ، وأشهرهم اخلاصا ونزاهة ، مع اتصافه بقوة الارادة والحزم ، وثقة التونسة ومليكهم بوطنيته وشرف مبادئه ، ومنزلته عندهم كمنزلة السيد على ماهر بمصر ، ولو تاملت فى محيا وجبينهما ، وأساليب تصرفاتهما بادارة الحكم ، وايثارهما

رجوع الحبيب

الزعيم الحبيب ابو رقيبة متنكفيا بالملابس الطرابلسية

البروتوكول

وزارة شنيق

منزلة شنيق

الاعمال الايجابية عن النظرية ، لحسبتهما منحدرين من نسب واحد ، ومن يدرى فلعل هناك فى زاوايا التاريخ البعيد المهمل ، ما يثبت هذه العلاقة ، اذ المعروف عن الاسرة الماهرية ان جدها الاعلى مغربى ، وقد اشترك الحزب الحر الدستورى فى وزارة شنيق بعضو واحد ، ولكنه من المع رجالات حزبه ذكرا ومقدرة سياسية ، وكان منصبه فى هذه الحكومة الايتلافية وزارة العدل ، وقد استطاعت حكومة شنيق بشخصيته الفذة وباعضائها الاوفياء الممتازين ، وهم جميعا ممن تولوا مناصبهم بالجدارة العلمية ، والتخصص الفنى ، وقبلوها مضحين بمصالحهم مرضاة لله وحبا لرفعة الوطن ، استطاعت فى أمد قصير وباعمال مدهشة ، ان تضع للبلاد مشروعات تقدمية نافذة الاوامر ، اذهلت الفرنسيين وأدركوا انها تعمل بلباقة على أخذها اياهم تدريجيا ، الى الاعتراف بسيادة الأمر الواقع فى كل شئ ، فاسرع مقيمها العام الى باريس ، متوسلا حكومته ان تعيد النظر بما وعدت به التونسة فى ذاك (البروتوكول) وان تقيل وزارة شنيق فورا ، والا فان بقاء الوعد الرسمى كما هو عليه ، وترك شنيق وأصحابه ، ولو زمنا قيلا ، فتونس ستخرج من فرنسا من غير جدال وبلاقتال ، واقتنعت حكومة باريس بما سمعت واخبرت فندمت ، وبالرجوع الى السياسة العتيقة ابتدأت ، ابتدأت اولا طالبة من المليك الامين ان يقيل وزارة شنيق لانه فهم من البروتوكول امورا على غير حقيقتها ، فرفض مولانا الامين الطلب ، قائلا ان السيد محمد شنيق موضع ثقتى وثقة البلاد ، وهو من الرجال الرسميين الذين يدركون واجباتهم ، ولما اعيتها الحيل فى زحزحة وزارة شنيق نفذت الخطة الثانية ، فاصدرت فى سبتمبر سنة ١٩٥١ تفسيرا للبروتوكول تقول : انه يفيد ان يشترك التونسة والفرنسيين المقيمين ببلادهم فى حكومة واحدة لا أنه يمنحهم الاستقلال الذاتى بلا قيد ولا شرط ، وما كاد التونسة ومليكهم وحكومته الشرعية ، يفاجاون بهذا التفسير أو التصريح الفرنسى الاخير ، حتى اشتعل ذاك البركان ثم انفجر صاخبا فى ارجاء العالم ، متقدا بالاراضى الخضراء ، وحاول الفرنسيون كتم حسه وانفاسه بما قدروا عليه من جند وسلاح وسجون واذاعات ووعد ووعيد ، وتجاهل (١) السيد محمد شنيق وجود فرنسا واحتلالها بتاتا ، معتبرا نفسه معينا بارادة الامة التونسية وأمر مليكها الامين ، فارسل لمجلس الامن المنعقد وقتئذ فى باريس مندوبين عنه ، هما السيد يوسف ابن صالح وزير العدل ، ومحمد بدرة وزير الشئون الاجتماعية ، ليحملاه على التدخل السريع

قوة الوزارة

تخوف المقيم

تغيير الوعد

ثورة التونسة

فرنسا وشنيق

(١) نأسف لعدم تمكننا من العثور على صورة للسيد محمد شنيق

في القضية التونسية ، والا فان اصرار فرنسا على التمسك بسياستها العتيقة ، ستكون نتيجته الاخلال بسلامة الامن العالمي ، واعتبرت فرنسا هذا التصرف من شنيق واعضاء وزارته ، انما هو خروج عن طاعتها ، ولا يحق لاية دولة أو أمة في العالم ، التعرض للمسالة التونسية ، التي هي من امور فرنسا الداخلية الصرفة ، ثم طلبت من السيد شنيق

صالح وبدرة

ان يسحب مندوبيه او يستقيل فرفض ، وكلفت المليك الامين ان يفعل هذه الاقالة أو هذا السحب فرفض ، وحاولت ان تلقي في باريس القبض على المندوبين ، ففرا بالطائرة خفية الى بلجيكا ومنها جاءا الى القاهرة ، ثم تحدت فرنسا الشعب التونسي ان يخرجها

الاقالة

بالقوة ، فالقت القبض على السيد محمد شنيق والغت وزارته وسجنت الحبيب مع اركان حزبه ، وفعلت هذا ايضا مع جميع الذين هم على نحلته ، ثم جعلت لها وزارة برآسة السيد محمد

التحديات

(باكوش) لم يمنحها الملك ثقته ، وتحدى التونسة فرنسا ان تحكمهم وتستعمرهم بالقوة ، فقامت في وجهها البلدان التونسية على اختلاف جهاتها واحوالها ، بثورة هوجاء لم يسبق لها في تاريخهم الفرسي مثيل ، اثارت عطف الامم ، واقلقت ساسة الدنيا ، وغضبت لها الدول العربية والاسيوية ، فاخذت هذه تندد باعمال فرنسا بتونس ، وقالت هذه الدول : انها ترى نفسها ملزمة باسم الانسانية أولا ، ولكونها استعمرت من قبل فتعرف ما في الحكم الاجنبي من مظالم ثانيا واحتراما لمبادئ هيئة الامم المتحدة

الدول لاسيوية ومجلس الامن

ثالثا ، ترى نفسها بهذه الملاحظات ، يحق لها ان تطالب مجلس الامن بان يعقد للنظر في المسالة التونسية جلسة فوق العادة ، ولكن الدول العربية والاسيوية لم تتحصل على عدد من الاصوات يحقق طلبها ففشلت ، وسعت للقيام بمثل هذا لدى جمعية الامم باسلوب ومطلب قانوني آخرين فخذلت ايضا لنقص في اصوات الموافقين ، خذلت وفشلت لان فرنسا تحدت العالم على لسان المرشال (جوان) ووزيرها الاسبق (بول رينو) ، انه اذا فكرت جمعية الامم المتحدة أو مجلس الامن يوما من الايام ، ان يحا كما

تحدي فرنسا للامم

فرنسا على تصرفاتها بتونس خاصة وشمالي افريقيا عامة ، فستنسحب منهما بكل حزم ، وقالت الدول العربية والاسيوية بقيادتي مصر والهند ، اذا لم تعمل هيئة الامم المتحدة بمبادئها عملا تقدميا نافذا ، وعلى الخصوص في القضية التونسية ، فستنفض ايديهما من غبار العدالة الاوروبية ، وتكون هي لنفسها هيئة امم اسوية ، وعندئذ سنرى لمن ستكون الغلبة ، ولقد ادركت هيئة الامم خطورة هذا التحدي الدولي وما سينجم عن نظرها رسميا في القضية التونسية من التاثير الوخيم على مركزها في العالم ، واذا

تحدي الاسويين للامم

حيرة الجمعية

رفضتها فستضعف ثقة الشعوب الصغيرة بها ، فاهتدت فى دورتها المعقودة فى أكتوبر سنة ١٩٥٢ ، الى حيلة انقذت كرامتها من موقفها الحرج ، وهذه الحيلة جاءت ايضا مرضية للطرفين ، فادرجتها فى جدول أعمالها ، وقالت الدول الاسوية هذا فى صالحنا ، ولكنها زحزحت الى ارقام ترتيبية قد تنتهى دورة الامم من غيران ياتى عرضها ، وقالت فرنسا هذا فى صالحى ، ولكن حدث فى الشرق شئ عظيم ، هو الانقلاب

انقلابات مفاجئة

العسكرى المصرى ، والانقلاب الجمهورى اللبنانى ، والانقلاب العسكرى فى العراق ثم ماذا ؟ وانقطاع العلاقات السياسية بين بريطانيا وايران ، ثم ماذا ؟ ونجاح ازنهاور برآسة الجمهورية الاميركية ، فلو بقى تزمت الاسويين والعرب لعدم النظر فى القضية التونسية كما هو زائدا عليه مشكلة السود فى كينيا وجنوبى افريقيا والمشكلة الكورية ، فان القوم الاسويين والعرب سيتركون دار جمعية الامم تنعى من بناها ، ويكونون لهم جمعية آسوية ضد الاوربيين جميعا ، وهناك طامة كبرى اخرى ، فاذا اغضبت فرنسا ففيها حزب شيوعى خطير ، قد تسلمه زمام الحكم انتقاما من جمعية الامم المتحدة ، فيتسيطر نفوذه على غربى أوروبا ، ويشل اتفاقات دولها ضد روسيا ،

طامتان كبريان

وبعد تفكير طويل من قبل الجمعية فى هذه المشاكل ، وازاء تلك الانقلابات المفاجئة ، عرضت القضية التونسية على لجنتها السياسية ، فانسحب الاعضاء الفرنسيون من هذه اللجنة ، قبل ان يسمعوا من مناقشتها أية كلمة ، وفى اثنائها تفاقم نضال التونسية فى بلادهم ، واشتدت مقاومة فرنسا له ، الى ان تكاثر بين الطرفين القتل والجرحى ،

عرض وانسحاب

اغتيال حشاد

واغتيل خارجا عن مدينة تونس ، على طريق جبل زغوان ، زعيم العمال التونسيين ، السيد فرحات حشاد ، وكان فى زهرة عمره ، ومعتبرا القائد الاول لشباب الثورة التونسية ، وبسبب اغتياله صخبت الدول العربية بالاحتجاج المدوى على فرنسا ، وساهم

البرلمان الليبى والقضية

بذلك مجلس الامة الليبية ، فى دورته الثانية المنعقدة فى مدينة طرابلس ، معلنا استياءه ومؤيدا ابناء المغرب فى تونس ومراكش ، فارسل رئيسه برقية الى جمعية الامم بامريكا ، ومما جاء فيها بالنص الحرفى قوله : (الامين العام بهيئة الامم المتحدة بنيويورك ، اتشرف باعلامكم ، ان مجلس النواب الليبى ، فى جلسته المنعقدة بتاريخ ٨/١٢/١٩٥٢ ، قرر

تاييده لها

بالاجماع تاييد قضيتى تونس ومراكش ، المعروضتين حاليا فى الهيئة ، وهو يؤكد حق الشعبين المجاهدين فى الحرية الكاملة والاستقلال الناجز ، تمشيا مع ميثاق هيئة الامم المتحدة وحقوق الانسان) وعلى الرغم من جميع تلك المحاولات والاحتجاجات والتفاقم

الغربيون وفرنسا

والاشتداد ، فان الدول الغربية كلها ، قد أخافتها فرنسا بانسحاب اعضائها من اللجنة السياسية ، فاوعزت الى مندوبيها فى اللجنة السياسية بارضاء فرنسا ، فقرر هؤلاء باكثرية الاصوات غير الاسوية ، انه على التونسة ان يحاولوا مرة اخرى ، التفاوض مع فرنسا لحل قضيتهم والى تاريخ كتابتنا لهذا الموضوع فى هذا الكتاب ، والدول الاسوية غاضبة ، والثورة التونسية متفاقمة،وفرنسا لها مقاومة وهكذا صدق المثل القائل : انما العاجز من لا يستبد والى هنا نكتفى بما قلنا فى الاحاديث السالفة عما بين البلدين (طرابلس وتونس) من الصلا ة الجغرافية والاقتصادية ومعالم ريفها وصحاريهماوما كان لهما من التاريخ المشترك ، قديما ووسيطا وحديثا وأخيرا ، فالتطويل فى

بقاء القضية بلا حل

الشهيد فرحات حشاد زعيم العمال التوانسة

هذه الموضوعات اكثر مما ذكرنا عنها يحوجنا الى مجلد ضخم لا الى كتاب موجز كهذا والان اننا عارضون عليك فيما ياتى صورا من مظاهر عاصمتى القطرين ، وطائفة من معالمها الشهيرة ، وبعضا من مظاهر حياتهما العامة ، لان أحوال العواصم فى أية بلاد، هى المرآة الصافية لاحوال البلاد كلها ، ونرجع فنقول ان هذا العرض كذلك سيكون مجملا لا مفصلا ، لان البحوث المستفيضة ذات الطبع الانيق والصور الوافية ، نفقاتها باهظة جدا ، والقراء جرت عادتهم انهم يستغلون اثمان الكتب مهما كانت لفقاتها وغزارة معلوماتها ، بينما هم يبذلون اضعاف ثمنها فى وجبة غذاء ، ثم لا يجدون فى ذلك حرجا ولا غلاء .

احوال العواصم

وصف لمدينة تونس

تكوينها الطبيعى

فتونس العاصمة مدينة ليس لجمالها الطبيعى فى المغرب مثيل ، ولا لها فى بلدان الشرق العربى نظير ، فقد جمعت فى تكوينها بين الجبال الشاهقة والبطاح الواسعة ، وبين الحدائق الغناء ومياه البحر الزرقاء ، وبين آكام وسهول ومروج وحقول ، وما دام هذا شانها من اختلاف الاوضاع الربانية ، وعمران الايدى البشرية ، يحق لها ان تاخذ بسحرها الاعين والالباب ، وأن يثير مطلعها فى النفس كل دهشة واعجاب ، واذا اتيح لك ان تتفرج عليها من مكان عال ، وبمنظار مكبر للشئ الصغير مقرب للنائى البعيد ، والى جانبك دليل فيهم بخباياها واحوالها ، ترى أن بنيانها متبعثر فى جميع نواحيها ، ترى قسما قد تناثر على سفح جبل الى الارض ، وهذا القسم هو المدينة العربية القديمة ، انها قباب بيض تخالها كرات من لجين ، ومآذن أو صوامع لا عداد لها ذهبت فى الجو ممشوقة كعيدان الخيزران ، وأزقة ضيقة ملتوية الاتجاه ، واحياء شرقية تزاحمت دورها وتراصت جدرانها ، ومن أبرز معالم هذا القسم جامع الزيتونة ، ومعهد الصادقية ، ومكتبة العطارين ، ومقر حكومة الباى ، والكلية الخلدونية ،وبعض الوزارات ومستشفى العزيزة عثمانة ، وضريحا سيدى محرز وابن عروس ، والقلعة والسور ، وميدان القصبة وباب سويقة وسوق العطارين ، وما يتفرع عنه من الاسواق الاخرى ، وترى شمالا خارج السور على مقربة من باب سعدون ، قنوات ماء خربة تسمى (الحنايا) وبجانبها غربا وفى نفس الاتجاه ، الطريق المؤدى الى قصر باردو ، وان مددت

المدينة القديمة

البصر شرقا تلحظ رابية المنظر الجميل او (بلفيدير) وباسفلها قام أكبر ملعب رياضي

الضواحي في العاصمة ، ومن ورائه بساتين ريانة ، بغابات زيتونها ونخيلها ، فيها الاشجار الظليلة والمزارع الوافرة ، والفواكه الجنية والخضروات الطرية ، ثم انحرف امامك الى الشرق الشمالي ، وتامل جيدا قدامك بالمنظار ، ترى اطلالا لمدينة قرطاجنة الخالدة ، ولا يسعك لحظتئذ الا أن تردد في سرك او علنك قائلا آه آه كأن الذي قال (لخولة أطلال ببرقة ثهمد ، تلوح كباقي الوشم في ظاهر اليدي) ،انما كان يعني هذه المعالم المندثرة ، لا معالم محبوبته خولة ، وبجوار قرطاجنة جبل في أول سفحه ضريح جميل

أبو سعيد لولي اسمه سيدي أبو سعيد ، وتعلوه بارض الجبل قرية حسناء ، هي مصيف للمترفين والاغنياء ، تحسبها فرت من لبنان ، او أن اهلها لم يعلموا بطوارق الحدثان ، وتحمل اسم ذاك الولي تيمنا بكنيته وتشرفا بقربه ، وهناك محلة (سلنبو) جنوبي سيدي ابي

سان لوي سعيد ، وهي المقر الصيفي للاسرة المالكة وان هم على شبه بمصطافي القرية الحسناء ، وجنوبي سلنبو تل عظيم فوقه دير فخم يدعى (سان لوي) اي القديس لوي ، قد تفنن المهندسون في تشييده الكنائسي ، حتى بدا من أبهى المعابد المسيحية منظرا ، واخيرها موقعا صحيا ومكانا نجيا ، وعند أوله ترى قصيرا أو منزلا وجيها ، ولكنه ذو فضل علمي كبير ، أنه معهد الاحياء المائية ، ومدرسة خاصة لانواع الاسماك ، ثم إقترب

مطار العوينه رويدا صوب الجنوب الغربي ، ترى أرضا ذات فضاء متسع تغطيها الاعشاب ، ويجتازها طريق عام للسيارات ، وفيها ابنية صغيرة وأخرى طويلة وسقفها على شكل نصف دائرة ، يقابلها على حافة الطريق ، بناء له ابراج كابراج البواخر ، او المدرعات البحرية ، هذه الارض وما عليها هي أكبر محط جوي عالمي في تونس ، واسمه مطار (العوينة)

المدينة الحديثة وحين توجه المنظار الى العاصمة ، يفاجئك قسم آخر من المباني ، وهذا القسم يختلف عن سابقه في طرازه واحيائه ومنازله ، فيه عمارات كبار وشوارع طوال ، ومتاجر محشوة بالبضائع والسلع الراقية ، وقد تناثرت مبانيه حول المدينة العربية القديمة ، شرقا وغربا وجنوبا ، وهو المدينة الحديثة ، مسكن الجاليات الاوروبية ومركز نشاطها الاقتصادي وحياتها الخاصة ، ومن ابرز معالم هذا القسم الشارع او الميدان الرئيسي في العاصمة

جول فيري ويسمى (جول فيري) ويبتدئ من الشمال الى الجنوب ، وتقع على أول حافته الشرقية اكبر وأروع كنيسة كاثوليكية في البلاد ، ومن ورائها بمسير دقائق ثلاث ، المعهد الفرنسي الشهير (ليسي كارنو)، وقبالة الكنيسة تماما مقر المقيم الفرنسي العام ومنزله

ومكاتب اعماله ، وفى وسط الميدان حديقة وتمثال وعلى جانبيها طريقان للمشاة وآخران للركبان ، ومحط للقطار الكهربائى الانيق الذى يدعى (المترو) ، ويسير ما بين المدينة والضواحى صباح مساء ، وترى فى الجنوب من جول فيرى ، خليجا من البحر الابيض المتوسط يشبه المثلث ، وعند رأسه قام الميناء الطبيعى لمدينة تونس ، وقد تفرعت عن هذا الخليج جهة الغرب بحيرة ملحة طولها ستة أميال وعرضها ثمانية اميال ، ويقال ان مساحتها كانت منذ قرون تربة خصبة مشغولة بالمزارع واشجار الفاكهة ، ثم طغى عليها البحر فغمرها بمياهه ، وبمدخل المدينة على طريق حمام الانف

الميناء والملاحة

ترى أرضا فسيحة تغطت باكوام من الفحم الحجرى ، وانصبغت بلونه ، وعليها مبان كثيرة يحجبها أحيانا دخان مظلم ، وهى الاماكنة العامة لمصانع وقطارات السكك الحديدية ، وحمام الانف هو أنزه منظر فى الضواحى الجنوبية ، انه ريف المدينة الحبيب وروضها البديع ، ويبعد عن العاصمة بخمسة وعشرين كيلو مترا ، وفى هذه المسافة كلها لا تبصر عيناك أيام الربيع ، غير مزارع مسقية بالغيث الوابل ، وسهول اخرجت من النبات ما طاب أريجه واختلفت الوانه ، وقبيل بلدة حمام الانف ، ترى جبلا اشم يكاد علوه يسابق عقبان الجو ، وهو يقع شمالى الطريق ، وباسفله تطل عليك قصور بيض ، ذات تنسيق فاخر وجمال ومهابة ، هى المقر الشتوى لجلالة ملك تونس واسرته ، وجند حرسها من اليق الشباب التونسى رجولة وشهامة ، بذلاتهم من (الجوخ) النفيس ، تتالف من سترات زرقاء داكنة وسراويل حمراء ، وعلى رؤسهم طواقى وطنية حمراء ، ولها خصل طوال من الحرير الاسود ، وسلاحهم البنادق والسيوف والحراب ، وينبع من تحت الجبل مياه معدنية حارة ، لها شهرة صحية لعلات الاقساق ،

الكنيسة الكبرى وشارع او ميدان جول فيري

حمام الانف

البلاط الملكى

ولا سيما في تونس وطرابلس ، ينساب منها جزء الى القصور الملكية والباقي اعد

جو المدينة بانظمة خاصة لقصادها المرضى ، وانت حين تدخل الى مدينة تونس ، تحس ان جوها بالنسبة لغير سكانها فيه ثقل ، وهواءها غير منطلق ، وسماءها مكسوة بضباب خفيف قاتم احيانا ، ولعل ذلك كله ناشئ من تبخر المياه المالحة ، ودخان السفن والقطارات ، وانزوائها بين جبال وآكام ، او هو ناشئ من طبيعة فصل الربيع الذى زرناها فيه ، وبملاحظات عامة كوميض البرق ، وعلى نسق ذلك الوصف الخارجي المجمل ، نجد العاصمة التونسية مزدحمة بالخلق في كل ناحية منها ، والاعمال الاقتصادية وافرة

الحرف التافهة رائجة ، والحرف التافهة التي لا تسمن ولا تغني من جوع ، هي كما في مدينة طرابلس يزاولها العرب الفقراء وحدهم ، فمن هؤلاء السائق لعربة الخيل او اليد ، وحامل الاشياء المنزلية الخفيفة ، وكانس الطرقات ، وخادم للاجانب ، ومن هؤلاء القائم بالعمل الشاق في الميناء وتشييد العمارات ، ورافع الاثقال على ظهره ، صعودا أو نزولا ، ومن هؤلاء بائع الجرائد ومساح الاحذية والمتجول بالسلع الصغيرة ، والحارس لابواب المتاجر ، والمتكلف بملاحظة الاطفال الاوروبيين ، وكثيرا ما ترى منظرهم وسيماتهم جميعا ، كما قال الحطيأة في وصف صغاره (حفاة عراة ما اغتذوا خبز ملة)

المواصلات وأهم المواصلات العمومية داخل المدينة هو الترام ، والغريب فيه ان عرباته المارة بشارع السويقة ، تمشي على الارض بعجلات من المطاط اى بلا خط حديدى كالسيارات ، غير ان تيار محركاتها ماخوذ من السلك الكهربائي فوقها بوساطة قضيب معدني طويل ، وأطول دورة للترام هي ما بين الميدان الرئيسي شرقا وجبل الجلود غربا ، وتستغرق خمسا وثلاثين دقيقة ، وعندهم للضواحي قطار (المترو) الانيق والسيارات الفاخرة ، والوسيلة الوحيدة في مدينة طرابلس للمواصلات هي السيارات ، وقد جلبت منها الشركة الوطنية الطرابلسية اخيرا نوعا جميلا لائقا ، ومعظم التونسة الرجال يلبسون الجبة

أزياء التونسة المغربية والسروال القصير ذا الحجر المنتفخ ، وينزل عادة الى اسفل الركبة ، ويعرف بينهم باسم (التعشيرة) وسيقانهم من بعد أحذية الرجل ، اما عارية تماما ، أو مغطاة بجوارب لها حمالات ظاهرة للعيان ، ويضعون على رؤسهم الطاقية الحمراء وحدها واسمها عندهم (الشاشية) ، أو ملفوفة بعمائم على الوان واشكال ، وهناك فريق يتميز بالوجاهة يلبس مع هذا الزى قميصا له ياقة وربطة عنق ، ويضع على رأسه طربوشا واسمه عندهم (شاشية ماجيدى) او يضع طاقية من ذاك النوع ، ولها خصلة سوداء

طويلة تسمى عندهم (الكبية) ويعتبر صاحب هذا الزى عرفا من الناس الاكابر، والموظفون والطلاب، والجانحون للتطور، يلبسون الزى الاوروبى مع الطربوش، على أن تعرية الرأس متكاثرة فى هذا الفريق، كمثالهم فى مدينة طرابلس من طلاب وموظفين وممتشين مع التطور، وأهالى المدينة الطرابلسيين من المخالفين لزؤلاء حرفة وميولا تطورية، لباسهم الرداء الصوفى المسمى (الحولى) ومن تحته صدارة مغربية بزخرفة من التطريزات المحلية. وقميص اكثره اعتبارا ما حاذى الركبة، وسروال طويل الى القدم، وعلى الرأس

أزياء الطرابلسيين

نفس الطاقية التونسية واسمها عندهم احيانا (الشاشية) لانها من واردات مدينة تونس، يلبسونها تحتها مع طاقية بيضاء يقال لها (معرقة)، واحيانا ولا سيما أيام الصيف (المعرقة) وحدها، والنساء التونسيات يرتدين على الثياب المنزلية نسيجا من الصوف الابيض، أو من الصوف المزوج باسلاك قطنية ويسمى هذا النسيج عندهم على اختلاف انواعه (السفساري) ويتركن من الوجه ما بين مقدمى الجبهة والانف عاريا، ليرين منه الطريق واضحا، وأما اخواتهن الطرابلسيات فى المدينة فلا بسهن على هذا الشكل تماما، غير ان اسم ذاك الرداء النسائى عندهن (الملحفة) وأفخره (حولى ورقة)، ولا يتركن من الوجه سوى ما تراه العين الواحدة، وكلهن فى المدينتين العاصمتين، يسترن الايدى تحت الرداء بمهارة ولباقة، كالمسلمات السابقات التى قال عنهن الشاعر:

ازياء التونسيات

امراتان تونسيتان من العاصمة

يخفين اطراف البنان من التقى .. ويخرجن شطر الليل مؤتزرات

ازياء الطرابلسيات

ولكن التطور الذى مر على الرجال ابتدأ يمر كذلك على نساء مدينة تونس، فقد أخذن يجنحن للسفور، ولعل بادرته ترك ما بين مقدمى الجبهة والانف ظاهرا، والصحافة العربية فى مدينة تونس هى أرقى ما فى بلدان الشمال الافريقى كله، أرقاها فى عدد

الصحافة التونسية

ما كان ولا يزال يخرج منها يوميا واسبوعيا وشهريا ، وبمقالاتها الدالة على ما فى البلد من مثقفين وعلماء وأدباء واخصاء فنيين ، والملاحظ أنه تنقصها جدة الحروف المطبعية بالخط المعروف فى الصحافة المصرية والسورية ، وكثيرا ما تستعمل مفردات لغوية صحيحة ، ولكنها غير مألوفة فى كتابات الصحف فى الشرق العربى ، من ذلك مثلا اصطلاحها على استعمال كلمة (قافلة) بدلا من الرحلة ، وأول جريدة صدرت فى تونس كانت سنة ١٢٧٧ هـ واسمها الرائد وكانت درجة اسبقيتها فى العالم العربى ، بعد الجوائب والوقائع فى الدرجة الثالثة ، وأول

الصحافة الطرابلسية

جريدة صدرت فى طرابلس كانت حوالى هذا التاريخ فى ولاية نديم باشا سنة ١٢٧٧ هـ. واسمها (طرابلس الغرب) ، وتلتها عدة جرائد وفى العهد الايطالى لم يبق منها سوى اثنتين هما الرقيب العتيد وكانت مستقلة ، والعدل وكانت حكومية ، وفى الزمن الاخير اى بعد ان زال

ميدان باب سويقة وضريح سيد عزز

الحكم الايطالى ، ظهرت صحف وطنية ثم احتجبت واحدة بعد أخرى ، والصحيفة اليومية الوحيدة الان ، هى طرابلس الغرب ، ومع أنها حكومية فكثيرا ما كانت تتناول مقالات حرة التفكير ، ويحررها نخبة من الادباء والكتاب لو منحوا حرية أوسع لكانت خيرا للحكام أنفسهم وللبلاد والعباد ، يدلك على هذا أنها صدرت فى يوم ٧ نوفمبر سنة ١٩٥٢ وفى اعلاها بالصفحة الاولى اطار بحروف كبيرة فيه هذه العبارة بالنص (حرية الفكر وانطلاقه اصل كل حرية فى الشعوب) ومغزاها الادبى لا يخفى على الاريب الفطن ، وفى أحياء الميدان الرئيسى (جول فيرى) تركزت ارقى ما فى مدينة تونس من

المجتمعات

دور السينماء الفخمة والمتاجر الاوروبية العامرة والندية السمر الليلى الصاخبة، والمقاهى المتسعة الانيقة ، وفى المدينة العربية القديمة ، تجد أرقى المتاجر الوطنية ، فى شارعى سوق العطارين وسيدى محرز وما يتفرع عنهما من منعطفات وأزقة ، والميدان الرئيسيان فيها هما ميدان القصبة ، وتجده ممرا دائما لارباب المصالح الحكومية ولتلاميذ المدارس على اختلاف انواعها ودرجاتها من ذكور وأناث ، وههنا محط عام للترام والسيارات ، والميدان الثانى هو باب سويقة ويعتبر المظهر الحقيقى لحياة السكان العرب ، والمقاهى الوطنية فى كلا الميدانين زاخرة بالجالسين ارتياحا من أعمالهم او انتظارا لاوقات مصالحهم

سوقان صنوان

وسوقا اللفة والرباع فى مدينتى تونس وطرابلس ، هما صنوان اسما وطراز ابنية وسلعا تجارية ، كلاهما يبيع المنسوجات الصوفية من اردية الرجال واغطية للنوم وطواقى حمر وابسطة وكلمان ، وكلاهما مسقوفان لا يريان الشمس ولا ينهمر فى وسطهما المطر ، حتى الدكاكين عند مداخلها لها عتبات خشبية مرتفعة قليلا ليجلس عليها الزبون او لتعرض السلعة قريبا من الضوء ، ولباقة أصحاب الدكاكين فى كلا السوقين من المدينتين واحدة طبق الاصل ، يعرفون من أين تؤكل الكتف ويعرفون الزبون الجدير بالعناية او الذى هو عابر سبيل وحاطب ليل ، ولا يتجر فيهما

صناعات محلية

عادة الا من كان من ابناء المدينة مولدا وسكنا ، وابرز الصناعات أو الحرف المحلية فى كلتا المدينتين ، هى حياكة الاردية النسوية من صوف وقطن وحرير ، واغطية الرؤس المعروفة بالمناديل أو (التستمالات) ثم صناعة الجلود النفيسة من احزمة واحذية ومحافظ يدوية ، ومحل هذه الجلود فى طرابلس المتاجر الحديثة المقامة بمدخل سوق المشير جهة الميدان الرئيسى ، ويظهر ان الصناع الطرابلسيين فيها ، تفوقوا عن غيرهم بتطريزات الجلود من الخيوط الفضية ، ومحلها بتونس بسوق (البلغ) المتفرع من سوق العطارين ، وانفردت مدينة تونس بصناعة (الشاشية) ، ونوعها الفاخر ما كان من غزل الاصواف الاسترالية ، ويأخذ عملها من اصحابها مجهودات كثيرة ، وسوقها عظيم دكاكينه تحت قباء مرتفع ، وترى فيه آلات الشاشية على النسق الذى اخترعه قديما شيوخ صناعتها ، وسوق الشاشية على مقربة من ميدان القصبة ، وهو من اروج الاعمال الاقتصادية والصناعات المحلية ،

رقى التونسة

وفى مدينة تونس من الاثرياء الكبار ، والاطباء والصيادلة ، ورجالات العلم والقضاء ومن المدارس العالية والمتوسطة والابتدائية ، ومن مظاهر المدنية الشرقية والاوربية والرفاهية والبذخ ، ومن الاندية الرياضية والاجتماعية والثقافية ومن المظاهر الاخرى الدالة

على استحقاق البلاد للاستقلال الناجز ، مالا يقاس بها غيرها من بلدان الشمال الافريقى ،

الطب مثلا

وليس لبعضها فى مدينة طرابلس شبيه ، ولناخذ مثلا ناحية واحدة من مظاهر رقيها ولتكن الناحية الطبية ، فانه يوم زرنا مدينة تونس كان فيها ما يزيد عن مائة واربعين طبيبا من العرب التونسة ، وتفوق كثير من هؤلاء بفنه وعلمه ، لدرجة لم يحرزها علميا الا كبار الاطباء فى امهات العواصم الاوروبية أو الشرقية ،

حادثة الرحلة الخطيرة

ففى اليوم الذى ازمعنا فيه على الرجوع لطرابلس ، اشرف أستاذ منا ونحن فى الصادقية على الموت فجاة ، فتبادر القوم سراعا الى احضار طبيب الكلية الخاص ، وهذا رأى الحالة خطيرة مخيفة ، فتداركها عاجلا واستدعى زملاءه من مستشفى العزيزة عثمانة ، فى ميدان القصبة على مقربة من الكلية ، ومما زاد فى خطورة الحادث أنه وقع بعيد العصر ، واذا المع هؤلاء الاطباء ذكرا ، وهو الجراح الاول فى مستشفى العزيزة عثمانه واسمه

الجراح عزيز

الدكتور (صالح عزيز) ، وكان من العمر فى ذروة الشباب ، يقول بعد مجلس الفحص الطبى ، انها عوارض قرحة معوية مميتة ، ويامر بنقله الى المستشفى المذكور ، الذى اقامته باحساناتها الحامل لاسمها ، فنقل زميلنا بين الحياة والموت وهناك صور طبيبا بالاحدث من آلات الفن الكهربائية ، واظهر الفحص التصويرى ، صحة

قرحة مزمنة

ما قاله الجراح العالم ، اذ قد نشات للمريض العلة وهو طالب بالقاهرة ، وتقادمت عليه بالاهمال ، أو لعدم التوفق بالشفاء الطبى منها ، الى افرت ثلث معدته وحاولت اليوم ان تنجز مهمتها بالقضاء عليه ، وبدارا اخذ الى حجرة العمليات ، التى يعتبر الداخل

جراحة بترها

اليها مفقود والخارج منها مولود ، وكنا فى ريب قوى من ان يكون فى مدينة تونس من أبنائها العرب من يستطيع تشخيصا خاطفا كهذا ، او يتجرأ بالاقدام على جراحة للذى هو بين فكى الموت الزؤام ، وفيما كنا بين منتظر لنبأ الوفاة ، أو حزين يائس ، وبين داع لله متفائل ، أو معجب بثقة ذلك الجراح من نفسه ، واذا المحتضر حكما يظهر

نجاح العملية

وهو مسجى على سرير زاحف ، واذا الجراح العظيم يقطع بمبضعه الخاطف الحاد وبيده الكريمة الثابتة ، وبعلمه واخلاصه لفنه ، يقطع أصل الداء وحواشيه كلها ، وكان ثلث المعدة ، وخاط له ما تبقى باحكام دقيق كانه من الخلقة هكذا ، وقال مبتسما علامة للانتصار الساحق ، أهنئكم ففى منتصف الليل يقدر ان يتفاهم معكم بكلام خافت ، وفى الغد بحول الله وقوته يتحدث بصوت أعلى ، ولكنه يحتاج حتى ينقه ويرجع سليما معافى ، الى راحة شهر تقريب أو أقل ،

وعدنا الى وطننا فى اليوم التالى قائلين ولكن الله سلم ، وعاد هو فى المدة المعينة الى وطنه يصحبه استاذ زميل جاء اليه من طرابلس وهو ابن عمه ، وهذا العدد من الاطباء ما لا تجده فى مدينة طرابلس ، بل ليس فيها الان من ابنائها العرب سوى طبيب فنى للاسنان ، رجع الى وطنه اخيرا من الشرق وهو متخرج من كلية الطب فى استانبول .

معالم المدينة العشر

وبعد تلك الاوصف الخارجية والداخلية لمدينة تونس ، وماسقناه من الملاحظات على حياتها العامة ، ببيان مجمل وتلميحات سريعة خاطفة ، فانه من أولى ما يذكر فيها بشئ من التفصيل الموجز ، هو تلك المعالم الاثرية العشر ، ونقصد بها ما ياتى من اسمائها ، وهى : الكلية الصادقية - جامع الزيتونة - مكتبة العطارين - دار ابن عبد الله - حنايا عين زغوان - قصر باردو - بلفيديير - لسى كارنو - متحف الاحياء المائية - اطلال قرطاجنة - وقد سردنا هنا بترتيب زيارتنا لها ، فالصادقية هى أشهر كلية

الصادقية

راقية فى الشمال الافريقى كله ، من طرابلس الى المحيط الاطلسى ، وتعتبر من جهة اثرها فى نهضة تونس ، كجامعة القاهرة الان ، او كالخديوية الثانوية فى ماضيها المجيد ، وهى تقع فى الطرف الغربى من ميدان القصبة وشمالى القلعة ، وتتالف من عدة مبان ، ذات طابقين ارضى وفوقى ، ويتوسطها من الداخل فناء كبير على أطرافه اشجار وأزهار ، واجمل منظر لها هو عند مدخلها ، اذ له واجهة اقيمت بابدع طراز شرقى ، ويلى هذا المدخل فسحة صغيرة حولها عدة حجرات امامها اقواس رخامية ، وهنا قامت المكاتب الادارية للمدرسة ، وجامع بماذنة جميلة زاد منظر الواجهة حسنا وجمالا ، ثم من بعد الفسحة تدخل الى تلك الساحة المشجرة ، ويبلغ طلاب الصادقية الان أزيد من الف ، منهم نحو ستمائة داخليون بالمجان ، واكثر هؤلاء من البلدان التونسية على اختلاف انحائها ، والحقت بالصادقية مدرسة ابتدائية خاصة فى حكم الاعدادى لها ، وتقع خارجها جهة الشمال ، وفى مبدأ ظهور الصادقية كانت تاخذ ابناءها من طلاب الجامع الزيتونى المتفوقين ، وقد أسست عام ١٢٩٢ هـ بمساعى المصلح الفذ خير الدين باشا ، وكان الوزير الاول فى عهد سمو الباى محمد الصادق ، ولذلك حملت الكلية اسمه الكريم ، ولكى تظل بمرور السنين ، بعيدة عن اى طارئ حكومى

طلابها وأقسامها

أو سياسى ، أوقف لهـا ذلك الباشا الخير ، من امـلاك الدولة الشئ الكثير ، ولا تزال تدر عليها الموارد المالية الطائلـة ، وادارة هذه الاحباس العظيمـة ما برحت مستقلـة عن غيرها ، ومكتبها الادارى فى الركن الايسر من واجهة المدخل خلف ماذنة الجامع ،

الغايـة مـن الصادقيـة

والغرض الذى حفز ذلك المصلح الكبير على تاسيس الصادقية ، هو كى تخرج للبـلاد التونسية رجالات اكفاء فى جميع العلوم والفنون التى تفوقت بها أوربا على الشرق ، ولذلك قامت مناهجها من بادئ الامر ، على التضلع بدراسة الفرنسية والعربية وآدابهـا معـا ، وما يتصل بكـل منهـا من العلوم الاسلامية والحديثة ، ليستطيع طلاب الصادقيـة باللغـة الفرنسيـة ، ان يتمـوا دراساتهم العـاليـة وفـروع تخصصـاتهـم فى جـامعـات باريس وغيرهـا ، وأن ينشروا باللغة العربيـة فـى وطنهـم مـا كانـوا قـد رأوه فى أوربـا الناهضـة ، مع ما تحصلوا عليه من تلك الجامعات ، وبتوالى السنين وترقى الكلية رويدا رويـدا فازت مقاصد خير الدين وآماله بالنجاح الباهر ، والتوفيـق المؤدى لكل علـم مفيـد وتطور صالح جديد ، لدرجة أنك الان لا تجد فى القطر التونسى ، طبيبا حاذقا أو جراحا بارعا أو صيدليا دقيقـا أو اخصائها ماليـا ، او ذا منصب قضائى أو ادارى أو زراعـى أو متثقفا نابها ، أو غيرهم من رجالات العلـم والفضل والادب والفنون الا وكل فريق من طائفته متخرج أصلا من الكلية الصادقية ، ومن هؤلاء مثلا الجراح الكبير الدكتور صالح عزيز ، والوزير الوطنى السيد محمد شنيق والزعيم التونسى الدكتور الحامـى

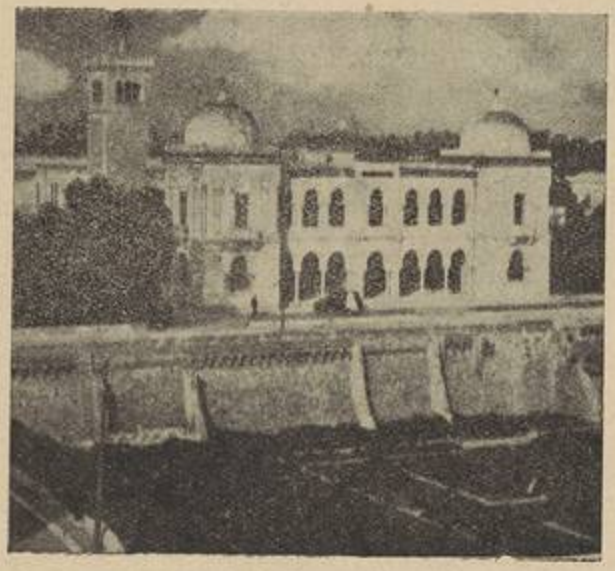

واجهة الكلية الصادقية العظيمة وماذنة جامعها

تحقيقها للامال

جامع الزيتونة

الحبيب ابو رقيبة ، والدكتور بطب الاسنان السيد الماطرى ، واذا ما انحدرت من الصادقية وعن يمنك جدران القلعة ، سائلا عن المكان الذى يرجع اليه الفضل الاوحد ، فى احتفاظ المغرب وتونس ، بحياتها الاسلامية ، من دين ولغة وشعور بالقومية العربية ، فسرعان ما تؤخذ الى سوق العطرين مارا بميدان القصبة فنهج الباشا فعطفة سيدى ابن عروس ، فشارع العطارين ، واذا قبالتك جامع الزيتونة مندسا بابه بين الحوانيت الفائح من بعضها اريج العطر القوى ، اذ فى هذا السوق تجد من الروائح الوطنية الذكية ، ما يبقى فى الثوب اثره قرابة الشهر أو يزيد ، ويرجع تاسيس الجامع الاعظم الشهير بالزيتونة الى سنة ٧٧ هـ ، ايام خلافة عبد الملك بن مروان ، وولاية حسان بن النعمان ، وبهذا التاريخ يكون أسبق وجودا من الازهر بنحو ثلاثمائة عام ، ويبلغ عدد المنتسبين اليه فى مختلف اقسامه الدراسية اكثر من خمسة آلاف طالب ، وقد مر عليه من التطورات الاجتماعية والسياسية والاصلاحية ، ما مر على صنوه الازهر ، من ذلك ان طلابه فى السنين القريبة ، كانوا يضربون عن الدراسة لاغراض اصلاحية أو وطنية بالتتابع ، وقد يستمرون على اضرابهم الشهرين والثلاث ، وبعد لاى فازوا حين وزارة السيد محمد شنيق بالاصلاح الكثير فى انظمته وأحواله السابقة ، حتى صارت الدراسة فيه على مراتب ابتدائية وثانوية وعالية ، ومن أهم ملحقاته فى مدينة تونس الكلية الخلدونية ، وفيها يتلقى طلبته مجموعة من المعارف الحديثة ، كالحساب والهندسة والجغرافيا والتاريخ والرسم

تاريخه وطلابه

ما مر عليه

تونس العربية وصومعة جامع الزيتونه الرائعة الرشيقة

ملحقاته

وعلم الميراث ومبادئ علم الحياة (نبات وأنسان وحيوان) والطبيعة، وبجانبه مكتبة له تشتمل على نحو عشرة آلاف مجلد ، ومنها المخطوطات النفسية النادرة ، وبناؤه متكون من صحن كبير مرصوف بالحجارة المصقولة ، وحين تدخل الى المسجد الجامع تجد فيه من الاعمدة الرخامية ستة أسطر ، على ألوان طبيعية مختلفة ، بيض وسود وخضر وصفر ، وبكل سطر اثنا عشر عمودا ، والجدار الذى فيه المحراب مسند عليه خزانات طوال عراض مطلية باللون العنابى ، وأرضه مفروشة بالحصر الجميلة والابسطة الفاخرة ، وتتجلى النظافة بجميع أطرافه ، ويوم زرناه صباحا كانت حلقات الدروس منعقدة فى داخله على نمط الازهر القديم تماما ، ومعظم طلابه كانوا من الشباب فى أزياء تونسية انيقة ، تعارف مواطنوهم على اختصاصها بطلاب المعاهد الدينية ، ومن أروع أبنية الجامع هى مأذنته الرشيقة ، منتصبة للجو بشكل مربع ، وزينت باجمل النقوش الحديدية ، وهى الوحيدة من نوعها أبهة ورواء ، وللجامع عدة أبواب خارجية ، الرئيسى منها هو الكائن فى شارع العطرين ، ومن غير خلاف ولانقاش ، فان الجامع الزيتونى يعتبر بعد الازهر ، الجامعة الاسلامية الثانية فى العالم فضلا عن أثره وشهرته فى بلدان المغرب ، ولذلك كما هو حال الازهر ، تجد فيه طلابا وافرين ، من مراكش والجزائر والسانيغال وغربى افريقيا وطرابلس ، وتوليهم مشيخة الجامع الزيتونى كل عناية واشفاق ، ولهذا الجامع ايضا من العلماء والاوقاف ومن الميزانية العامة ما للازهر ، والفارق الوحيد بينهما فى هذا الخصوص ، هو فى عدد الطلاب وضخامة نفقات الازهر ، ووجوده فى بلاد ذات استقلال ناجز واقترابه الى صميم الاقطار العربية والاسلامية ، ومما يحسن ذكره ههنا ان فضيلة الاستاذ الاكبر الخضر حسين شيخ الجامع الازهر الحالى ، هو تونسى الاصل مولود فى مدينة نفطة من بر الجريد وتلقى علومه فى الزيتونة الى النهاية ، ودرس فيه ، ثم فى الحرب العالمية الاولى ، فر من تونس منضما الى دولة الخلافة العثمانية وبعدها جاء دمشق فكان مدرسا للادب فى ثانوية عنبر وتعين عضوا بالمجمع العلمى ولما جاء الفرنسيون الى دمشق وكان محكوما عليه من قبلهم بالاعدام ، فر الى القاهرة والف كتاب نقض الاسلام واصول الحكم ، رادا به على الاستاذ العالم الشيخ على عبد الرازق ، وبسبب هذا الرد انتبهت فى مصر وغيرها الى فضله الاذهان والانظار ، وتقدم حينئذ للعالمية الازهرية فنجح بها ، وفى زمن البطل العظيم ومجدد نهضة العرب الاولين

داخله وصومعته

الزيتونة كالازهر

العلامة الخضر حسين

اللواء محمد نجيب المنقذ مع اخوانه الضباط البواسل البلاد المصرية من الدمار الخلقى والحيوى اختير شيخا للجامع الازهر، دلالة على ان الازهر معهد عالمى لكل المسلمين فى مشارق الارض ومغاربها، لا أنه مختص بمصر وحدها، وعندنا رأى نصرح به علنيا خطأه، وهو ان يبادر علماء المسلمين الى عقد مؤتمرات دورية فى كل سنة، يتدارسون فيها تكييف الاحكام الشرعية بما يساير اتجاهات التقدم الاجتماعى الحديث عملا بقوله صلى الله عليه وسلم (سالت الله ان لا يجمع امتى على ضلالة فاعطينيها)، وبالقاعدة الاصولية القائلة ما رآه المسلمون حسنا فهو عند الله حسن، وأن يصحب كل رئيس وفد دينى فى هذه الاجتماعات السنوية العامة، خبراء كثيرون فى اشتات العلوم العصرية ليتفهم منه العلماء المسلمون ما يستنيرون به فى اقرار الاحكام الشرعية التيسيرية، لقول ان لم يبادروا هم أيضا باحداث تطورات اجتهادية تدعو اليها مصالح المسلمين فى عصر الذرة، فستكون حالة المسلمين الدينية والاجتماعية اذا ما بقوا على همودهم، سيئة جدا لا قدر الله، (ومن أجتهد وأصاب فله أجران ومن اجتهد واخطأ فله اجر واحد)، اذ على الانسان ان يسعى وعلى الله تتميم المقاصد، ولنا فى الامام المرحوم الشيخ محمد عبده عبرة، فقد نادى منذ نصف قرن بالاصلاح، فهجاه زملاؤه العلماء وكفروه، ويوم قرر فى الجامع الزيتونى ان تدرس بعض من العلوم الدينة فى الكلية الخلدونية، حدث فى تونس لدعاة الاصلاح ما حدث فى مصر للامام الشيخ محمد عبده ولتلميذه من بعده الامام المراغى، واذا أولئك المخالفون وذرياتهم اليوم اوهم أنفسهم يطالبون الان لمعاهدهم الدينية بما كانوا يعارضون فى ادخاله اليها من قبل، فامثال كتاب الشيخ الكافى عن الجغرافيا يجب ان يصدر فيه العلماء الدينيون ما يفيد أنه مخالف لارائهم هم فى علم الجغرافية مثلا، والكتب التى ثبت خطاها ويقرأها انصاف المتعلمين ويرجونها بين العامة ومن فى حكمهم، انما هى افساد للعقول وبذرة فتنة بين المتعلمين، فى المدارس النظامية والمعاهد والزوايا الدينية، ومن الغريب ان تفكيرات واجيال هذه الكتب قد تخلفت عنا بميئات السنين، وبقيت هى تنشر فينا آراء الناس فى تلك العصور التى لم يكن فيها طيار ولا مذياع ولا غواصة ولا قنابل ذرية، وما كان لمؤلفيها رحمهم الله ان يطلعوا على الغيب، فيكتبوا أو يؤلفوا المعلومات التى لم يسمعوا بها ولم يروها، ولا خطرت لهم على بال، ولم يقولوا فيها لزاما على من ياتى بعدنا ان لا يحيد عن تفكيرنا الخاص قيد أنملة، ومما يبشر الطرابلسيين خيرا عن

يسروا ولا تعسروا

المجتهد المخلص دائما ماجور

دفاع عن مؤلفى السلف

كلية أحمد باشا

مستقبل معاهدهم الدينية ، ان كلية احمد باشا فى مدينة طرابلس ، وهى المعهد الدينى النابه فى هذا القطر ، استطاعت ادارة أوقافها اخيرا ، ان تجعلها تساير تطور الافكار الثقافية فى هذا الزمن ، فجهزتها بالوسائل التربوية الحديثة ، من مقاعد وسبورات وخرائط ووسائل ايضاحية متنوعة وغير ذلك ، ورتبت الدراسة فيها على ثلاثة اقسام ، ابتدائية وثانوية وعالية ، وادخلت الى مناهجها العلوم العصرية بالتدريج ، والمنتسبون اليها ماخذون من الناشئة ، التى سبق لها التلقى لمبادىء الدين وحفظ القرآن فى جهات متفرقة من الزوايا الدينية ، وعدد طلابها الان حوالى ثلاثمائة طالب ، والمامول تضاعف

تطورها وطلابها

مؤسسها

صورة رائعة لجامع احمد باشا القرمانلى ومنبره من الداخل

ازديادهم فى كل سنة ، ومؤسسها هو أحمد باشا القرمانلى المتوفى سنة ١١٥٨ هـ أول أمير كون فى ليبيا مجد أسرته ، وهو الذى ذكرنا عنه لمحة من قبل ، حين قارناه بمؤسس حكم العائلة الحسنية بتونس ، وتقع الكلية فى داخل جامعه ولها طائفة من الخلاوى الفوقية والتحية ، متخذة الان سكنا لفريق من الطلبة ، وأما محل الدراسة على النظام

أوصافها

الجديد فهو أيضا جزء من جامعة وكان ايام الاتراك مدرسة للمعلين والان قد اصلح اصلاحا كبيرا ، وله مدخلان الرسمي محاذيا لباب الجامع المطل على سوق المشير والثاني من داخل الجامع وهو للطلبة الساكنين في تلك الخلاوى ، ويظهر ان ادارة الوقف مدركة ، ان مساكن الطلاب في الكلية وملحقاتها في المدينة غير كافية ، وانها تتوقع ازدياد المنتسبين ، فاخذت من الان تفكر في مبنى عظيم لائق بهم من جميع الوجوه وفي شمالي جامع الزيتونه بخطوات قليلة ، من ذاك السوق المعبق بشميم المسك والطيب ، تجد عن يمينك مدرسة قديمة على طراز الزوايا العلمية الشرقية ، لها فسحة تحيط بها طبقتان احداهما أرضية والثانية فوقية ، وفيها جملة أقواس رخامية ، مقامة امام حجرات الفسحة ، وفي هذا المكان وضعت في مدينة تونس اغنى مكتبة بالاسفار القيمة وثمرات الاذهان النيرة ، وهي مكتبة او مدرسة سوق العطارين ، اذ يبلغ عدد ما تحتويه من نفائس العلم ازيد من مائة وثمانين الف مجلد ، والكتب التي هي مخطوطة باليد نحو ستمائة واثنين واربعين كتابا ، والقسم الاكبر من معلومات هذه الثروة العرفانية ، منحصر في ثلاثة فروع ، أولها للدين الاسلامي وثانيها للغة وآدابها ، وثالثها متعلق بشمالي افريقيا ، مع ملاحظة انه من بينها كتب بالفرنسية عظيمة العدد ، وكلها تتناول عشرات من الموضوعات المختلفة ، ولضيق المكان عن الاتساع لتلك الكنوز الفكرية ، انحشرت فيه كتبها على الرفوف والدواليب حشرا ، فصارت في أشد الحاجة الى خزانات فنية ، تتفق مع شانها العظيم ، وفي نفس المكان تجد مدرسة عليا للاداب والعلوم ، يقوم بالتدريس فيها طائفة من العلماء التونسة والفرنسيين ، وبعض من هؤلاء هم من المستشرقين الكبار قدرا وفضلا ، وتاسيس هذه المكتبة كان في سنة ١٨٤٤ ميلادية ، والفهرست العام لمجلداتها على قسمين ، الاول يذكر المؤلفين بترتيب الحروف الابجدية ، والثاني على حسب المواد العلمية ، والانفاق على كل من المكتبة والمدرسة هو من ميزانية الحكومة التونسية ، الخاصة بشئون الثقافات والمعارف ، وفي مدينة طرابلس مكتبة للاوقاف مفتوحة للقراءة العامة دائما ما عدا ايام العطلة الرسمية ، وتمتاز عن مكتبة العطارين بوجودها في اجمل عمارات الاوقاف الطرابلسية ، وهي عمارة سيدي حموده المطلة على الميدان الرئيسي ، وأن محلها وضع تصميمه في خارطة البناء قبل الشروع في تشييد العمارة ، لذلك جاءت احسن نموذج للمكتبات العامة الانيقة ، وان كتبها نسقت في خزانات فاخرة على أقوم نظام مكتبي حديث ، وفيها ازيد من اربعة الاف

أصلاحها وتوسيعها

مكتبة العطارين

ثروة كتبها

المدرسة العليا

مكتبة الاوقاف بطرابلس

مجلد باللغة العربية ، وطائفة من الكتب التركية ، وقليل من الافرنجية وتغادر مكتبة العطارين الى ما وراء جامع الزيتونة شرقا ، وانت تسير فى صميم الاحياء الوطنية ، من التواء الطرقات وضيق عرضها ، كانك ماش من مدينة طرابلس بمنعطفات كوشة الصفار ، حتى تصل هناك الى زقاق ابن عبد الله ، المكتوب عليه لافتة بهذا اللفظ تماما ، ثم تقف وتدخل الى دار ابن عبد الله ، وكانت فى الاصل منزلا فاخرا للرجل العظيم الذى اخذت اسمه ، وكان هو واحدا من الرجالات الافذاذ ، فى عهد الحكام السابقين من البايات ، وحين تقلب النظر فيها وانت فى وسطها ، تعطيك اصدق فكرة عن الطابع الاموى ، للدور الفخمة فى الاحياء العربية ، من مدن دمشق وتونس وطرابلس والقيروان ، ودار ابن عبد الله ذات بناء عظيم ، وكالعادة من أمثالها فى تلك المدن ، متكونة من دورين تحتى وفوقى ، وداخل حجراتها التحتية لها اقواس يقرب ارتفاعها الى السقف ، ذى الطلاء الاثرى المزخرف ، وحواشى الاقواس العليا مع منتصف الجداران مزخرفة بكل لون ، من دقائق الاجزاء الرخامية ، تدل على البراعة الزائده لفن التنزيل الفسيفسائى ، وكانت الحجرات الفوقية يوم زرنا الدار ، جاريا بها الاصلاح والترميم ، فلم نستطع رؤيتها سيما وان عوارض الاخشاب المقامة للاصلاح كانت تمنع الوصول اليها بسهولة ، ومظهر الغرف يدل على انه لولا العناية الدائمة بها للحقها التلف العاجل ، لان الدار واقعة فى حى مرطب وهواء راكد ، من عدم النوافذ على الشارع ، شانها فى هذا شان الطراز الاسلامى فى المدن القديمة من الشرق العربى ، وهذه الدار هى الان واحدة من مجموعة المتاحف ، المشرف على ادارتها مصلحة الاثار التونسية ، وقد خصصوها لتكون معرضا عاما ، لما فى بلدان الريف التونسى من الاشغال والتطريزات اليدوية ، على أنواع النسيج المحلى الفاخر ، ففى حجرات منها مثلا ، ترى طائفة من القمصان النسوية ، قد طرزت اكمامها ورقابها وصدورها ، بالخيوط الحريرية او العادية الملونة ، مما ياخذ اللب اعجابا بنفاسة نسيجها وفنون تزيينها ، ويشهد لك بافصح بيان على ما للمرأة التونسية فى الارياف والبادية من ذوق سليم وبراعة اتقان ، قد تعجز عن اخراجه بهذا الجمال ادق آلات الخياطة التطريزية ، ولو شئنا ان نسرد عليك ما وقعت عليه الا بصار من التحف النفسية ، لاحتجنا الى رسالة خاصة او كتاب ثم هيهات ان ننتهى منها وصفا ومن احسن ما يذكر مما رأيناه فى حجرات اخرى ، هو مجموعات كبرى من الزرابى القيروانية

دار بن عبد الله

وصفها حجراتها

متحف للنسيج المحلى

الزرابى القيروانية

ذات الشهرة الذائعة ، والزرابى بلغة التوانسة ، هى السجاجيد عند المصريين والسوريين والبسط عند الطرابلسيين ، وتعتبر الزرابى القيروانية من انفس الفروشات على الارض ، والوان اصوافها طبيعية من سواد وبياض وحمرة وصفرة فاتحة ، وقطعها على اشكال مختلفة من العرض والطول ورقة الحياكة او غلظها ، وتحسبها من الجمال والنعومة ، كانها جاءت من تبريز وطهران الفارسية ، أو من طربزون وبرسة التركية ، وتستطيع ان تدرك قيمتها ، أن الاوربيين والاميركان تنافسوا على اقتنائها الى أن بلغ ثمن المترو المربع منها نحو سبعة جنيهات باسعار الوقت الحاضر ، وهى فى تلك المدينة المباركة من عمل نسائها وحدهن ويوم زرنا القيروان ، رأينا فى ضريح سيدى ابى زمعة البلوى ، الشئ الكثير من الزرابى الصغيرة ، ولوفرتها وضع بعضها فوق بعض ، ولما سالنا عن السر فى هذا ، قيل لنا جرت عادة البنات العذروات ، ان يهدين لصاحب هذا الضريح ، اول قطعة من الزرابى يحذقن صنعها بمفردهن ، توسلا به الى الله ان يعجل لهن بالزواج الصالح المبكر ، ورأينا وكان ذاك اليوم يوم جمعة ، اسرابا من السيدات فى الاردية الصوفية البيضاء ، يسعين قبل الصلاة جهة الضاحية الغربية ، وكان منظرهن رائعا يثير فى النفس الاحترام لهن والوقار ، وفهمنا انهن يزرن من كل جمعة قبر الحفيدة التى جدها الثانى سيدنا عمر بن الخطاب ، او هى من نسله القريب ، فما أطهر قلوب تلك العذروات وهؤلاء الاخوات ، وما ابرهن بالدين واحسن بنياتهن آمالا ، وفى مدينة طرابلس شاب عربى استطاع باقدامه وحزمه ، ان ينشئ مصنعا نسائيا للزرابى ، حازت بين الاجانب رواجا واقبالا ، اذ بلغت من الاتقان والجودة انك حين تراها تحسبها من عمل القيروان نفسها ، او من احدى البلدان الفارسية ، وفهمنا من حديثنا مع ذاك الشاب ، وهو من أسرة معروفة فى مدينة طرابلس ، ان صنع الزرابى كان منذ عامين تابعا لشركة وطنية مساهمة ، ثم الغيت فاستقل هو بالمصنع على نفقته الخاصة ، ويعمل فيه الان طائفة من البنات الطرابلسيات ، تشرف عليهن سيدة خبيرة فضلى ، ومما ينبغى الاشارة اليه بهذه المناسبة ، ان جميع الانسجة الصوفية ، فى الارياف ومدن الدواخل الطرابلسية من (حوالى) للرجال وعباءات وكلمان مصراتية وابسطة البادية ، هى فى تلك الجهات من صناعة نسائها وحدهن ، وينسجنها بانوال وطنية خاصة يقال للواحد منها (المسدى) ، وانفس اردية الرجال الصوفية ما كانت من عمل نالوت وفساطو فى الجبل الغربى اى جبل نفوسة وامتازت زيليتن

زرابى العذارى

زرابى طرابلس

الطرابلسيات ونسيج الاصواف

بالعباءات الحمر الفاخرة ، ومصراتة بالكلمان الرائعة ، وورفلة وترهونة ومزدة بالابسطة الوبرية الجميلة ، وغادرنا دار ابن عبد الله ، ونحن مسرورون بما عرضته علينا من ماضيها الزاهر وحاضرها الباهر ، غادرناها متجهين الى قصر باردو ، وفي طريقنا اليه مررنا بالحنايا ، وتقع خارج السور قريبا من باب سعدون ، وهي بقية اطلال من اقواس عالية ، هي اصلا من القنوات الرومانية ، فيها من الاعلى مجرى أثرى للمياه التي كانت منذ العهد الرومانى تسقى قرطاجنة والمدينة ، وكانت المياه مجلوبة

الحنايا وما فيها

ابسطة من زرابي مدينة طرابلس تفحصها سيدة اجنبية لمشترياتها

بهذه الطريقة ، من العين الكائنة فى جبل غوان ، وتبعد غربا نحو خمسين كيلومترا وبمرور الايام تهدمت الحنايا كثيرا فى اغلب مسافاتها ، ومن اجزائها الثابتة هذا الطرف الاثرى ، اذ استغنى عن وظيفتها بان صارت المياه تاتى فى أنابيب ضخام مدفونة تحت الارض ، وبما ان عين زغوان لم يعد ماؤها كافيا ، نظرا لتكاثر سكان المدينة واتساع بنيانها ، فقد شرعت الحكومة التونسية فى جلبه من عين دراهم ، كما سبقت الاشارة الى هذا فى أول الكتاب ، ولقد ظفرت الحنايا من الشعراء التوانسة

حالتها الان

وصفها الشعرى

قديما وحديثا ، بكل قصيد بليغ ووصف رائع من ذلك مثلا :

تمتع من بقايا للحنايا .·. بابدع منظر تصبو اليه

تامل صنع ارسمها البواقى .·. وقد مد البناء لها يديه

كسطر بعض احرفه تمحى .·. وبعض لاح مضروب عليه

مخزن الرخام بمدينة طرابلس

ومن أحسن ما فى مدينة طرابلس من المبانى الاثرية العتيقة ، هو قوس النصر الرومانى ، المعروف باسم الامبراطور (ماركو أوريليو) ، أقيم تخليدا لانتصارات القائد الرومانى،(لوجيو بالبو) ، فى الحملات التى تمكن بها سنة ١٩ قبل الميلاد، من الاستيلاء التام على اقليمى طرابلس وفزان ، بعد حروب معهما قاسية طويلة ، ويسمى ابناء المدينة العرب هذا الاثر (مخزن الرخام) اذ كان ايام الاتراك أكثره مرتدم تحت التراب ، وجزؤه الاعلى استعمل بالبنى حانوتا كبيرا ، تخزن فيه او تباع اشياء تجارية ، ولظهور جوانبه الرخامية اخذ من ابناء البلد ذاك الاسم ، ولما جاء الايطاليون ، اعتبروه تراثا تاريخيا فكشفوا عنه الاتربة ونظفوا بنيانه حتى ظهر للعيان فخما رائعا بنقوشه ومتانة رخامه ، وتشرب مدينة طرابلس من نبع ارتوازى

بئر أبى مليانه

يقال له (بئر أبى مليانة) ، ومكانه باقرب ضاحية للمدينة تسمى شارع (البك) ، ويرجع تاريخه الى ولاية على رضابا باشا الجزائرلى سنة ١٢٨٣ هـ ، اذ اليه الفضل الاول فى تاسيسه واجتلاب مائه ، داخل قنوات ارضية الى جنوبى سور المدينة ، ثم اتم عمله سنة ١٨٨١ م خلفه الوالى راسم باشا ، فزاد على البئر تحسينات اخرى ، وفى سنة ١٩١١ م حين جاء الايطاليون ، زادوه عمقا وقووا ماءه من آبار مجاورة له ، وجهزوه باحدث الالات الارتوازية ، المستخرجة للماء الغزير ، ثم شيدوا له فى محلة الظهرة خزانا هائلا ، وبهذه المجهودات الفنية العظيمة ، صار ماؤه العذب الفرات ، منتشرا فى أنابيبه الى المنازل والعمارات الكبرى ، كانتشار الدم فى عروق الانسان ، وقصر

قصر باردو

باردو كائن شمالى الحنايا ، ويذهب اليه الزائر بالترام المتجه من باب سعدون الى ضاحية منوبة ، وقبل ان يصير متحفا كان بلاطا لملوك الاسرة الحسنية العظام ، وظاهره مبنى على طراز القصور التركية ، وحين تدخل من بابه الرسمى الى ارضه الفضاء تجد القصر محاطا من أمامه وخلفه باشجار من السرو الباسق ، تتخللها حشائش وأزهار متنوعة ، وفى الركن الشرقى جامع بماذنة اسطوانية ، كان خاصا لعبادة أهل القصر ، ويؤدى فيه الملوك ورجالات الحكم صلاتهم فى الاعياد الاسلامية ،

ويواجه القصر من الجنوب مبنى ارضى كان يشغله موظفو البلاط الخصوصيون ،

اتخاذه متحفا

ويوم تطورت المبانى الى فنونها الصحية والهندسية الحاضرة ، اتخذت الاسرة المالكة قصورا جديدة وجعل قصر باردو متحفا جامعا لاروع ما خلفه الفنيقيون والرومان، ولانفس ما تركه الملوك الحسنيون من مفاخر المقتنيات النادرة ، والاثار المجيدة الخالدة ، ويتألف من دورين عظيمين وغرف عليا ابوابها تشرف على فسحات كانت مساكن للحرم المصان ، وتجاه الجامع من الجهة الغربية جناح أرضى ملتصق ببناء القصر ترقى اليه بسلم رخامى ، على جوانبه تماثيل اسود رابضة ، وكان هذا الجناح مستعملا للاجتماعات الرسمية بكبراء الدولة والسفراء ورجالات الدين والاعيان ، ولذلك حين تتفرج على أبهائه تجد ان كل واحد منها ، كان مخصصا لفريق من هؤلاء المذكورين ، واستبقى فيها أثاثها الرائع على نفس احوالها الاولى ، الا ما قد تلف منه لطول السنين او تناولته ايدى الضياع والتغيير ، ومن أنفس ما فى أبهائه من تحف هى قاعة السفراء ، وقد زينت جدرانها باندر مجموعة من الصور الزيتية لعظماء الرجال داخل اطارات مذهبة كبيرة ، والملاحظ على أبنية القصر جميعها انها تبدو من الخارج على نمط القصور الاستانبولية ، ومن الداخل مزجت اقسامه بالطراز التركى قليلا وبالطراز العربى كثيرا ، والتفرج على متحف باردو ببطاقات لها ثمن معين قليل ، ففى اقبية اطرافه الارضية مماش وردهات قد تزاحت فيها افخم وأجمل ما اكتشف وعثر عليه فى تونس ، من تماثيل وآثار عهدى الرومان والفنيقيين ، وأكثرها راجع الى الازمان الرومانية ، ولا يعرف منها ماهو للفنيقيين الا الخبراء ، أو بالبطاقات المكتوبة عليها ، ومجمل ما فى هذا القسم هو تماثيل رخامية توحى للناظر اليها بالفكرة الصحيحة عن حياة تلك العصور ، بما كان لها من طبقات اجتماعية ، واشخاص عظام ، وعادات جارية ، واشياء احترافية ، وأدوات منزلية ، واقيمت على جدران الاقبية عشرات من الاطارات الكبيرة والصغيرة ، لرسوم التنزيل الفسيفسائى الاخاذ العجيب ، وهى تمثل بجملتها ، وقائع حربية دامية ، واسرى مكبلين بالاصفاد ، وجيوشا بفرسانها وقادتها ، وفيها حدائق ورياحين نضرة ، ومجتمعات عامة أو عائلية خاصة ، وقد جاءت مناظرها بدقة فنها واجتلاء صورها والوانها ، كانها مرسومة بريشة ميخائيل انجلو او روفائللو الايطاليين ، أشهر نبغاء التصوير الزيتى ، فى عصر النهضة الاوروبية وليس رسوم تنزيلها الفسيفسائى فى الحقيقة ، الا جزيئات صغيرة جدا ، من قطع الرخام

جناح الاستقبالات

ابنية باردو

محتوياته الاثرية

رسوم التنزيل

تراكيبها الفنية

والحجارة والآجر ، على الوانها الطبيعية المختلفة ، فجعل منها عباقرة فنها القدامى، بالنحت والصقل وسحر التشخيص ، هذه المناظر وأمثالها ، لكى تبقى اشكالها متغلبة على الطوارئ الجوية الى آلاف السنين ، وكانت فنون الرسم التنزيلى ، عند الاغريق والرومان والفرس والعرب ، بمثابة الالات الفوتغرافية الملونة فى وقتنا الحاضر ، وفى متحف صبراتة القديمة بطرابلس ، روائع خالدة من هذه الانواع ربما قد تكون من اغرب واندر امثالها فى العالم ، ففى بناية متحف صبراتة الكبير ، قد فرشت ارضه كلها ببساط واحد من الرسم التنزيلى الفريد ، يمثل مناظر شجرية لبستان عظيم مورق الاغصان مزهر للاثمار ، تخاله حين تراه نسيجا من ايدى فارسية بارعة ، صنعته من ازمان قريبة فى طهران أو أصفهان ، وكلما رقيت على سلم الشرفة المطلة على وسط المتحف ، متلفتا الى ذاك البساط ، زادك التباعد المترفع حيوية فى تصوير البساط وافصاحا بتجلى الوانه ، وفى بناء المتحف الصغير من صبراتة ، ترى على الارض اطارا من رسومات هذا الفن المدهش ، مصورا عليه رجال ونساء وبنات وحيوان ، اراد بها فنانها المبدع القديم ، ان يعطيك بالمشاهدة مظاهر كل فصل من فصول السنة الاربعة ، بما لكل منها من احوال زراعية وطبيعية ، ووصف جميل او موحش ، ومن أغرب العجائب فى هذه اللوحة وأمثالها ، هو البراعة الفائقة فى اختيار الإجزاء للحجارة الملونة ، ثم اعطاء كل لون فى رسومات التنزيل ، من انسان وحيوان ونبات وجماد ، صبغته الطبيعية الحقة ، واذا زرت صبراته فانظر من بعيد فى هذا المكان ، الى وجه ذلك الرجل المتخذ رمزا لاله البحر ، والى ترقرق محياه بدماء الصحة ، ولون وجناته وعينيه الزرقاوين ، وشعر لحيته ورأسه العابثة بهما رياح اليم القوية ، ثم أقترب اليه وتامل صورته ، تجد ما يخجل الناس فى هذا الزمن ، من تفاخرهم عن الاقدمين فى اتقان الرسم الجميل والتصوير البليغ ، ويظهر ان مدينة صبراتة العتيقة ، كانت فى عهدها الرومانى الغابر ، هى الموطن الوحيد لفنون الزخرفة التنزيلية بليبيا ، ففى مدخلها الشمالى والجنوبى ، المطلين على شاطئ البحر ، تجد للان ان عتبات الابواب العمومية ، مغطاة ببقايا من الابسطة التنزيلية ، كما يضع الكبراء الان أمام حجراتهم السجاجيد او قطع الكلمان النفيسة ، ولو قيل لك عنها من بعيد ، انها قطع من الزرابى او الابسطة القديمة ، تركها اصحابها من الزائرين سهوا وكنت غير فاهم لحقيقتها ، لصدقت الكلام وانت ليس بملام ، وتغادر قسم الاقبية من متحف باردو الى الجزء الفوقى ، راقيا

روائعها بصبراته

رسومات الفصول

براعة التنزيل

صبراتة وفنون التنزيل

ما فى الجزء الفوقى

اليه من سلالم متعددة ، صفاء رخامها يحاكى بهاء الفضة ، فتجد فيه من الابهاء والحجرات العدد الكثير ، فى بعضها مجموعات من تماثيل القسم الاول ، ومجموعات من صور التنزيل ولوحات عليها نقود أثرية ، ولكنها فى جملتها ابدع منظرا وأرقى بنحتها وأوضاعها فنا ، وهى فى الحقيقة تكملة لاثار ما قبل الاسلام ، وتتحول عنها الى

معرض التحف الشرقية

امكنة أخرى فتجدها كلها مملوءة بتحف شرقية لم تر العين مثلها من قبل ، هناك اسرجة وطبنجات وسيوف وخناجر ، بعضها موشى بالذهب والفضة الخالصين ، وهناك اسلحة بمقابض ملونة ، ولها اغماد مزخرفة بذنيك المعدنين النفيسين ، أو مجردة من الحلية وهى مغلفة بابدع الجلود صناعة ، وهناك صدارات وأردية وسراويل وقمصان للامراء والاميرات من القطيفة الناعمة طرزت حواشيها بالاسلاك الفضية

المقصورات والابهاء

والعسجدية فجاءت تتحدث بما للشرق من روعة النسيج وفنون التزيين ، وهناك مقصورات وابهاء وحجرات وفسحات ومماش واروقة ، اخذت من كل فن عربى سحرا ، ومن كل فن تركى ابهة ، ومن كل فن غربى فتنة ، تنافس بين اعالى اقواسها وأنصاف

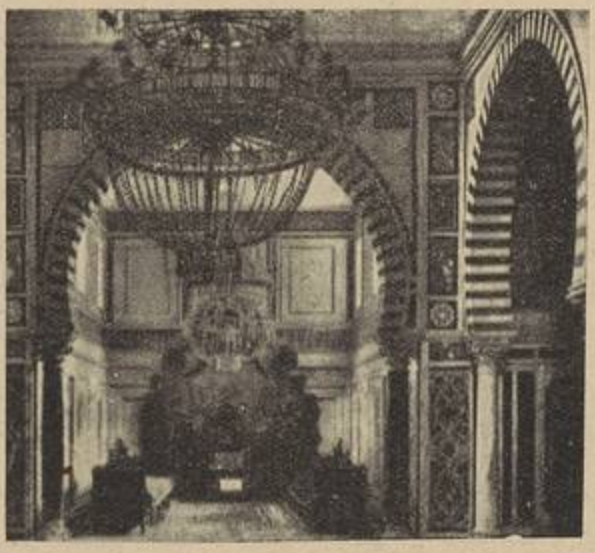

جانب من احدي مقصورات باردو الرائعة

جدرانها ، العباقرة من حذاق التنزيل الاموى ، ومهندسى البناء الشرقى ، وأنك بالنظر الى صورة مقصورة منها ، وهى المثبتة ههنا تحدثك بنفسها عن جمال روائها ، وعظمة فرشها وأثاثها ، ومن اروع هذه الابهاء منظرا هى قاعة العرش ، وما كان لقلمنا ان يوفى عجائبها وصفا ، او يحيط بابهة مفاخر شرحا ، ولنخرجن من قصر باردو ، انه مظلوم ان وصف ههنا على أثر زيارة واحدة ، وبذهن مكدود ويراع حاف ، ولكن كم فى

تعليقات على باردو

الدنيا من مظالم ، وكم في الدنيا من غدر ، ومن المؤكد ان بعضا من الناس حين يشاهدون باردو ، بعد رؤيتهم مثلا لقصور الشرق والغرب الفخمة ، قد لا يرون في عظمة بنائه داخلا وخارجا ، ما يفهم من عباراتنا هذه وقد يحكمون علينا وتتشذ بضيق العرفان عما في غيره من افتنان ، ولكننا قائلون لهم تقاس العظمة والمفاخر بين الممالك ، بما لكل من غنى وانفس وموارد وبغير هذا فهو خطا وقياس مع الفارق ،

(لسى كارنو)

ولنسر بعد متحف باردو الى اكبر معهد فرنسي في الديار التونسية ، انه (لسى كارنو)، وهذه اللفظة كلمتان ، الاولى بمعنى الثانوية ، والثانية اسم لواحد من روساء الجمهورية الفرنسية الغابرين ، انتهت حياته بالاغتيال ، فنجد بان حمل المعهد اسمه ، ووضع له تمثال في وسطه تخليدا لذكراه ، ومن يقل عن (لسى كارنو) مدرسة ثانوية ، فقد أبخسها حقها ، انها بمبانيها الفخمة ، ومناهجها العلمية ، وانظمتها التربوية ، واغراضها الحيوية ، كلية من ارقى انواعها بفرنسا ، او جويمعة حائزة لشروطها ، فعدد

حقيقتها

الذين تأويهم من ابناء الخضراء والسين نحو الفي طالب ، منهم نحو ستمائة داخليون ، والتدريس فيها باللغة الفرنسية ، ويأخذ بعضهم نصيبا من العربية ، على اساتذة وطنيين مولدا فرنسيين ثقافة او تخرجا ، أقوياء في موادهم العربية لغة وأدبا ، وهي لدى الجاليات الفرنسية وحكومتهم ، بمنزلة الصادقية عند التوانسة ، وأربعة أشياء فيها

عمائرها

تلفت اليها نظر التقدير والاعجاب ، اولها اقسام عمائرها المتعددة واختصاص كل واحدة بفرع علمي او تربوي ، وزيارة جميع هذه الفروع ، زيارة تفرج باقتباس مفيد ، تحتاج الى نهار كامل من الصباح الى المساء ، وثانيها مسرحها التمثيلي الانيق ، فانه

المسرح والمدرجان

لولا وجوده في مدرسة ثانوية كما يقولون عنها تواضعا او خشية ان تصاب بالعين لكان بابهة تكوينه محسوبا من ارقى دور التمثيل الخاصة بعلية القوم ، وثالثهما ذانك المدرجان الكبيران واحدهما للبحوث الطبيعية والكيميائية ، والآخر للرسم

بعض فصولها

اليدوي على اختلاف اشكاله وآساليبه ، ورابعها فصولها الوجيهة ، ووصفنا اياها بما ياتي منحصر فيما رأيناه منها باعيننا ، لا على الباقي الذي لم نره ، ما رأيناه من الفصول الوجيهة كان في الدور الثاني ، وجدرانها على الماشي الداخلية جزؤها التحتي بناء حجري ارتفاعه ثلاثة امتار تقريبا ، وما بعده الواح من الزجاج الشفاف المتين ، يبلغ علوها نحو المترين ، وما تبقى من أصل الجدار فراغ الى السقف ، ليذهب التنفس من الطلاب طليقا مع الهواء ، وكان في كل فصل ستة عشر مقعدا انفراديا ، قد

ما تحتويه

اتخذت من انفس الانواع الخشبية ، وطليت بلون أصفر زيتي جعلها صافية كالمرآة ، وجهزت الفصول باحسن مجموعة من الوسائل الموضحة ، وكان مظهر من فيها من طلاب وأساتذة ينم على استحقاقهم بالانتساب الى معهد كارنو في كل شيء

المنظر الجميل

وتغادر (لسى كارنو) الى محل آخر ، من يزر تونس ولم يره فكانه لم ير من محاسن الخضراء شيئا ، لانه تاتيك منه أمتع المشاهد الطبيعية ، وأوجد فيه ذاك البناء الاعجب ، وهذان الامران هما اللذان اعطيا تلك البقعة الوصف الجميل ، أو (بلفيدير) وهو الاسم المشتهر به ، يقع في الشمال الشرقي من الاحياء الجديدة ، انه رابية تغطت بالخضرة والبهجة ، تغطت باعشاب وأزهار ، وخمائل ظل واشجار سرو ، وكلما رقيت الى اعلاها في مسارب حلزونية ، تتسع لسيارة منفردة ، يظهر لك مناظر من المدينة وضواحيها ، كانه شريط اخبارى ، يفاجئك المرة بعد المرة ، بما لم يخطر في بال ، ويثير التشويق للمآل ، وفي مدينة طرابلس ، شبه للمنظر الجميل ، لا في ذاك التكوين الشاعرى ، ولا في بنائه المختال بمحاسنه ، بل فيها على مقربة من البحر ، الكائن ما بين القلعة وأوتيل ودان ، حدائق غناء وشجر وماء ، وازهار ونبات ، ومماش وطرقات ، وبرك وتماثيل وظل غير قليل ، وأرائك من خشب ونخيل ذو رطب ، ورياض للناس ونزة للجلاس ، غير العمائر جنوبيها ونسيم البحر شماليها ، فلو أنها بارض عالية ، لآخت حسن هذه الرابية ، وحين تصل الى قمة المنظر الجميل ترى فيها بناءا ، اذا قلت أنه تحفة فريدة فلست واجدا لقولك مخالفا ، ونحن سنكتفي عن بيان وصفه ،

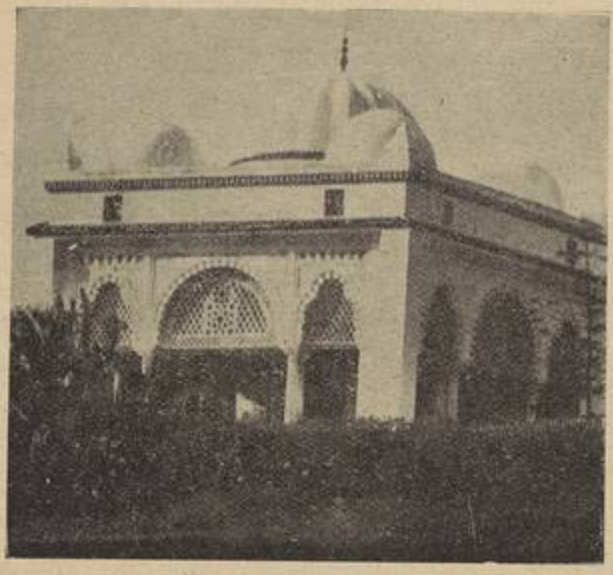

قبة المنظر الجميل المحسناء بزخارف نقش حديدة الرائعة

حدائق البحر بطرابلس

بما يتجلى للعين من رسم صورته ، ويستطيع المقيم فى مدينة طرابلس ، أن يرى نفس تخاريمه الجبسية باشكال من الصنع البديع ، فى كل من جامعى قرجى وأحمد باشا ، ومعروفة فى المدينة لارباب الدراية ، بالاسم المشتهرة به فى تونس ، والمفهوم من تاريخ هذه القبة أنها أنشهت بعد الاحتلال الفرنسى ، وبعد اتمام صنعها فى مدينة تونس ، ارسلت الى باريس ثم نصبت فى أحد معارضها الدولية ، لتعطى الغربيين نموذجا واضحا ، عما كان لعرب الاندلس من التفوق عن أهل زمانهم ، فى روعة المبانى الزخرفية وهندسة للقصور والابهاء الفاخرة ، ثم أعيدت الى تونس ، واختير لها هذا المكان فوضعت فيه مجلبة للسائحين ، ومتعة نظر للمتفرجين ، واذا غادرت المنظر الجميل الى معهد أو متحف الاحياء المائية، ماتزال تسعى بك السيارة اليه ، بين مروج خضراء وبساتين تحتضن اشجارها المنازل ، ومتجهة نحو الشرق وبمسافة ثلث ساعة بسيرها هى ، حتى تصل الى أول رابية (سان لوى) الغربية ، وحين تدخل اليه من هذه الجهة ، راقيا بسلالم قصيرة من الطرفين ، تلقى بهوا فسيحا ذا سقف عال تتوسطه قبة سقفية مسطحة هى جزء من سقف البناء ، ولها نوافذ زجاجية عريضة مرتفعة لزيادة الضوء ، وتلقى فى ارض البهو بريكة من ماء البحر ، فيها طوائف وانواع من الاسماك تسبح فى ذاك الغدير الصناعى ، من التى تعيش فى البحر الابيض المتوسط ، وفى هذا الغدير اصناف غريبة مصبرة او نموذجية ، لتفيدك عما يوجد منها فى البحار النائية ، ومنها مجموعة تشرح تطور خلقها من البويضة الى اكتمال نموها ، وعلى الجدران وخارج الغدير فوق الارض ، ترى طائفة من النماذج ، المبينة لالات الغطاسين وصيد الاسماك ،مما يضيق المجال عن تفصيله ، وهيهات ان يغنى الكلام عن المشاهدة ، وتترك البهو الى ردهة مطلة على البحر ، وبلغ من اقتراب المتحف اليه ، ان الواقف بشرفة الردهة ، يجيئه رذاذ الامواج كانما هو عطر يرش يوم فرح على الزائرين ، واذا الردهة مليئة باشتات من الالات الموضحة لحياة البحار ، ولها باب مفتوح جهة الشمال ، اذا دخلت منه تجد حجرة ، رسمت على حائطها المقابل للبحر ، صورة كبيرة بريشة اليد ، فى غاية من الوضوح والاتقان ، تفصل لك رحلة كريستوف كولونبو واستكشافاته ، وتترك هذا المكان الى محل آخر ، مساربه مظلمة كانك تسير وأنت غطاس فى كهوف تحت اليم ، فترى على جدرانها الصناعية ، كوات واسعة افواهها مسدودة بالواح زجاجية شفافة متينة ، ومبثثة فى جدار الكهوف كانها جزء منها ، وبها من الداخل اضواء كهربائية

تاريخ قبة المنظر الجميل

معهد الاحياء

الغدير الصناعى

ردهته البحرية

تهوق الاحياء المائية

خافتة ، مصابيحها من فوق ومن تحت صغيرة تعرفها بما تشع من نور ضعيف ، وقد صنع فى قلب الكهوف أوضاع تمثل أودية البحار وتلالها ومغائرها، وصخورها وحشائشها ونباتاتها ، وفى هذه المجموعات الكثيرة من الكوات يوجد داخلها اشتات واشتات من الوان وحجوم وانواع الاسماك ، هى صغيرة فخمة ، طويلة مفرطحة ، بيض سود حمر صفر ، مرقشة مزخرفة ، جميلة موحشة ، وكانت وهى على هذه الاحوال ، بعضها اليف للزائرين فيقترب اليهم غير هياب ، وبعضها لا يكاد يفاجا بشخص قادم ، حتى يجرى مستعيذا بالديان ، من رؤية اى انسان ، وكان بعضها يبدو عاتيا جبارا ، فهو يناضل القرين الطاغى ، او يسطو على الضعيف اللاهى ، فتراه فى حركاته وسكناته يطبق بالعمل المثل القائل (حوت ياكل حوت وقليل الجهد يموت) ، وهناك منها طوائف ، مرتقية على الروابى ، او مستقرة فى الارض ، وهى تمرح بسباحة خفيفة او بالعاب لطيفة ، او تسعى لغذائها من جهة لجهة ، او تتبعها صغارها اينما راحت او غدت ، وتغادر الكهوف البحرية بصنع البشر ، التى جعلت دراسة لما خلق الله فى جوف اليم من امم الاسماك ، والجبال و السهول والاودية والحقول وانت شغف بثقافتها متمنيا ان تسمح الاوقات بالرجوع لرؤيتها ، فتمر بحجرات فيها اشياء وأشياء ، متخذة لاعمال المتحف الفنية ، ووسائل لصيانة محتوياته ، ثم تنزل على سلالم الى الطبقة الارضية فتجد فضاءا فيه احواض مليئة باسماك مصادة من البحر فى الصباح المبكر او مع الضحى ، ههنا تفحص الاسماك قبل ارسالها الى المدينة ، ويستفاد من وضعها ههنا عدا ذلك ، دراسة انواعها المتوطنة بشواطئ البلاد ، أو التى هى آتية من مكان بعيد ، زائرة لارقابها او عابرة سبيل او لاجئة من اهوال المحيطات المخيفة ، ان للاسماك رحالات وهجرات واقامات كالانسان ، وما فى هذا عجب اليس كلاهما من المخلوقات الحية ، ولكل منهما دنيا جرت سنة الله ان يعيش فيها ، بلا بلا ولكن أكثر الناس لا يعقلون ، ولكن كل الناس لم ياخذوا من عالم اليم غير (حوت ياكل حوت وقليل الجهد يموت) ، وتترك مخبر الاسماك التى هى ايضا يوم نرمى اليها أو نغرق الى دنياها ، تقطع لحومنا اطرافا اطرافا بلا أية رحمة ، لانها وقتئذ حوت ونحن بينها لا حول لنا ولا قوة عندنا فنموت ، تترك الكهوف الى بهو عظيم فسيح ، مسندة على جدرانه كلها خزانات واسعة مرتفعة ، وفى وسطه موائد تراصت من فوقها مجلدات وكتب لا عداد لها ، فاذا أنت فى اندر مكتبة فرنسية

ما فى داخلها

حوت يأكل حوت

اسماك مرحة

مخبر الاسماك

مكتبة الاحياء

تشتمل على ما تريد معرفته ودراسته عن الاحياء المائية وسئل مديرها العلامة الفرنسي الجليل، والبحاثة المتخصص بعلم الاحياء المائية ، وكان على الرغم من تجاوزه الستين ، طويل القامة مكتمل الصحة وافر النشاط ، ذا لحية يخالطها الشيب تستدعيك ان تحترم سنه وفضله وعلمه ، سئل الا يوجد بين هذه الكتب مؤلفات عربية عن الاسماك ، فاجاب بوساطة مترجم عن الفرنسية ، وهو شاب تونسي من موظفي المتحف او المعهد بل انه مدرسة في واد ذي زرع ، أجاب قائلا نعم لدينا بعض من الكتب التي طبعتها الحكومة المصرية عن الاسماك العائشة في البحرين الاحمر والابيض المتوسط، وآرانا اياها ، فاذا هي قليلة العدد ، ولكنها نفيسة الطباعة ، في بعضها طائفة من الصور الملونة عن الاسماك الموجودة في محيط المياه المصرية ، ومما يحسن التنويه به انه في فندق المهارى بطرابلس ، مسرب تحب الارض يؤدي الى مطعمه المشرف على البحر ، وبهذا المسرب كوات في جدرانه على نمط ما تقدم بك وصفه ، فيها أسماك كثيرة يغلب على لونها الاحمرار والبياض ، ويظهر أن الايطاليين حين بنوا هذا الفندق ، لاحظوا حاجة البلاد باعتبارها وقتئذ لهم الى متحف للاحياء المائية ، فجعلوا هذه الكوات مبدأ تجربة او أنهم جعلوها مقدمة للذاهبين الى ذاك المطعم ، اشارة لما هم منصرفون اليه من منظر البحر ، فتنفتح شهياتهم الى طلب الاسماك المطهية او المشوية ، وسياتي وصفنا لهذا الفندق في حينه المناسب من تكلمنا عن معالم مدينة طرابلس ، ومن متحف الاحياء تذهب الى مدينة قرطاجنة ، وهي لاتبعد عن معهد الاحياء كثيرا ، بل هما معدودان في ارض واحدة تقريبا ، ومعنى قرطاجنة القرية الجديدة ، ولنا رأي في تحليل هذه الكلمة ذات الاصل السامي ، فالجنان بلغة الطرابلسيين الدارجة هو الحديقة ، والقرية في اللغة العربية هي البلدة ، فاذا لاحظنا مثلا ان اسماء الضمائر والكلمات المفردة في كل من اللغة الاشورية والعربية والفينيقية والبابلية متشابهة باعتبارها فروع من اللغة السامية ، نجد ان القرية بمعناها المفهوم لدينا ، تفيد البلدة ، فعلى هذا الاحتمال ، ليس ببعيد ان تكون مع اختلاف لهجات الامم وتباعد السنين قد حرفت عن قرية جنة اى بلدة الحديقة او بلد الحدائق او ما الى هذا اللفظ المحتمل من نطق واستعمال ، والجنة بلفظها ومعناها في العربية الفصحى هي البستان قال (مختار الصحاح) في مادة جن ما ياتي بالنص (والجنة البستان ومنه الجنات والعرب تسمي النخيل جنة) ومهما يكن فان ما ذكرناه ههنا وفي أول

اسماك المهارى بطرابلس

قرطاجنة

معناها

الكتاب ، عن أصل كلمة تونس وقرطاجنة ، انما هو سوانح عرضت لنا فذكرناها بما فيها من غث او سمين ، معتذرين الى ساداتنا علماء تونس ، عن تطفلنا على ما هم به أولى وأعلم ، اذ فوق كل ذى علم عليم ، وتقص علينا التواريخ من الاخبار القديمة ، عن نشاة وتاسيس مدينة قرطاجنة ، ان بنتا لواحد من ملوك الفنيقيين بصور ، واسمها (عليشة ديدون) ، حين أراد أخوها (بغمليون) التخلص من مشاركته اياها فى الملك ، بناء ، على وصية أبيها المتوفى ، قتل اخوها زوجها وعمها الكاهن فى آن واحد ، وكان هذا الاقتران جائزا فى وثنيتهم ، وكان هذا الكاهن ذا غنى طائل ، وماكادت عليشة تفاجا بما فعل اخوها مع زوجها حتى أخذت تلك الثروة ، وفرت بها خفية هى وحاشيتها فى سفينة اتجهت بهم نحو الغرب ، ولما وصلت شواطئ تونس راقتها ارضها ، فاشترت من أهلها بقعة وانشت فيها مدينة قرطاجنة سنة ٨١٤ م ، وما بقى من تاريخ هذه المدينة ، اشرنا الى بعضه فى البحوث السابقة ، فلا حاجة ههنا لاعادته ، ومع أن ماضى قرطاجنة العظيم قد أوصلها الى ان تحكم فى طرابلس مدينة لبدة ، فان آثار واطلال لبدة الباقية للان هى خير من آثار واطلال قرطاجنة الحاضرة ألف مرة ، واذا كنا واجدين زمنا محددا ، لنشاة قرطاجنة ، فان التاريخ المضبوط الذى تاسست فيه لبدة ما برح مجهولا ، ومن الثابت ان وجودها وحضارتها اشتهرتا حوالى القرن الرابع قبل الميلاد ، اى قبل مجئ الرومان الى القطر الطرابلسى ، ومن الاخبار ما تتحدث عن وجودها قبل القرن الرابع السابق للميلاد ، ولكن هذا التحدث للان لا يزال بالافتراض والتخمين ، وقولنا حاضر لبدة خير من حاضر قرطاجنة ، هو انك اذا قارنت بينهما فى حالتهما الراهنة ، تجد اطلال لبدة الان تفصح لك عن مجدها الغابر من غير كلام ، تجد شارعها الرئيسى ممتدا من الجنوب الى شاطئ البحر ، وهو طويل المسافة بالنسبة الى مساحة المدن الاثرية المسورة كما هو المالوف ، وتجد رصفه القديم باقيا بمعالم واضحة ، وهو من الحجارة الكبيرة المصقولة ، ويبتدئ جنوبا من مرتفع له سلم حجرى كبير ينحدر بدرجات مستطيلة الى مستوى المدخل الرسمى للمدينة حيث كان باب السور من قبل ، وفى ضفة الشارع اليسرى وانت متجه الى البحر الكائن شمالا ، تلاحظ انه من أبرز المعالم فى هذه الناحية اليسرى ، هو الملعب التمثيلى والرياضى ، وحين تطل عليه تجده يتسع لازيد من الفى شخص ، ومدرجات

تاسيس قرطاجنة

قرطاجنة ولبدة

شارع لبدة الاثرى

مسرحها وسوقها

اطـلال المعبـد ودار القضـاء بلـبـدة

الجالسين معظمها سليم متين ، ومقصورات المتفرجين العظام تتالف من ثلاثة أدوار ، واجهاتها للالعاب نحو الغرب ، ومدرجات المقاعد تتجه الى البحر ، واتجاه ساحة الالعاب نحو الجنوب ، ومن بعد هذا الملعب تجد فضاءا رحبا لا يزال جداره الجنوبى قائما وهو صحيح ، أن هذا المحل هو السوق العام للمدينة وفى ركنه الغربى مصطبة مرتفعة على قائمتين من الحجارة يرقى اليها الشخص بعدة درجات ، كان يتخذها موظفو السوق للمراقبة والضرائب او لاعلان الاسعار والمبيعات ، والمستفاد من هذه الجهة ، انها كانت للاحياء التجارية ، ولحياة السكان العامة ولغيرهم

احيائها الراقية

بينما تجد الاحياء الواقعة شرقى الشارع الرئيسى ، كانت للمبانى الحكومية ولارباب الحياة الاستقراطية ، ففى أول الضفة اليمنى قبل الانحدار من ذاك السلم الى المدينة، تجد الان مجموعة من التماثيل الرخامية ، تمثل مناظر اجتماعية ، من حياة الكبراء والامراء ايام الرومان ، ومنها لوحات نقشت عليها صور لعائلة الامبراطور سبتيميو، من نساء ورجال وأطفال ، وتجد عند باب المدينة من الجهة اليمنى للشارع ، محلا له نافذة قيل انه كان مسكنا لفنانات ذلك العهد ، وبعد قليل تمر من زقاق الى الحى العظيم فى المدينة ، فيدهشك ما فيه من فخامة المبانى وغرابة تشييدها ، ومن اروع ما يبعث فى النفس روح الاعجاب ، هو قاعة فيحاء قيل أنها كانت المجلس النيابى أو الاهلى لمدينة لبدة ، وقد انحشرت فيها الاعمدة الرخامية المتصاقطة ، ورؤس التماثيل على هيئة الانسان ذكورا واناثا ، حشرا يدل على ما كانت تزدان به ، من الصور المجسمة بالنحت البارع ، والتحف الاثرية الثمينة ، ويليها شمالا دار للقضاء رائعة ثم معبد هائل ، وفى جنوبى هذه المبانى العظيمة تجد طائفة من الانشاءات الاجتماعية ،

منشآتها الاجتماعية

ومنها حمامات لنظافة الابدان ، من باردة وساخنة ، وبرك واحواض للسباحة ، ودورات للمراحيض فريق للرجال وفريق للنساء ، وجميع هذه الامكنة مقامة من المرمر الابيض النقى ، وكثير منها يظهر لنا ما نحن عليه الان من تقليد الغابرين ، فى بعض انظمة دورنا الخاصة أو العامة ، فمثلا المغاطس الحارة الموجودة فى حمامات المدن الشرقية الان هى نفس المغاطس المرمرية فى مدينة لبدة ، ثم تجد خزانات المياه التى كانت تنظم سقاية لبدة ، وكان الماء ياتى اليها من عين تقع فى الوادى الجنوبى ، ثم نضبت تأثرا بالتقلبات الجلوجية ، وتمر بمقبرة المدينة والظاهر انها كانت خاصة بالامراء والكبراء ، فتجد كثيرا من الاضرحة لا يزال بمعالمها المرمرية القديمة ، وبينها قبور مسيحية وبضعة

قبور اسلامية ، وتدخل الى كهف مظلم مخيف فى أوله تمثال هائل من الرخام الناصع ، فالكهف كان سجنا للعصاة الطاغين ، وذاك التمثال هو للشخص الذى كان متوليا شئون السجن ، وهذا هو حاضر لبدة فى أطلالها وآثارها باوجز وصف لها ملخص ، وأما حاضر قرطاجنة يوم زرناها ، فهو بالغ حد الاسف ، اذ ليس فيها من الاطلال والخرائب سوى انصاف من الاعمدة الرخامية ، مركوزة فى ناحية من أرضها كالاوتاد

أثار قرطاجنة

منظر من الاطلال الباقية في مدينة قرطاجنة وتلوح في اعلى الجبل يسارا بقعة بيضاء هي قرية سيدي ابو سعيد

وبقايا من ملعب واقبية وخرائب لا روعة فيها ولا جمال يدلان على ماضيها الزاهر ، وبحسب ملاحظاتنا ان مصيف سيدى ابى سعيد وسلنبو مع رابية القديس لوى او (سان لوى) ، كانت من صميم مدينة قرطاجنة ، وهى تشهد بما كان (لعيشة ديدون) وبنى قومها ، من حسن الذوق باختيارهم هذه البقعة لمدينتهم ، اذ جمعت ارضها بين ما فى جبل لبنان من محاسن الطبيعة ، وبين سهول صيدا وصور الزراعية ، بل نظن ان المدينة كانت قرى مجتمعة وممتد بعض منها الى سفوح الجبال المستندة عليها مدينة تونس ، والظن هو تجويز أحد أمرين احدهما ارجح من الاخر ، وينبغى ان نلاحظ جيدا ، ان قرطاجنة الاولى التى تحدثت التواريخ عن حضارتها وعظمة مبانيها ، قد دمرها الرومان حوالى سنة ١٤٦ قبل الميلاد تدميرا تاما ثم عمورها من جديد ، ويوم جاء الوندال خربوها ثم اصلحوها واتخذوها عاصمة

تخريبات قرطاجنة الكثيرة

لملكهم ، الذى أمتد من جنوبى الاندلس الى طرابلس ، وبعد ذلك هدمتها ثورة شمالى افريقيا ضدهم ، ولما تحارب البزنطيون والعرب فى موقعة سبيطلة سنة ٢٩ هـ ، وانهزم البزنطيون لم تسلم أيضا من التخريبات ، اذن فمدينة قرطاجنة الحقيقية قد أزال معالمها الزاهرة ما توالى عليها من فتن وحروب ودول ، ولم يكن العرب مسئولين عن تخريباتها ، كما تروى بعض التواريخ ، وما أخذوه منها بعد تلك التخريبات التى توالت عليها من أوائل العهد الرومانى الى آخر أيام البزنطيين ان هو الا قليل من الاعمدة المرماة على الاراض ، انتفعوا بها فى بعض المبانى المقامة للمصلحة العامة ، وقبل ان نغادر موضوع المعالم العشر ، وبالنظر الى كل من متحف باردو وقرطاجنة وليدة وصبراتة ومعهد الاحياء ، فلا يسعنا ما دمنا ممن يقول الحق ولو على نفسه ، الا ان نثنى على ما قام به الفرنسيون والايطاليون ، من المجهودات العلمية الكبيرة والعناية الزائدة ، بحفظ الاثار القديمة فى كل من تونس وطرابلس ، خدمة منهم للعلم والتاريخ وتراث الغابرين ، كما اهتم العرب من قبل ، فى العراق ومصر والاندلس والمغرب ، بالمحافظة على التراث الفكرى ، من فارسى وهندى وأغريقى ورومانى ، الى أن أوصلوه الى أوائل النهضة الاوروبية الحديثة ، مصفى من الاغلاط والترجمات الخاطئة ، التى كان يقع فيها علماء أوروبا فى مبدأ نهضتها ، فضلا عما تركه العرب من كنوز العلوم الاجتماعية والطبيعية والتاريخية ، مما امتلأت به الان أمهات المكتبات العامة فى عواصم اوروبا وأمريكا ، ولا ادل على فضل العرب بخدمة ذلك التراث ، وبما لهم فى الدنيا من سابقات العمران والتثقيف ، نقول لا ادل على مفاخر العرب فى كل هذه النواحى ، باحسن مما ذكره عنهم العلامة الانجليزى روجير بيكون والعلامة الفرنسى جوستاف لبون ، ولكن أبناء العرب اليوم فى مشارق الارض ومغاربها ، حالهم فى كثير من البلدان كما قال عنهم ذلك الشاعر

الى متى شعبنا فى اللهوى واللعب وسيرهم ووهم زائد اللغب

دفاع عن العرب

خدمات الفرنسيين والايطاليين للاثار

خدمات العرب للعلم والحضارة

فتلك هى مدينة تونس بمعالمها العشر ، وسنتحول بعدها الى جولة اخرى فى شقيقتها مدينة طرابلس ، جولة ستكون على غير النسق الاول ، ففى مدينة تونس لم يكن لائقا بنا أن نتحدث عن حياتها فى كل مظهر ونحن غرباء عنها ، وفى مدينة طرابلس باعتبارها عاصمة لوطننا وهى دار اقامتنا ، وسلخنا فى تهذيب جيلها الحاضر شطرا كبيرا من

التحول الى معالم طرابلس

زهرة عمرنا ، كل أجاز لنا ان نتحدث عنها باراء حرة مجردة عن التملق والاهواء ، ترمى الى تثقيف ابناء القطر باحوال عاصمتهم ، والى مساهمتنا نحن فى الخدمات الوطنية العامة ، لان جميع المواطنين فيما يلحقهم من خير بلادهم او شرها هم سواء ، فى الحقوق والواجبات ، وامام الله وقوانين الحكم ، وكما أنه من مبادئ الاسلام(لا فضل لعربى على عجمى الا بالتقوى) فكذلك أيضا فى العرف القومى ، لا فرق بين مواطن ومواطن الا بالعمل الصالح ، الذى تنتفع منه البلاد وأهلها ، ، وأما الحاسبون انهم بقول أنا ابن جلا ومولود فى أم القرى ، يمنحهم تمييزا عن اخوانهم المواطنين ، فهذا قول لا يعترف به القرآن الكريم ولا شريعته الغراء ولا تقره فى شئ أنظمة الامم ، لان الامم والاوطان ، من أبعد العصور الى الوقت الحاضر والى قيام الساعة ، كان ولا يزال تقديرها لابنائها ، منصبا على الذين وهبوا حياتهم لخدمتها بالعمل المفيد أو بالرأى السديد ، ومن أجل هذا عظمت بريطانيا نلسن وفرنسا نابليون والمانيا هتلر وايطاليا موسوليني ، وقد مر بك فى البحوث السابقة اصدق مثال ، على تقدير الاسلام والسلف الصالح ، للرجال المخلصين وأرباب الكفاءات ، لا باشكالهم ولابانسابهم بل كانوا وقتئذ يقدرون باثارهم وافعالهم ، جريا على قاعدة (لا فضل لعربى على عجمى الا بالتقوى) وان ليس للانسان الا ما سعى وان سعيه سوفى يرى ، (أيها الناس انتم من آدم وآدم من تراب) .

كلنا فى الوطنية سواء

التقدير بالاعمال

وصف لمدينة طرابلس

وضعها الانشائى

ومدينة طرابلس اذا وصف منظرها العام ، فهو أقل جمالا طبيعيا من مدينة تونس ، فالجبال تباعدت عنها الى الجنوب الغربى بنحو سبعين كيلومترا ، وليس فيها مثل تونس بحيرة ملحة أو خليج ، ولا رابية كالمنظر الجميل ، أو حنايا كالتى لعين زغوان ، ومع تخلفها عن العاصمة التونسية فى تلك المحاسن ، فان القادم اليها من البحر أو المتفرج عليها من مكان عال ، يرى منظرها فى تكوينه العمرانى ، كالغادة الحسناء الضحوك ، او كالعروس الزاهية بجمال طلعتها ونفاسة حلتها ، فهى الان مدينة لا مثيل لسحرها بين مدن الشمال الافريقى ، تظهر لك منازلها البيض ، كانها عقد من اللؤلؤ انفرط جمعه فتناثرت حباته بين بساط ازرق هو البحر ، وغلالة خضراء هى البر ، غلالة الشجر اللفاف

والنخيل الباسق والحدائق الغناء ، فترى نحو الشمال الغربى جزءا من المدينة القديمة يسمى

مآذنها

باب البحر، قد برز الى اليم كانه يريد اجتيازه ، وترى المآذن او الصومعات الاسطوانية انبعثت فى جوف طرابلس العاصمة ، يحاكى بياضها وامتدادها اعمدة الرخام الناصع ، وكأن رؤسها مع شرفات المؤذنين ، القلانس الفارسية ملفوفة بالعمائم الخضر ، وحين تدنو الى

ميناؤها

الميناء ، الكائن فى الطرف الاخير من محلة باب البحر شرقا ، تحسبه لاول نظرة بحيرة من صنع البارى ، ولكنه حوض مبنى واسع كبير ، يحجز عن الميناء امواج البحر الصاخبة بجدارين متطاولين كثيرا ، قد شيدا ابان الحكم الايطالى ، من الصخور وقوالب الاسمنت ممزوجة بالحجارة والحصى ، وأحد ذينك الجدارين اقصر من الاخر ، ويتلاقيان عند فتحة صغيرة ، تنفذ منها البواخر الى الميناء واحدة واحدة ، الى أن ينزل المسافرون بارجلهم على الرصيف ، اما البوارج الكبيرة والسفن الضخام من عابرات المحيط ، فانها

منظر من حوض الميناء وقلعة باب البحر
والقلعة وطرف من حدائق المنتزهات

سيدى الشعاب

ترسو وراء الجدارين خارج الحوض ، وفى الجنوب الشرقى عند نهاية الحاجز أو الجدار القصير ، ارض قد ارتفعت عن مستوى البحر وهى تشبه الاكمة ، عليها ضريح جميل لتقى صالح ، اسمه سيدى الشعاب ، تزوره نساء المدينة ايام الجمعة ، كما تزور نساء مدينة تونس ، ضريح سيدى ابن عروس ، والقيروانيات قبر الحفيدة ، وقصدهن جميعا من زيارة هذه الاضرحة المباركة ، هو لغاية واحدة شريفة المقاصد ، طلب الذرية الحسنة او القرين الصالح ، او الالفة الزوجية الثابتة ، أنهن يعلمن ان كل شئ

باذن الله ، غير أنهن يعتقدن ان التوسل اليه تعالى بامكنة اوليائه لعله اقرب استجابة ، فحقق اللهم لكل مؤمنة آمالها الطاهرة، وحصنها بمزيد من التقوى الباهرة ،

فندق المهارى

وتلحظ قبالة سيدى الشعاب بناءا تافها فى منظره ، امامه حديقة صغيرة وعربات ركاب تجرها الخيول ، فاذا دخلت اليه تجد نفسك فى قصر للمسافرين الوجهاء ، نافست فخامته ارقى ما فى العالم من الفنادق العظيمة ، فيه نحو مائتين وخمسين حجرة ، ولكل واحدة بابان مزدوجان من الخشب النفيس ، وطلاؤها صاف لامع كالمرآة ، وداخل جميع حجراته مجهز باحواض للوجوه ، ولكل اثنتين حوض للاستحمام ، وتتصل كلها بانابيب فى وسط الجدار يجرى فيها للاحواض الماء البارد والساخن ، ولهذا الفندق المسمى (المهارى) اروقة وابهاء ومفروشات وأثاث ثمين ، وخدم والات للتلفون ،

مطعمه

مما لا تجد نظيره الا فى امهات العواصم الاوروبية والشرقية الكبرى ، والشئ الغريب الذى يمتاز به (المهارى) عن غيره ، انك تذهب الى مطعمه الانيق فى مسرب فسيح تحت الارض على جوانبه كوات يسبح فيها سمك ملون ، وفوق المسرب شارع عام تمر منه الناس والسيارات ، وهذا المطعم قائم غربى سيدى الشعاب على البحر ، مرتفع عن شاطئه باعمدة حجرية ، ويشبه المطعم فى تكوينه بهوا فاخرا فى احدى السفن العابرة للحيط ، وليست جدرانه مشيدة بالحجارة بل هى نوافذ زجاجية عراض ، يطل منها الجالس فى المطعم على منظر البحر النائى وحوض الميناء من ثلاث جهات ، وفى

فندق الودان

غربى المهارى ناحية المدينة ، وبمسافة دقيقتين مشيا على الاقدام ، شبيه له آخر اسمه (الودان) ، ويمتاز هذا عن المهارى بامور شتى ، فهو أوجه موقعا وافخم بناءا واجمل هندسة ، ولذلك فان نزلاءه عادة ارفع مستوى من المهارى ، ومصروفات الاقامة فيه ازيد ، وللودان وصف آخر لا يشاركه فيه المهارى، انه يعتبر بسهراته البازخة كواحد

لياليه

من فنادق (منت كارلو) بلا مبالغة ، فلا يكاد الليل يرخى ستاره المظلم ، حتى يؤمه كل مقامر غنى أو سامر عابث ، سواء كان من قاطنى المدينة ام مارا بها جوا أو بحرا ، ترى هؤلاء وأمثالهم آتين اليه فى افخر السيارات وجاهة واغلاها ثمنا ، وبآنق الثياب الاوروبية مظهرا ، وأحدثها نسيجا وأزياءا ، وكل مصاحب زوجه الشابة ، او مخطوبته العزبة ، او صديقته المدللة ، ولا تجد فى داخل قاعاته ، من مغيب الشمس الى مطلع الفجر ، الا موائد الميسر دائرة ، وزوايا المترفهين غاصة ، ومراقص الجنسين صاخبة ،

مراقصه

ولا يسعك حين تشهد بنات حواء فى هذه الاحوال ، الا أن تردد ما قاله عنهن ذلك

منظر لواجة فندق الودان الاسامية مع منارته وهو كائن بشارع البحر سابقا وشارع الاستقلال حاضرا

الشاعر اللبنانى :

لحد الركبتين تشمرين .·. بربك أى نهر تعبرين
مضى الخلخال حتى الساق امست .·. تطوقها عيون الناظرين
وقد سقط الستار فليس بدعا .·. اذا الشبان باتوا عابثين
وتعرف بنتكم رقصا لدنس .·. ولا تدرى الطبخين ولا العجين

يريد أن الملابس عند النساء السافرات بعد ان كانت فى الماضى نازلة الى عند القدمين محل التزين بالخلخال صارت الان قصيرة الى ان تعرت بها الساقان والغريب ان البنت تعرف كيف ترقص (الدنس) الاوربى ولا تدرى من امور الذ اء المنزلية شيئا .

اصل الفندقين

وهذان الفندقان (المهارى والودان) ، قد شيدا فى العهد الايطالى لغاية اقتصادية تبيحها أنظمتهم الاجتماعية وتقاليدهم ، وهى ان يكونا بفخامتهما منافسين لارقى فنادق السائحين ، فى بلدان البحر الابيض المتوسط ، وجعلا من أملاك بلدية المدينة تنمية لمواردها ، وهما للان على هذا الوضع ، غير ان فندق (المهارى) قد استاجرته شركة وطنية ، اعضاؤها اخوة اشقاء معروفون بالنشاط التجارى الواسع ، وليس فى المهارى من بزخ الودان شئ مخالف للتقاليد الشرقية ، بل هو خاص بكبار النزلاء الهادئين ، وكثيرا ما تقام فيه حفلات لافراح الزفاف او التكريم ، ويوم جاء فريق من الشباب التونسى الرياضى الى مدينة طرابلس أنزل وأكرم فى المهارى ، وأما الودان فالمشرفون على ادارته واعماله هم أفراد من الجالية الاجنبية ، ولنتركن المهارى والودان الى

القلعة

متابعة الوصف المجمل لاهم مواقع المدينة قائلين ، اتجه ببصرك من سيدى الشعاب نحو الغرب ، تجد فى الركن الجنوبى من اقصى الميناء ، شيئا هائلا غاص مقدمه فى البحر ، كانه من بعيد بصاريته الطويلة وعلمها المرفرف ، سفينة حربية مما تحمل الطائرات الكبار ، أو مدرعة جبارة تجعل بمدافعها العالى واطئا والتلال سهولا ، ولكنه

زمن الترك

فى الحقيقة حصن المدينة القديم ، انه القلعة الاسبانيولية أو الحمراء ، لقد افنت القرون الطوال ، وزال عنها دول وولاة ، وبقيت هى مكانها تخبر باثارها عن ماضى احوالها ، وقد توالى عليها التخريب والتجديد من ايام الفتح العربى الى الان ، ومنذ تاريخ وجودها وهى قصر للامراء الحاكمين ، وأزدهرت حياتها ايام الحكم الانكشارى والاسرة القرمانلية ، حتى أوشك داخلها ان يكون مدينة مستقلة باهلها ولوازمها ، ففيها قصور وحدائق ، ودواوين وثكنات ، وازقة وسجون ، وعمائر من طابقين وثلاث ، ومسجد

لتادية الصلوات ، ومخازن للذخيرة والتموين ، وعملا بالسنة الدولية فى اتباع الحكام الطارئين لما جرى عليه الاولون ، من اشغال المحلات الرسمية باوصاف استعمالها من قبل ، فقد احتفظ بها الايطاليون بعد الاتراك مقرا عاما لحكومة البلاد ، وزادوها اصلاحا وترميما ، وطائفة من المبانى على الطراز الحديث ، ولكنهم جعلوها على نسق الدور الشرقية الوجيهة ، ذات دورين من الداخل باقواس وفضاء ارض الى السماء ، وهذا نفس الطراز القديم المبنية به القصور القديمة فى القلعة والتى ما برحت موجودة فيها للان ، ولكنها مجردة من اى اثاث شرقى تذكارى ، وليس فيها تحف من أيام العهد التركى او القرمانلى بتاتا ، وفى زمن الايطاليين اتخذوا بعضا من دورها القديمة

زمن الطليان

الجانبان الجنوبي وهو جهة النخلة ثم الغربي من القلعة مع قوس شارع (رغوت

متحفا لاثار رومانية ، ولا يزال شئ منها باقيا للان ، وأجمل ما فى هذا القسم هو رسم باليد يمثل ما كانت عليه مدينة طرابلس وقلعتها حوالى سنة ١٥٢٥ بعد الميلاد ، ومبين عليه سورها وقتئذ ومراكز ابراجه الهامة ، واصطفاف الجند فوق السور ، وهم يؤدون تمريناتهم اليومية ، وهذه اللوحة بالنسبة للتاريخ القومى تعتبر من أثمن المقتنيات الاثرية ، فعسى ان يحتفظ بها من الضياع والتلف ، ويا ليت ولاة الامور يهتموا بان يجعلوا قصور القلعة جهة بابها الغربى متحفا على نسق قصر باردو ، ما دام فى المدينة والبلاد بقايا نفيسة من العصر التركى فى الاسلحة والملابس ومفروشات المنازل

ليت منها كباردو

والاوانى والاشياء الخشبية النادرة ، فهو فضلا عن كونها ستصير مجلبة للسائحين ، فيه منافع ثقافية للجيل الحاضر والمستقبل ، وركن القلعة الاعلى المطل على الميدان الرئيسى ، هو المركز الخاص باقامة الحكام العموميين ، ولما جاء الوالى الايطالى المرشال بالبو ، زخرف فيه بهو جلوسه بابدع تزيين ، وجعل فيه شرفة أنيقة يتنظر بها من عل ، الى ذاك الميدان وما يتفرع منه من شوارع ، وهى التى وقف فيها موسولينى يوم زار المدينة ، يشاهد من تحته وبجواره بالبو جموع العرب الفرسان المحشودين له من بقاع طرابلس القاصية والدانية ، ولما قامت الحرب العالمية الثانية ، أصاب هذا الجناح شظايا من قنابل الغارات ، فاحدث فيه اضرارا جسيمة ، ولكنه اخيرا أصلح واتخذ محلا لرئيس الحكومة الاتحادية ، والاقسام الاخرى جعلت مكاتب للوزارات الليبية وفروعها ، وهكذا ظلت القلعة الطرابلسية تستقبل عهودا اثر عهود ، وهى ثابتة مكانها كالجبال الراسخة ، ولم يتغير من معالمها تغييرا كبيرا سوى ناحيتها الشرقية ، ففى هذا الجزء أصابها من نكبات الايام ، ان أخترقها من جانب البحر طريق عام ، افتتحه الايطاليون تسهيلا للمواصلات بين شرقى وجنوبى المدينة الحديثة والميناء ، وتكملة للحاجز الممتد من غربى سيدى الشعاب الى باب البحر ، والباب الرسمى يقع جنوبا ، ويرقى اليه بسلم طويل درجه اثرى مستعرض ، مقام على جانبيه بناء حاجز ، وقبل الاحتلال البريطانى كان مقام باول السلم جهة الشرق ، تمثال كبير لموسولينى وهو راكب على جواد بملابس حزبه وشاهر بيده سيفا ، اذ فى هذا المكان القى خطابه الرسمى يوم زار طرابلس ليرى بام عينه ما وصلت اليه من العمران فى العهد الفاشستى ، ثم انتزع التمثال وابقيت قاعدته الحجرية ويبلغ ارتفاعها نحو المترين ، ولقد كان فى طرف القلعة الشرقى جهة سيدى الشعاب ، مدفع يطلقه الايطاليون مساءا كلما أنزلوا علمهم من فوق صاريته ويقف له جميع السكان احتراما باوامر رسمية

ركن الولاة

زمنها الحاضر

اختراقها

بابها الرسمى

المدينة القديمة

وتعتبر القلعة مع بقايا السور المتصل بها ، هما الحد الفاصل بين المدينة القديمة شمالا وما يتبعها من أطراف قريبة اليها ، وبين المدينة الحديثة جنوبا بما لها من احياء وضواح ، وسنبدأ بالكلام عن الشطر الاول ، نظرا لقلة معالمه ولان بعضا منها قد تعرضنا له بالمناسبة فى اخبار مدينة تونس ، ففى الشمال الغربى من القلعة شارع

شارع درغوت

درغوت ، وهو اصلا خارج عنها ، ويبتدئ من الميدان الرئيسى وينحدر جهة الميناء ، وباوله عطفة لها درجات تؤدى الى سوق المشير ، وبه تجاه العطفة جامع احمد باشا وكليته اللذين تقدم الكلام عنهما فى مبحث جامع الزيتونة ، ثم يمر ذاك الطريق المسمى شارع درغوت ، ببرج شاهق لساعة دقاقة معطلة الان ، وقد أحدث هذا البناء وساعته ، الوالى التركى العظيم على رضا باشا الجزائرى ، ويقع البرج امام سوق الترك ، وأحسن ما فى هذا السوق هو جامع محمد باشا شائب العين احد الولاة السابقين حوالى سنة ١٠٩٨ هـ ، وللجامع باب من نوع الاخشاب الهندية النادرة ، يعتبر بزخارف حفره ونقوشه من أثمن التحف العالمية وأروعها ، ولا نظير له فى تونس الا منبر جامع عقبة بن نافع فى القيروان ، وهذا السوق يرجع وجوده باسمه الحالى الى أوائل الحكم العثمانى بطرابلس ، فقد جاء بتاريخ النائب وهو عمدة التواريخ الليبية كلها ، ما يفيد أنه حوالى سنة ١١١٢ هـ ايام الحكم الانكشارى كان هناك رجل اسمه عثمان الدرغتلى مفتتحا فى سوق الترك مقهى ، ويظهر أنه كان كثير الحفاوة والمسايرة لكباراء الجند الانكشارى ، ففى بعض من ثوراتهم الفوضوية اخذوه ونصبوه واليا على البلاد ، ليكون العوبة بيدهم ، وليتخذوه درئا يتقون به تحاسد خصومهم على تولى الامر ، ولقد رأى هذا السوق طيلة ايام الترك والطليان حياة بلغت غاية الازدهار والصيت البعيد ، اذ كان فيها مزدحما بالاقبال والرواج ، ومظهرا لثراء التجار البائعين ووجاهة العملاء المشترين ، ففى العهد الاول كنت تجد فيه الانفس من واردات السودان وأستانبول ومصر تونس ، من ريش النعام وعاج الفيلة والملابس والتحف التركية وبطاطين الاغطية الصوفية والسجاجيد العجمية والطرابيش العثمانية والشاشيات التونسية والعطور الزكية ، وكان فى شهر رمضان خاصة ملتقى الكباراء ، وموسما للمحليات التركية الفاخرة ، وكان معظم تجار، وقتئذ من أعيان المدينة وجاهة وثراء ، وفى العهد الثانى الى ما قبيل الحرب العالمية الثانية ، استاثرت بدكاكينه ذات الطراز الاستانبولى الطائفة الاسرائيلية المحلية ، وبلباقتها الشهيرة بمعرفة من اين تؤكل الكتف ، وبما كانت تنثره ايطاليا فى تعمير المدينة وقطرها من اموال بلا حساب ، وبابهة ابنائها فى الظهور بمظاهر المجد والسعادة ، بهذا كله ازداد سوق الترك ايام الايطاليين عظمة واقبالا ورواجا وغنى ، وتحول من حياة شرقية الى أوصاف أوروبية ، تحول معرضا ، لانفس الاقمشة واغلاها ، وافخر الملبوسات واحدثها ، وأرطب الثياب البدنية

سوق الترك

تاريخه

أيام الترك

ايام الطليان

سلعه

وآنقها ، والى كنوز من حلى الذهب والفضة ، وتحف من العاج والاوانى النادرة ، وقوارير من العطر الفواح ، وزيوت للشعر المسراح ، واذا ما جاء المساء بمغيب الشمس ، انابت عن افولها ، ثريات الحوانيت الداخلية ، ومصابيح العتبات الاماميـة ، باضواء من الكهرباء الساطعة ، تحملك على ان تناجى نفسك قائلا ، أأنا فى ظهور الشمس أم فى مغيبها ، أأنا فى ليل دامس ام فى شروقها ، وكنت من أول المساء الى منتصف الليل ، ترى بنين وبنات الطليان ، من ضباط وموظفين وأعيان ، اسرابا منهم تجـرى خفيفة باجسامها واسرابا تخرج محملة بمشترياتها ، وهم فى احوال تدل على الرفاهية والنعيم ، وسيمات تروق الناس والناظرين ، ولم يكن للعرب فى هذا الزمن من متاجر تذكر ، سوى محليـن للسلع الحريمية ، وكان أصحابهامن أوجه أسر المدينة وأفاضلها ، وكان لاحدهمـا فى خدمـة التعليـم الحـر أيـام الطليان الاولى ايـاد مشكـورة وأعمـال مبرورة ، وهو لا يزال حيا ولكنـه بتطـور الحـوادث تـرك الاشتغـال بالتجـارة الى عمـل آخـر ذى مصلحـة اقتصـاديـة عامـة ، وأما الثانى فقـد تـوفى فى ريـحـانـة شبـابـه ،

منظر ناحية من المدينة القديمة ويرى فى اول الصورة مأذنة وقبة جامع احمد باشا ثم برج الساعة امام سوق الترك

هو المرحـوم السيـد واصـف بن المرحـوم امين بك الـقرقنى ، وكان هذان الفاضلان من أقرب اصـدقائنا فى ذلك العهـد ، فمـن يبصر اليوم سوق الترك وأكثره ملك لاوقاف المدينة ، فلا يزدرين بحاله او ينقصن من تاريخ مجده ، بل عليـه ان يردد فيه شعـر القائل (من سره زمن ساءته أزمان) اذ للاسواق والاحياء والمدن تغييرات كمـا للدول تطورات ، ثم بعـد ساحة البرج القامة عليـه السـاعـة ،

انـواره

عملاؤه

تجارة العرب

حـاضره

اسماء لامكنة

يمر الشارع الدرغوتى شمالا ، فيتفرع منه جزء من وراء بناية ضخمة كانت صندوقا عاما للتوفير تطل على بحر الميناء ، ويتصل هذا الجزء بالطريق الاتى من جوف القلعة ، ويذهب هو مارا بجامع تلك الشخصية الخالدة درغوت باشا ، وبجانبه ضريحه ومن ورائه احسن حمام تركى فى المدينة يقال له حمام درغوت ، كائن على طريق متصل بسوق الترك ، وقريبا من جامع درغوت معهد دينى يعرف باسم مدرسة عثمان باشا ، كانت فى الزمن التركى عامرة بكبار العلماء والطلاب ، والى الغرب منها تجانبها ساحة صغيرة ، يقع

متحف طرابلس

بركنها الغربى متحف طرابلس الطبيعى ، وكان محله قبل الطليان بنكا للزراعة ، ثم جعل فى أيام هؤلاء متحفا ، وخلاصة محتوياته بوصف مجل ، هى مجموعات من أشياء تثقيفية متنوعة ، ففيه قطع من ظواهر البلاد الجلوجية ، وبعض من حيواناتها البرية المصبرة ، وفيه معروضات لنقود تاريخية ، وطائفة من الاسماك تسبح فى اوان من زجاج ، ونماذج مجسمة لاشخاص آدميين ، تمثل تاثرهم بامراض شتى ، وصور لحشرات ناقلة للعدوى ، وتماثيل رخامية من مكتشفات لبدة وصبراتة ، فهو بهذه الاوصاف كانه متحف لمدرسة كبيرة ، فيه من كل أثر قديم أو مستحدث تعليمى نصيب ، ومعنى هذا القول ان متحف طرابلس الطبيعى ، بالنسبة لمن شاهد امثاله فى البلدان الراقية ، منظره

جامع قرجى

ومحتوياته لا يثيران فى النفس دهشة ولا أعجابا ، ثم ان ذاك الشارع حين يتجاوز جامع درغوت ينتهى عند مخزن الرخام او قوس ماركو اوريليو ، ومن ورائه جهة الغرب مباشرة يقع جامع قورجى ، وهو أنفس ما فى مدينة طرابلس من نوعه ، فداخله مبنى على نمط المعابد البزنطية ، اى له قسم للصلاة عال من جوانبه الثلاث ، له حواجز خشبية تطل على وسط المسجد ، ويرقى اليه من خارجه فى ارض الصحن بسلم ذى درجات ، وروعته من الداخل مختصرة فى مظهرين ، اولهما ان جدرانه الى

روعته من الداخل

قرب منتصفها مغطاة بقطع الاجر الاثرى اللامع ، ذى الوان مختلفة مشرقة كانها باقات من الازهار اليانعة ، وثانيهما ما تبقى من اعالى الجدران مع الاقواس الى السقف ، قد زخرفت با عجب ما عرف حتى الان من ذاك التزيين الرائع المسمى فى المغرب (نقش حديدة) ، الذى سبق الكلام عليه فى قبة المنظر الجميل بتونس ، وبقى شئ لم نذكره فى هذا الجامع الفاخر ، فان له صومعة اسطوانية لها شرفتان للمؤذنين هى برشاقتها اجمل ما فى مدينة طرابلس من انواعها ، ولكنه اصغر حجما من جامع أحمد باشا ، وهذا الجامع الاخير هو الصنو الوحيد فى مدينة طرابلس لجامع قرجى ، بزخرفة

نقش حديده وبالاجر الاثرى الملون وهو المعروف بدمشق باسم (القيشانى) وفى طرابلس بـ (الزليز العربى) ، وفى الحق ان هذا النوع من الاجر المزخرف لشئ بديع ولم نر فى صناعات الزمن الحديث مثل جماله واتقان اخراجه الفنى ، وكما ان عهد المماليك بالقاهرة جعلها تزدهر بروعة المساجد الجامعة ، كذلك العهد الانكشارى والقرمانلى فى مدينة طرابلس ، قد خلفا فيها من الآثار الدينية الرائعة ما خلد فى البلد ذكراهم المجيدة الى اطول السنين ، فمن الجوامع العظيمة التى أسست فى تلك الايام ، جامع درغوت وشائب العين والخروبة وابن محمود والدروج وأحمد باشا وقورجى ، وكلها تقريبا على النمط البزنطى المعروفة به جوامع استانبول ، ومن اروعها قورجى وأحمد باشا وشائب العين ودرغوت ، وباطراف جميع هذه حجرات فيها اضرحة لاصحابها واقراد عائلاتهم ، ومؤسس جامع قورجى وصاحبه هو مصطفى بك قرجى ، وجد أيام الامير يوسف باشا القرمانلى وقد زوجه هذا ابنته ، وعينه حاكما لبدة درنة فى برقة ، وأحباس جامع قرجى هى الان بيد الباقى من ذريته الاقربين اليه ، واما أكبر الجوامع اتساعا وشهرة واسبقها وجودا بميئات السنين ، فهو جامع الناقة ويقع فى ميدان الفنيدقة منطقة الانوال المحلية فى المدينة ، وروح حياتها وتقاليدها العربية المتوارثة ، ويروى عن أصله ان المعز لدين الفاطمى ، حين مر فى انتقاله الى القاهرة بمدينة طرابلس استقبله اهاليها بمظاهر من الحفاوة والتكريم الحاتمى لم يكن يتوقع حصولها منهم ، فرد الجميل بمثله بان ترك لهم يوم غادرها ناقة تحمل جزءا من كنوزه ، فاستقر

اهم الجوامع

واجهة من مخزن الرخام وصومعة جامع قرجى الرشيقة

جامع الناقة

رأيهم على أن يبنوا بهـا هذا الجامع ففعلوا ، ومنذ ذاك التاريخ سمى على من كانت

مرشد فاضل

سببا فى تشييده فقيل له جامع الناقة ، وأمامه زواية كانت ولا تزال بفضل مرشدهـا العظم الشيخ على سيالة ، خير مكان تهذبت به ميئات من الصناع والتجار على الخلق الاسلامى الحسن ، والعمل بقول سيدنا عمر (لا يقعد احدكم عن طلب الرزق وهو يقول اللهم ارزقنى فقد علمتم ان السماء لا تمطر ذهبا ولا فضة) ، واسماء الامكنة المتقدمة من

المبانى القديمة

دينية وغيرها هى المع ما فى المدينة القديمة من آثار قديمة وجديدة ، وهذه المدينة نفسها فى أشكال دورها وطرقها وأزقتها واسواقها واحيائها ، تخالها نسخة من أمثالها فى مدينة تونس طبق الاصل ، فشارع باب الحرية وأزقة ومسارب الفنيدقة وحومة غريان فى مدينة طرابلس ، هى مشابهة تماما لنهج الباب الجديد ونهج الذهب ونهج الباشا فى مدينة تونس القديمة ، فطرقات كليتهما ضيقة غير مستقيمة ، وكثيرا ما ترى شوارعهما الرئيسية ، قد توسطتها اقواس عليها غرف منزلية تدعى لغة (السوابيط) للزينة او لتقوية الجدران الكائنة على جوانب الشارع ، وكثيرا ما ترى داخل دورهما تشابهت فى الحجرات الارضية والعليا وأمامها اعمدة رخامية باقواس ، وفى وسط الدور احواض مرتفعة لنباتات زهرية تسمى فى مدينة طرابلس (الجدولة) ، ومن تحت وسط الدور كهوف صناعية تخزن مياه الامطار النازلة على سقوفها يقال لها (المواجل) غير ان المواجل فى السنين الاخيرة ، قد تناقصت اهميتها واكثر ما يؤخذ من مائها هو لغسيل الثياب ، اذ انتشرت فى دور المدينتين انابيب الماء الصحى ،

سور المدينة

والتى لا توجد فيها انابيب ، يشرب سكانها الماء النقى من انابيب البلدية العامة ، وحتى مدينة طرابلس لها أيضا سور ، كان يحميها فى سابق الازمان من غارات المتسلحين وتتئذ بالسيوف والرماح ، ولكنه بعد ان أكتشف البارود واستخدم فى الحروب بالالات القاذفة له ، بقى هو وامثاله فى البلدان الاخرى اطلالا خربة ، وقد محيت الان اثاره الامن جهتى الميدان الرئيسى ، ثم الشمال الغربى عند فتحة له تسمى الباب الجديد ، مقابل لشركة التنوير الكهربائى العمومية ، ومن الباب الجديد تصادف طريقين ، ياتى احدهما من الميناء مجاورا للبحر ثم يذهب من امام الشركة الكهربائية الى الغرب فيتصل بطريق قرقارش وسياتى ذكرها ، ويذهب الثانى

سوق الثلاث

نحو الشمال الغربى الى سوق (الثلاثاء) المبتعد عن الباب الجديد بمسافة مقدارها

خمس دقائق مشيا ، وهذا السوق يعقد فى اليوم المذكور مرة من كل اسبوع ، وهو أهم سوق محلى للسكان العرب ، ولابناء القرى والضواحى المجاورة ، ويتكون من فضاءات اربع كبرى متفاصلة عن بعضها البعض ، وكل واحد منها محجوز بجدران غير عالية ، لها عند الدخول والخروج ابواب خاصة لقبض الرسوم أو حفظا للاموال من الضياع ، وقد جعل الفضاء الاول للحبوب الغذائية والحقول الجافة ، وفيه اركان لتجارة الفحم الصناعى والحطب وأدوات الفلاحة وللملابس والاشياء الوطنية ، والفضاء الثانى للحيوانات من ابل وبقر وغنم وماعز وخيل ،والفضاء الثالث لحاجيات الماكولات من لحوم وزيت وفلفل وسمن ، وفيه اركان للحدادين والنجارين ولوازم البناء المستعملة ، والفضاء الرابع للخضرة والفواكه واغلب المبايعات ههنا بالجملة ، عملاؤه اما من متعهدى المؤسسات الحكومية للملاجئ أو المدارس أو للجيوش ، واما من اصحاب الدكاكين والباعة المتجولين بعربات اليد ، وهناك سوق للاغذية المنزلية يقع خارج السور الى الجنوب الغربى ، وبناؤه على أحدث طراز ، اذ انشئ من أول أمره لهذا الغرض ، مقسم الى اروقة فيها عشرات من الدكاكين اكثرها ذو بابين ، داخلى فى وسط اروقة السوق ، وخارجى على شوارع واجهته الرسمية ، ذات الاقواس الحجرية باعمدة ضخمة قصيرة ، وفى وسط الاروقة فسحة كبيرة لبيع الاسماك وعدا هذه الفسحة ، فيه جهة للخضرة والفواكه ، وجهة للحوم والزيت وانواع الماكولات الجافة ، وجهة لطيور الدجاج والحمام ، وجهة للبيض والارانب ، وكما تجد فى تونس عند الباب الجديد سوقا شعبيا للخضرة والفواكه دكاكينه اكواخ خشبية او مظلات من هذا النوع ، كذلك انت واجد قرب باب الحرية ههنا سوقا هاما للخضرة موضوعة على مصاطب من الواح الخشب ويتقى اصحابها الشمس والمطر بظلالات خشبية ، وقد ارتفعت فى هذا الحين الاخير اسعار الخضرة ارتفاعا لم نعهده فى مدينة طرابلس من قبل ويحدثنا القادمون من مصر والمشرق ان اسعار بعضها غير مالوفة عندهم ، ويحاول المختصون معالجة هذه الحالة بما فيه التخفيف على المستهلكين ، ولكننا نعتقد انه ما لم تمنع الخضرة والفواكه من الارسال الى خارج البلاد ، فانه من الصعب ان تنخفض اسعارها انخفاضا طبيعيا ، مع ملاحظة ان مدينة طرابلس صارت الان محطا لكثير من الجاليات ، المشتغلة فى ادارات اقتصادية للاجانب ، وموطنا لعائلات الجنود المتحالفة من انجليز

اقسامه

سوق الاغذية

مشكلة الاسعار

وأميريكان ، وهؤلاء جميعا بحكم ثقافتهم الصحية ومرتباتهم الكبيرة ، من أكثر السكان اقبالا على الخضرة والفواكه الطازجة ، على أنه من ناحية اخرى قد استفاد منهم الفلاحون ماليا بما لا تنكر حقيقته ، ولكن الفقراء ومتوسطى الحال تضرروا من ذلك كثيرا ، وغريب جدا ان تجلب من بلاد السويد اشجار دينية بمقايضة البرتقال الطرابلسى

مخازن تجارته

وحالة اسعار الخضرة كما رأيت . وبجوار سوق الاغذية عمارات باسفلها مخازن تجارية لاعداد لها ، وهى مركز عام للصفقات والمحاصيل الزراعية وغيرها ، ولتوريدها من الخارج او تصديرها اليه ، ومعظم اصحابها من الاقتصاديين العرب الكبار وأثريائهم ، وقد استطاعوا بنشاطهم وحزمهم ، ان يستاثروا اخيرا بهذه التجارات الواسعة ، ويأملون من العهد الجديد ان يأخذ فى عوائهم بكل مساعدة ممكنة فى الداخل والخارج ، اذ كما يقول المثل المال عصب الاستقلال ولئن فات هؤلاء التجار التثقف بالمدارس التجارية الراقية ، فلا يفوتنهم ان النبى صلى الله عليه وسلم وعظنا قائلا اشدد

الدين المعاملة

عضدك باخيك ، وان الدين المعاملة ، فلم يؤخر العرب فى أوطانهم عن منافسة غيرهم الا فقدان الثقة من بينهم . واتصاف فريق منهم بنقض الكلمة وغش السلعة وعدم الاعتدال فى تقدير الارباح ، وكم يؤسف الناس أن يجدوا فى معاملة الاجانب اخلاصا فى خدماتهم وصدقا فى وعودهم ، بينما فريق من العرب العمال او التجار لا يحرصون على هذه الاوصاف مثلهم ، ونبيهم يقول لهم (ان الدين المعاملة ، ومن غشنا فليس منا ، وآية المنافق ثلاث اذا حدث كذب واذا وعد اخلف واذا أوتمن خان)، ومن اسخف ما يقال (ان الكذب فى المصالح جائز) ، ولكن على المتمسكين بهذا ، ان يفيدونا كيف نوفق بين هذا القول وبين تلك الاحاديث الشريف الصحيحة ، وفى هذه الجهة ما بين العمائر التجارية وسوق الاغذية وبين سور المدينة الغربى ، توجد ثلاث مدارس

مدارس ابتدائية عربية

ابتدائية للعرب ، فى مبان صحية فخمة من أحدث طراز ، واحدة جهة الشمال ، تسمى مدرسة المدينة القديمة وفيها أزيد من ثمانيمائة تلميذ ، ويليها جنوبا مدرسة للاناث وفيها من التلميذات ما يقارب ذاك العدد ، وبجوارها مدرسة للذكور تسمى المدرسة المركزية ، وفيها حوالى الف تلميذ ، والاعداد المذكورة للمنتسبين فيها هى كمية اى

محط السيارات السفرية

محتملة لان تكون اكثر من ذلك أو أقل ، وأمام المدرسة المركزية غربا تجد المحط العام لخطوط السيارات السفرية لجميع انحاء القطر الطرابلسى وهى شركة وطنية موفقة ، ومن أحسن ما يتصف به موظفوها جميعا ، هو الامانة فى الاحتفاظ باشياء الركاب المنسية ، فكثيرا ما تقرأ

فى الجرائد ، عن حاجات تركها اصحابها سهوا طالبين ممن كانت له ان ياتى لاخذها ، ولقد نسينا مرة فيها سلة سعفية مليئة بالماكولات والحلوى ، وحسبناها ضاعت فلم نهتم بها ، واذا بعد أسبوع أخبرنا بانه لنا فى مركز السيارات شئ منسى ، واذا هى تلك (العلاقة) نفسها بما كان فيها لم تغب منها حاجة ،

المدينة الحديثة

تعريفها

وتقع مدينة طرابلس الحديثة خارج السور ، وتحد شرقا الى ما وراء سيدى الشعاب، وغربا بباب قرقارش ، وشمالا بالميدان الرئيسى ، وجنوبا بالضواحى والبساتين ، وهى حقا مدينة حديثة بجميع ما فى هذه اللفظة من معان ومفهومات ، فتشييد مبانيها اكثره على مستوى واحد من الارتفاع والاستقامة والتخطيط ، يتألف من ثلاث طبقات ،وقليل على أربع والاقل على خمس ، وحتى المبانى المشيدة منها فى أواخر العهد التركى وان كانت شرقية أو تركية الطراز ، فتخطيطها ايضا هندسى التكوين ينم عن سلامة الذوق ، وتأثر الافكار وقتئذ بالنهضة الاوروبية ، وتمتاز مدينة طرابلس الحديثة ، بالنسبة للقادم اليها وهو غريب عنها ، او شاهد غيرها من بلدان الشرق والمغرب ، تمتاز بطائفة من الاوصاف الحميدة ، مع الملاحظة دائما ان الكمال فى صنع البشر محال ، تمتاز أولا بنظافة شوارعها وطرقاتها وداخل منازلها ، ومن أجل هذا منحها الزائرون الاوربيون لقب انظف مدينة فى الشمال الافريقى ، وتمتاز ثانيا بان طرقها الرئيسية والفرعية وداخل فى هذا ازقة المدينة القديمة كلها ، معظمها معبدة بالاسفلت القوى المجدد ، فلا يكاد يتلف من أرضها جزء حتى تسارع البلدية الى ترميمه ، وتمتاز ثالثا بان ماءها السارى اليها من ذاك البئر الفنى ، نمير حلو نقى كالبلور ، انابيبه واصلة لكل ركن ومنزل فيها ، وأنابيبه العامة منتشرة فى كل حى فقير بالمجان ، وتمتاز رابعا بان النظام الصحى سائد فيها حيثما كنت وأينما تجولت ، واحيائها بحسب ترتيبنا نحن منقسمة اجتماعيا الى سبع محلات كبار ، محلتين اشتهرتا باسم اول من بنى فيهما حوالى سنة (١٨٨١ م) ايام الوالى التركى العظيم ، على رضا باشا الجزائرى ، وتدعى الاولى محلة ابى الخير والثانية محلة مزران ، وسكانهما غالبا من وجهاء وأوساط العرب ، ومحلتى (روفاللو) و (أو تانتا أونو) اى واحد وثمانين ، وهما منشأتان بعد

مميزاتها

احياؤها

أحياؤها

الاتراك ، وايطاليتان لغة وسكانا ، ومن القليل او النادر فيهما الاسر العربية ، ولا غرو فان المجاورة تقتضى التآلف فى العادات او الميول ، وهذا متعذر طبعا بين الذين هم مختلفون ديانات وعواطف ، ثم محلة مدينة الحدائق ويسميها الايطاليون (شتا جردينى) ، وتتكون من دور انيقة ، منفردة تعرف باسم (الفيلات) ، وتقع الفيلات داخل أسوار مبنية ، مغروس حولها أو أمامها اشجار وأزهار ، وهى مساكن خاصة للاسر الايطالية الوجيهة ، وقد أخذ أصحابها اراضيها من حكومتهم وقتئذ ثم بنوها على حسابهم ، وبعضهم اشتراها مبنية بالتقسيط ، وتقع مدينة الحدائق شرقى محلتى مزران وواحد وثمانين ، وامتدادها من الجنوب الى الشمال ، ومن ورائها الى الشمال الشرقى تقع المحلة السادسة ، ويقال لها الظهرة الصغيرة والكبيرة ، وهى على ارض مرتفعة ، ومعظم مبانيها من الطراز المحلى القديم ، ودورها الحديثة اكثرها على سفح ذاك المرتفع المقابل للبحر ، ويسكنها بعض من الاسر الايطالية والجاليات الاوروبية الاخرى ، وفريق من العرب الوجهاء والعمال ، والمحلة السابعة وتسمى زاوية الدهمانى تقع خلف فندق المهارى ، وهى أصغر مساحة من الظهرة وأقل دورا وسكانا ، والميدان الرئيسى لهذه الاحياء السبع ، كائن جنوبى القلعة وبقايا السور مباشرة ، وكان سابقا بعد الترك يدعى (بياتسا دى ايطاليا) اى ميدان ايطاليا ، واما فى الوقت الحاضر فهو مسمى بميدان الشهداء ، ويتالف تكوينه من ساحتين ، احداهما شرقا بشكل مستطيل وفى طرفها الغربى تمثال كامل ، للامبراطور سبتميو سفاروس ، وقد ذكرنا لمحات عنه فى

صورة لبركة الميدان الرئيسي "بنا فورتها المتدفقة ويرى على ضفافها رجل واطفال طرابلسيون

الميدان الرئيسى

حديقته

بحوثنا التاريخية المتقدمة ، والاخرى جنوبا بهيئة مربعة ، وفى وسطها حديقة بحشائش نباتية ونخيل قصير ، وبطرف الحديقة جهة السور تمثال لاسدين يتصارعان على الارض ، وقد كانا من قبل موضوعين فى حديقة عامة من أول مدينة الحدائق الغربية جهة البحر ، وهى الكائنة عند مدخل مجلس الشيوخ الان ، ثم نقلا الى محلهما الحاضر أيام الادارة البريطانية ، وبالطرف الجنوبى من حديقة الميدان الرئيسى ، بركة ماء واسعة مستديرة لنافورتها حوض كبير ، تحته تماثيل لخيول منبطحة على الارض ، وعلى حاشيته البركة من عل ، اوتاد حجرية للزينة غلاظ ، يبلغ ارتفاعها نحو المتر ، ودفن بالقاع الاسفل للبركة ، مصابيح كهربائية بزجاج سميك ، كانت تضاء فى ليالى الافراح والاعياد ، فتكسب مياه البركة لونا مشرقا كالذهبين ، وبهرة ساطعة كظهور الصبح ، وهذا الميدان هو الملتقى العام للسيارات الناقلة للسكان داخل المدينة وضواحيها ، اذ ليس فى المدينة ترام كما فى تونس ، ويتفرع من ساحتى الميدان ستة شوارع كبرى تجتاز تلك الاحياء السبع من جميع الجهات ، وسنذكرها فيما ياتى باوضح ما فيها من معالم هامة ، وبما لبعضها من تاريخ ماض أو أوصاف حاضرة ، وأولها شارع عمر المختار (١) وهو أطول واعرض شارع فى المدينة كلها ، وأفخمها بالمبانى الحديثة ، ومع عظمته هذه فانه فاتر من الرواج الاقتصادى ، ويشاركه فى قلة اعماله الحيوية بالنسبة لتونس مدينة طرابلس كلها ، وأكثر ارصفة المارة فيه تقع تحت الاقواس التى تعلوها المبانى ، وفى أول ضفته اليسرى عند الميدان تجد بنك روما وأكواخا جميلة ، لبيع الجرائد والمجلات والمحليات السكرية من الخارج ، وتجد الناس متراصين دائما انتظارا لسيارات المواصلات ، وفى أول الضفة اليمنى وانت متجهه الى الغرب ، تجد المقر العام لحكومة الولاية الطرابلسية ، وهى عمارة فخمة انيقة ، وداخلها مقسم على أحسن ترتيب لفروعها الادارية ومكاتب الموظفين ، وتتالف من ثلاث طبقات وغرف عليا تبدو من بعيد كانها برج ، ومن أهم ما فيها من الناحية الادبية قسم مودع فيه أهم الوثائق والمستندات المحتفظ بها من أيام الاتراك ، وفى الركن الشرقى من الدور الثانى ، بهو عظيم لعقد الجلسات الحكومية الهامة ، فيه مسرب يجتاز اعلى السور الى جناح الولاة فى القلعة ، وبجانب مقر الحكومة عطفة فى غربيها عمارة ضخمة

شوارعه

شارع عمر المختار

مقر الحكومة الطرابلسية

---

(١) راجع ترجمة عمر المختار ولمحات مشرقة عن سليمان الباروني ورمضان السويحلى وغيرهم من ابطال الجهاد الليبى فى الجزء الثانى من تاريخ ليبيا العام لمؤلف هذا الكتاب

بركته

باب الحرية

تشغل ركنها الغربى مصلحة الضرائب العامة ، وفى غربى مصلحة الضرائب المبدأ لشارع باب الحرية المتجهة شمالا الى داخل المدينة ، وهو بمنزلة باب سويقه فى مدينة تونس ، ومن أهم موجوداته فى ضفته السرى شارع السنوسية ، ثم بناية كبيرة فى جوفها فراغ ذو اركان بنائية اربع بطبقات ثلاث ، واسفلها مسلّ بالحوانيت المشتغلة بالاعمال الجلدية وبخياطة الملابس المحلية ولبيع الزيت والسمن ، وهذه العمارة مشهورة

احمد النائب

باسم قلالية (مريوطى) ، ودكاكينها الجنوبية من الخارج تطل على شارع السنوسية ، وهو متاجر عدة اكثر مبيعها المواد الغذائية من لحوم واغذية جافة ، وقريبا من منتهى شارع باب الحرية ، تجد المحكمة الشرعية ، وأمامها تماما كان منزل المرحوم احمد بك النائب ، صاحب التاريخ العظيم المشتهر باسمه ، وعنوان كتابه الحقيقى هو (المنهل العذب ، فى تاريخ طرابلس الغرب) وانه حقيقة كما وصفه ،

شارع باب الحرية المشابه لشوارع تونس القديمة ويرى منظر (السماط) والاقواس

ابن غلبون

فلا يزال كتابه المرجع الاول والمنهل الحى ، لكل مشتغل بالتاريخ الطرابلسى وتراجم علمائه وأدبائه من أول الفتح العربى الى قبيل الطليان ، وكان مؤلفه من ابناء مدينة طرابلس الاعلام الاشراف ، ويلى كتابه اعتبارا وأهمية (التذكار) الشهير بتاريخ ابن غلبون ، ومؤلفه اصلا من بلدة مصراتة ، وسكن مدينة طرابلس فى زقاق على هذا الشارع اسمه(زنقة النخلى) ثم استقر فى مصر وتوفى هناك ، وخلف بمدينة الاسكندية ذرية واملاكا ، ويجاور منزل

مختار حورية

النائب كتاب المقرئ الطرابلسى الفذ ، المرحوم الشيخ مختار حورية ، وكان من ابناء المدينة النابهين ، وقد توفى منذ ثلاث سنوات تقريبا ، واليه يرجع الفضل الاول والاثر

الابقى ، فى تحفيظ القرآن الكريم وتجويده ، الى ناشئة وفتئذ وشبان اليوم ، من ابناء الاعيان والوجهاء فى المدينة ، وكان من اعز اصدقائنا الغابرين ، وكان ممتازا بفصاحة النطق ورخامة الصوت وحسنه ، وبالصراحة والحزم والشجاعة الادبية ، ويستمر شارع عمر المختار من باب الحرية فيمر بجامع السنوسية وبابه يقع تجاه قلالية مريوطى وله ماذنة جميلة فى ركنه الجنوبى الغربى ، وخلفه دكاكين مطلة على شارع عمر المختار ، وبعد بقليل يمر يسارا بكنيسة فيها ملجأ لليتيمات الايطاليات ومن بعدها تجد فندقا ارضيا للمسافرين من الدرجة الوسطى ، وبجانبه شارع كبير يتجه شرقا الى محلتى ابى الخير ومزران ، ويلى أوله بجانب الفندق حديقة فسيحة مشجرة هى واحدة من المتنزهات العامة الواسعة ، ومنها بمسافة دقيقتين تجد يمينا منشآت المعرض الطرابلسى الصناعى سابقا بواجهة لها باب عال فوقه تمثال لامرأة رومانية حاملة فى يدها كرة ، ويشغل المعرض الان المصلحة العامة لتخديم العمال ، وبقربها يسارا طريق يؤدى الى محطة السكك الحديدية ومعاملها ، ثم يمر الشارع يمينا بملعب نادى الاتحاد الرياضى ، ومن بعده يمر يمينا بمسربين ، اولهما لملعب البلدية الرياضى ، ومع أنه أكثر تنسيقا من صنوه فى مدينة تونس ، فليس له اى سقف مظلل عن الشمس او موق من المطر ، وثانى المسربين يتجه للشاطئ الخاص بحمامات البحر الصيفية ، وهى واقعة بجانب هذا الملعب من الخلف ، وقبل انتهاء الشارع عند باب قرقارش ، يمر يمينا بمنزل ارضى ياتيه الناس من كل جهة ، اذ فيه ينابيع كبريتية حارة ، يستشفى بها من بعض الامراض الجلدية لقاء اجر زهيد ، وقد كان يملكها رجل ايطالى ثرى ، ثم تبرع بها لمؤسسة دينية تشرف عليها راهبات من بنى جنسه ، ومن باب قرقارش يتصل الشارع بالطريق المتجه غربا الى زواره فتونس ، وبقرب هذا خارجا عن حيز المدينة ، تجد مصبا فى البحر لوادى المجنين ، وهو من أعظم أودية طرابلس المتدفقة بالسيل العرم فى ايام الشتاء المطيرة ، وفى السنين الاخيرة اغرقت مياهه ضواحى المدينة وأحدثت لهااضرارا جسيمة اكثر من ثلاث مرات ، وفى سنة ١٩٤٥ م اكتسحت شوارع مدينة طرابلس الى البحر بصورة مرعبة جدا ، ومن قبل سنة ١٣٢١ هـ تدفقت اليها حتى حسب اهاليها انها ستقضى على مبانى المدينة كلها بمن فيها ، ولولا ان السور فى ذلك الحين صدها عن الدخول الى الاحياء الوطنية ، لكانت معظم مبانيها قد تدمرت به ، وكثير من شيوخ المدينة من العامة ما برحوا يؤرخون بهذا الحادث العظيم وقائع حياتهم

امكنة اجتماعية عدة

الحمام الكبريتى

وادى المجنين

شارع عمرو

والشارع الثانى من تلك الستة ، يدعى شارع عمرو بن العاص ، ويتجه من الميدان الى الجنوب الغربى ، وبه تكون محلتا ابى الخير وروفائللو ، واقعتين ما بينه وبين شارع عمر المختار ، ويمر فى أول ضاقته اليمنى بمسرح كبير للسينماء ، وبقربه جامع صغير الحجم اوقفه ثرى فاضل ، ويليه بمسافة قليلة حديقة عامة يقال لها (اجنان النوار) ، وبطرفها اكبر معمل للثلج فى المدينة ، وبعده بقليل يجتاز الشارع المقبرة الكبيرة المسماة (جبانة سيدى منيذر) ، ويمر على أثرها بضريح (أبى مشماشة) ،ومن وراء الضريح خط حديدى ذاهب الى تاجوراء ، وهى بلدة تقع الى الجنوب الشرقى من المدينة بخمسة عشر كيلومترا ، وتشتهر تاجوراء تاريخيا ، بانها فى مبدأ الحكم التركى كانت هى العاصمة للبلاد ومن أفخر آثارها الجديرة بالزيارة هو جامع مراد آغا اسبق الولاة الاتراك بطرابلس ، وبقربها شمالا بمسافة ثلاثة كيلومترات الملاحة الفنية العظيمة وهى الان مستغلة من شركة احتكارية ، تبيع الملح النقى لسكان المدينة وغيرهم فى قوالب ورقية ، والملاحة وارضها قد وقفها مراد آغا مع املاك كثيرة لينفق ريعها على حاجيات جامعه والمدرسة الدينية الملحقة به ، وتقع الملاحة الان فى صميم المطار الاميركى العظيم المشتهر باسمها ، ويجتاز شارع عمرو عند أبى مشماشة طريقا آخر محاذيا للخط الحديدى ، يتجه غربا الى حى كبير للايطاليين يعرف بمدينة العمال ، وهى طائفة من المنازل الارضية ، القائمة على مرتفع يشرف على ساحة كبيرة فى ناحيتها الغربية مبانى محطة السكة الحديدية ، المتقدم ذكرها بمناسبة شارع عمر المختار ، وكل منزل من حى العمال الايطاليين منفرد عن غيره بحديقة اماميه أو خلفية ، وللان لم يشاركهم فى مساكنهم هذه احد من العرب الا بضعة أشخاص ،

سكة تاجوراء

مدينة العمال

ازمة المساكن

لان ازمة المساكن فى مدينة طرابلس مستحكمة جدا ، كغيرها فى المدن الاخرى الراقية ، ونظرا لما حصل بسببها من المشاكل والمغالاة بتقدير اجورها من قبل اصحابها ، أو تمادى المتحصلين عليها بالكراء فى الحاق الضرر المالى بالملاك ، فقد سنت حكومة طرابلس اخيرا قانونا اوقف تفاقم الخصام بين الطرفين ، اذ قد رفع اجرة المسكن فى سنة ١٩٣٨ بنسبة ست مرات ، مع قيودات أخرى لكل من الكارى وصاحب المسكن ، وعلى الرغم من هذا فان السعيد من المحتاجين من يظفر بمسكن فارغ باى مبلغ يطلبه المالك ، ويتصل شارع عمرو بعد ذلك ومن وراء ابى مشماشة بشارع يسمى أبا هريدة على نفس استقامة الاول ، فيمر يسارا بملجا ابى هريدة للعجزة والاطفال

ملجأ ابى هريدة

المشردين ، وترعاه جمعية طرابلسية تستمد أموالها للانفاق عليه من تبرعات المحسنين ومن موارد خاصة شبه حكومية ، ومن يرى اطفال الملجا فى استعراضاتهم الرسمية ، بتلك الازياء الموحدة وموسيقاهم ، وفى توزيعهم يوميا على ارباب الحرف الوطنية ليتعلموا صنائع تنفعهم فى مستقبل حياتهم حين يكبرون ، تقول من يرى احوالهم هذه وغيرها من الامور المحمودة ، لا يسعه ما دام منصفا الا ان يثنى على جميع المشرفين على ادارة هذه المؤسسة الخيرية ، التى ساعدت بمساعيها المبرورة فى انتشال قسم عظيم من الصغار الفقراء ، من حياة التشرد والعوز اللذين كانا سيؤديان بهم الى اسوء خاتمة معيشية ، كما انها بوضع أولئك العجزة والفقراء من نساء ورجال فى ذاك الملجا ، قد صانت كرامة اهل البلاد امام الاجانب المقيمين والسائحين الوافدين واخيرا ينتهى الشارع . بعد مجموعة من الثكنات العسكرية مشيدة فى العهد الايطالى.

شارع مزران

والثالث من تلك الشوارع الستة يدعى شارع مزران ، على اسم المحلة التى سبقت الاشارة اليها وتقع معظم مبانيها فى الجهة الشرقية ، ويوشك فى أوله ان يكون ملتصقا بشارع عمرو ، ولكنه حين يتجه الى الجنوب ، ياخذ فى التباعد عنه رويدا رويدا ،

المدارس المجتمعة

ومن أظهر أوصافه كثرة ما فيه من المدارس على اختلاف اجناسها وديانتها وغاياتها ، وما عداها من المبانى انما هو دور للسكن ، متنافرة الوجاهة والطراز ، ومن تحتها على الجانبين دكاكين لبيع المواد الغذائية ، ويقع وراءها شرقا سوق محلى للخضرة والاسماك ، ففى أول ضفة الشارع اليسرى الشرقية من الميدان ، يمر بمدرستين ابتدائيتين للايطاليين ، ويليهما جنوبا بخطوات قصيرة فندق من الدرجة الوسطى ذى ثلاثة ادوار ومن بعده بخطوات مسافتها لا تتجاوز ربع دقيقة ، تجد عطفة فى صدرها بناء ضخم يتالف من ثلاث طبقات ، هو مدرسة طرابلس الثانوية للعرب ، وبجانبها شمالا أكبر مكتبة حكومية عامة ، أكثر مؤلفاتها ايطالية وتتجاوز عشرين الف مجلد وفيها كتب عربية متنوعة كثيرة ، ومن أهمها معجم البلدان لابن ياقوت الحموى ومعجم الادباء ، وأمام هذه المكتبة مصنع الزرابى المسبوق ذكره ، ويقابل الثانوية من الجهة اليمنى من الشارع ، عمارتان كبيرتان وارتفاعهما كذلك من ثلاث طبقات ، وتشتملان على معهدين ثانويين للايطاليين ، وفيهما فروع توجيهية لطائفة من العلوم ، ويعتبران بالنسبة لافراد هؤلاء كلسى كارنو بتونس ، ، ويجاور هذه المدارس بجانبى الشارع طائفة من مكتبات اللوازم المدرسية ، اكبرها واكثرها رواجا لشخص اسرائيلى ، ومن

مكتبات تجارية

بينها ثلاث مكتبات لافراد من العرب الطرابلسيين ، واخريان فى المدينة القديمة احداهما فى محلة الفنيدقة قريبة من جامع الناقة، وتعتبر اعظم وأشهر مكتبة عربية لاجتلاب المؤلفات العلمية من الخارج والثانية بسوق المشير امام كلية احمد باشا ، واكثر أعمالها باستيراد المجلات والمطبوعات الثقافية الحديثة ، ومن المؤسف ان هذه المكتبات العربية الخمس كما فهم من بعض أصحابها ، لا تجد من ابناء الوطن الاقبال والتشجيع الضروريين لبقائها، فالكتاب الذى يجلب او يطبع بكمية متوسطة مما يلائم المطلوب الاعتيادى ، قد لا تباع من نسخه الا اعداد قليلة ، ثم يذهب المتبقى على اصحابه خسارة مجهود وضياع وقت ونقود ، وما على الذين يحسبون ان تاليف الكتب أو الاتجار بها مصدر للغنى الا أن يجربوا فيها حظهم ، واذا تجاوز الشارع منطقة المدارس بدقيقتين مشيا ، يمر من الضفة اليمنى بجامع مزران وهو من الداخل متوسط البناء ، مستوف لجميع الشروط الشرعية ، وله ماذنة قليلة الارتفاع ، وتقع خلفه جهة الغرب جبانة قديمة غير قابلة للدفن ، وتابعة له زاويتان عامرتان الاولى لمبيت الطلاب القرآنيين وتقع فى الجانوب من الجامع ، وفيها طائفة من الخلاوى الارضية ، والثانية كائنة فى الجناح الشمالى ، وتشتمل على طائفة من الخلاوى الارضية والفوقية ، وهى خاصة بطلاب العلوم الشرعية ، ودروسها تقام عادة داخل المسجد ، وفى الجزء الاعلى الجنوبى منها كتاب فسيح لتعليم القرآن ، وقد أسس هذه الاماكن الدينية المباركة ذلك السيد البار المحسن ، المرحوم السيد رمضان مزران ، المتوفى سنة ١٢٩٩ هـ ، وكان فى زمانه من أعيان مدينة طرابلس واثريائها ، ويرجع مصدر غناه الى اتساع تجارته هو وابنه وقتئذ بين طرابلس وافريقيا الغربية ، والاوقاف التى حبسها لجامعه وزاويتيه تعتبر من أهم واعظم الاملاك فى هذا الشارع الذى يحمل اسمه، وبعد جامع مزران ينتهى الشارع عرفا عند الخط المار منه الى تاجوراء ، ثم ياخذ تسمية (شارع الزاوية) وفى أوله يسارا نحو الجنوب ترى بناية هائلة بثلاث طبقات قائمة على فضاء متسع مسور بجدار ، وقد كان ههنا ايام الطليان مركز لاحدى القيادات العسكرية الكبرى ، ثم اخيرا شغلتها مدرسة طرابلس الثانية مدة سنتين ، ولما نقلت الى محلها فى شارع مزران اتخذ هذا البناء مبيتا لطلابها ممن اسرهم فى البلدان الداخلية ، ويظهر لك وأنت ماش فى هذا الشارع كانك فى ضاحية ، وهو كذلك اذ ترى على الجانبين الحقول الزراعية الخضراء والاشجار الوارفة من مبدئه الى منتهاه ، ومعظم مساكنه الشعبية قائمة بين تلك البساتين ، والزاوية التى يحمل هذا الشارع اسمها تبعد عن

جامع زاوية مزران

رمضان مزران

شارع الزاوية

الخط الحديدى بثلاث دقائق سيرا ، وهى مؤلفة من جامع له مأذنة اسطوانية وبداخله بضع (خلاوى) ، والمفهوم من قصة تاريخها ان واحدا من سلاطين المغرب الاقصى حين جاء فى غابر السنين مارا بطرابلس الى الحج ، نزل للاستراحة فى هذا المكان ثم شيد على نفقته هذا الجامع وخلاويه نشرا للعلم وتقربا لله ، وبقربها شمالا مدرسة ابتدائية لابناء العرب ، تسمى (مدرسة شارع الزاوية) وفيها نحو الف تلميذ ، وهى بفخامة بنائها وبموقعها الصحى ، من أحسن انواعها موقعا وهواء واستيفاء للانشاءات التربوية ، وأخيرا ينتهى الشارع بالمكان الرسمى لتحليل الافرازات البدنية ، والرابع من تلك الشوارع الستة ، يدعى شارع ٢٤ ديسمبر ، تذكارا لليوم الذى اعلن فيه الاستقلال ، وقد اختارت له ولغيره هذا الاسم وما زالت تختار ، لجنة حكومية مؤلفة من اعضاء وطنيين غالبا ، والعقلاء يرجون من هذه اللجنة ان تراعى فى مستقبل اختياراتها وقبل فوات الاوان ، اسم على رضا باشا الجزائرى ذلك الوالى التركى المصلح ، الذى يرجع اليه الفضل الكبير فى تشجيع الناس على المبانى الحديثة خارج السور ، وفى زمانه تكونت كثير من الاحياء الوطنية المستجدة كمحلة ابى الخير ومزران ، كما ان سبتيموس سفاروس من حقه أيضا ان يخلد اسمه باختياره لاحدى الشوارع اللائقة بعظمته ، وكفاء استحقاقا لهذا أنه المؤسس الاسبق لمدينة طرابلس ، وقد جعلها عاصمة بدلا من لبدة رأفة بسكان الجهات الغربية والوسطى من عناء الاسفار الى لبدة ، ولذلك قدر فى العهد الايطالى بان وضع تمثاله امام سوق المشير ، فضلا عن كون كثير من التواريخ المعتمدة غير الايطالية تعتبره طرابلسيا صميما لا كونه رومانيا مولودا بقرية قرب لبدة فحسب ، بل أن دائرة المعارف الفاشستية المعروفة (بترى كانى) تقول انه كان لا يحسن الكلام باللهجة الرومانية ، وكان يتحدث فى حياته المنزلية مع افراد أسرته باللسان الافريقى ، ويتساءل الناس ما بال هذه اللجنة تباطأت فى تسمية الشوارع بعظماء التاريخ الطرابلسى قديما وحديثا ، وشارع ٢٤ ديسمبر امتداده من الميدان الرئيسى الى الجنوب الشرقى ، وهو فى عرف ابناء البلد متكون من ثلاثة اقسام ، شارع (ريتاردو) سابقا وجامع المغاربة ثم السيدى ، وقد طرأ على التسمية الأولى من التبدل السياسى ، ما طرأ على المدينة نفسها من الانقلاب الدولى ، فريقاردو لقبه العائلى قصار ، كان رجلا مالطيا من رعايا الانجليز ، وجد فى مدينة طرابلس حوالى سنة ١٨٨٠م أيام الحكم التركى ، وفى ذلك الحين كان هو من اسبق من بنى فى ارض هذا الشارع عدة

شارع ٢٤ ديسمبر

ملاحظة على التسميات

اسمه من قبل

منازل للسكن وحوانيت تجارية ، ما برحت حتى الان بطرازها الانشائى الاول ، ولما

تغييرات اسمية

احتل الايطاليون البلاد ، غيروا ما لشوارع المدينة الحديثة من اسماء عربية ، وجعلوا مكانها او لما استجد منها بعد ذلك اسماءا ايطالية لاعلام رجالاتهم او لامهات بلدانهم ، ولكنهم ابقوا اسم ريقاردو فى هذا الشارع مجاملة للمالطيين او للانجليز ، ولما مات او قتل صهر موسولينى الكونت تشانو ، وكانوا فى حرب مع الانكليز وعلى جفاء للمالطيين ، الغوا تلك المجاملة وذاك التودد ، فرفعوا منه اسم ريقاردو ووضعوا له اسم الكونت تشانوا ، وفى هذا العهد اختير له اسم ٢٤ ديسمبر للمناسبة المنوه عنها ، ويبتدئ من الميدان على الضفة اليسرى بعمارتين ، هما من أفخم ما فى

عمارتا لاوقاف

المدينة من المبانى ، تسمى الاولى عمارة سيدى حموده الثانية ، وتملكها مصلحة الاوقاف الطرابلسية ، وتدعى الاخرى (قلالية دى بونو) ، ومن ملاكها الان ثرى عربى من الوجهاء ، وكلتاهما منفصلتان عن بعضهما ومحاطتان بالشوارع من نواحيهما الاربعة ، وباسفلهما مخازن وحوانيت تجارية وافرة ، وسيدى حمودة هو ولى ضريحه وجامعه الانيقيين ، تحف بهما عمارة الاوقاف الاولى المعروفة باسمه ، وتقع شمالى اختها السابقة على حاشية وسط الميدان ، ولها فيه مدخل الجامع وبجانبه المدخل لمكتبة

محلهما قبلا

الاوقاف الوارد ذكرها سابقا ، وهذه العمارة كذلك عظيمة البناء منفردة عن غيرها ، ويحسن بنا لهذه المناسبة ان ناتى بلمحة تاريخية عنها تنويرا للافكار واحياء للاثار ، فقد كانت ارضهما من قبل ، جبانه قديمة وفيها ضريح سيدى حموده ، ولما جاء الطليان ووضعوا للمدينة الحديثة ، تخطيطات هندسية تساير تقدم الزمن ، اقتضى الرأى الفنى أن تنقل اجداث المقبرة الى جبانة سيدى منيذر فتم الامر واستبقى ضريح الولى محله ، وكان من تفكيرهم ايضا ان يدخلوا ارض المقبرة فى ساحة الميدان ليزداد اتساعا وتحسنا ،

اسماعيل كمال ومآثره

ومن حظ أوقاف المدينة السعيد ، أن اتاحت لها العناية فى ذلك الحين ، مديرا وطنيا عالى الهمة اسمه اسماعيل كمال ، اخذ قسطا وافرا من الثقافة الاوروبية والتركية ، وتحصل بحسن رأيه ولباقته على مكانة محترمة عند الحكام الايطاليين ، فاقنع هو ولفيف من الاعيان ولاتهم من الناحية السياسية ، ان تغيير اى شئ من ارض الجبانة ، يخالف مصلحة أوقاف المدينة ، سيثير عليهم غضب اهل البلاد خصوصا والمسلمين عموما ، وتعهد لهم بصفته مديرا للاوقاف ، ان يشيد بارض الجبانة الوقفية المبانى اللائقة بجميع التصميمات الفنية الحديثة ، فنجح بمساعيه واهدافه والتزاماته ، وبتاييدات اولئك

الاعيان من اعضاء مجلس الاوقاف وغيرهم ، الى أن أتم بالعمل المتواصل مشروع هاتين العمارتين وكان يراقب دائما اعمال تشييدها بنفسه خوفا من ان يحدث لهما اى طارئ مفاجئ ، او يتلاعب أحد فى أوضاع الخرائط الهندسية ، ويوم مات سنة ١٩٣٥م رحمه الله ، ترك خطابا يفيد ان الوقف يطلب من ذمته نحو ثلاثين الف فرنك ، وكان الناس الذين لا يعرفون نياته الشريفة يتهمونه بما خالف فيما بعد اخلاصه فى خدمة الاوقاف ، وهكذا فان حسنات المخلصين قلما تظهر ما دام صاحبها متقلدا حكما اوعلى قيد الحياة ، وهو من مواليد الخمس ويرجع اصل أسرته الى جنس تركى أوأرنؤطى وكان له أخوة أشقاء على شاكلته من العلم والفضل ، اثنان منهما كان من ضباط الجيش التركى والفا باللغة التركية تاريخا مجملا عن ليبيا ، ومنهم أخ كان فى السلك المدنى تولى أبان الحرب العالمية الاولى قائمقامية البقاع من اعمال لبنان الان ، وصار فيما بعد عضوا فى المبعوثان العثمانى باستانبول ولنعد الى شارع ٢٤ ديسمبر مرة ثالثة ، فنجده بعد العمارتين بخطوات معدودة يمر من الضفة اليمنى بالبناء الوحيد فى هذا الشارع الذى تحته اقواس للمشاة وفى الطبقة الثانية منه المكاتب الادارية والتحريرية لجريدة طرابلس الغرب ثم يلى نهاية هذا البناء جنوبا ، طريق فرعى عند أوله مطبعة كبيرة لشخص ايطالى ثرى مجد اسمه (الكوالير ماجى) وهى مجهزة بارقى وأحدث الالات الفنية للطباعة والنشر ، من ذلك مثلا يمكنها باحدى آلاتها الضخمة ، ان تطبع جريدتين معا وتخرجهما مطويتين فى آن واحد ، وهى القائمة وحدها بطبع جميع القرطاسيات الحكومية والجرائد اليومية والاسبوعية ، غير أنها بوجه عام ، على الرغم من عظمتها ومحاسنها هذه ، فلا تزال ناقصة فى الاوازم الفنية لطباعة الكتب العربية ، ويقول صاحبها أنه آخذ فى استيفاء هذه اللوازم ، ومما يؤسف له انك بينما تجد للايطاليين فى مدينة طرابلس مجموعة موفقة من المطابع التجارية الاخرى ، واحداها تلى مطبعة ماجى قيمة واعتبارا ، اذا أنت الان لا تعثر منها للعرب على شئ من ذلك بتاتا ، لاتافها ولا مقبولا وكان لهم فى العهد التركى عدة مطابع ، ومنذ سنتين اعلن فريق من الطرابلسيين الاثرياء ، عن أسهم مطروحة لتاسيس مطبعة وطنية بالاشتراك فباءت مقاصدهم بالفشل لان اى مشروع قومى كهذا المقصد لايجد من ولاة الامر الطرابلسيين تاييدات مخلصة فعالة ، فمصيره حتما الخسران المبين ، فتأسيس المشروعات الوطنية كغرس الاشجار ، تريد حمايتها وتعهدها دائما الى ان تقوى وتثمر

اخلاقه

اسرته

رجوع الى ٢٤ ديسمبر

مطبعة ماجى

الحاجة لمطابع عربية

واشترى شاب طرابلسى من حزب ساسى كبير صناديق كبيرة من الحروف المطبعية ليفتتح بها مطبعة ، وللان لا ندرى مصيرها ، وهذا بخلاف ما عليه اخواننا التوانسة فى عاصمتهم اذ لهم منها طائفة من المطابع القومية الرائجة ، غير أنها فى حاجة ماسة الى تجهيزات فنية حديثة ولعله من اهمها المساكب للحروف بالة (لينوتايب) ويتجاوز الشارع الطريق الكائنة به مطبعة ماجى ، فيمر باطول وافخم بناء فى هاذا الشارع ، يتألف من طبقة أرضية ، لواجهتها نحو ثلاثين حانوتا تجاريا للمبلوسات والسلع الشخصية ، ثم من دور فوقى له نوافذ منقوشة بالحجارة تتوسطها شرفة تطل على الشارع وفى اعلى بابها شعار تركى لهذا البناء مجسم ، ومن تحتها باب جميل فسيح يؤدى الى داخل المكان ، ووسطه متسع مشجر واذا قلبت النظر فى جوانبه العليا والارضية تحسب نفسك فى قصر شرقى رائع أو معهد علمى او فنى عظيم ، ان هذا البناء الضخم هو مدرسة الفنون والصنائع ، وكان أول من أسسها سنة ١٢٩٦ هـ هو الوالى عزت باشا للغرض الذى يدل عليه أسمها ، وحوالى سنة ١٨٩٥ م اتم تشييدها ببنائها الموصوف لك الوالى العظيم نامق باشا ، وجعل فيها للحرف اقسام شتى ، واقسام لمبيت الطلاب ومحلات لصلاتهم واطعامهم ودرساتهم ، وزودت بالاساتذة الاكفاء بكل حرفة او مادة علمية ، وجعل لها فى المدينة الحديثة والقديمة ، من الاملاك الخيرية النافعة ومن المساعدات المالية الحكومية ، ما يتكفل بحياتها الى ابعد السنين ، ومن تلك العقارات الجليلة ، (أوتيل فكتوريا) القائم الان امام برج الساعة عند سوق الترك ، ثم محل النادى الادبى سابقا ، وهو جنوبى مطبعة ماجى على طريق ما بين مزران و ٢٤ ديسمبر وقد أجرته الان ادارة هذه المدرسة بصفقة رابحة ، فهدم اخيرا وبنى من جديد دارا للسينما مع بقاء الارض للمدرسة وتناولها مبلغا شهريا معينا ، وبعد أجل مقدر تستلم البناء ملكا صرفا لها ، ثم الحوانيت المذكورة الكائنة تحت المدرسة وكانت قبلا من حجراتها الارضية ، ثم مبان وبساتين بضاحية سيدى المصرى ، وتشغلها الان أو بعضا منها مصلحة الزراعة ومدرستها ، وقد كانت مطبعة ماجى زمن الاتراك من املاكها ارضا وبناءا وآلات وقد استمرت هذه المدرسة العظيمة فى تادية رسالتها الصناعية والفنية والثقافية من ذلك التاريخ الى الوقت الحاضر ومازال القائمون بامرها يأملون ان يسايروا فى نهضتها روح الزمن الحديث على قدر ما تسمح به ظروف المدرسة الخاصة والعامة . وتخرج منها كثير من الرجال والشباب النبغاء بصنائع مختلفة نافعة ضرورية للمجتمع الطرابلسى ، ولو بقى الاتراك لكان أثرهم فى البلاد أوضح ظهورا واجزل

مدرسة الصنائع

ماضيها

اوقافها

تحقق رسالتها

نفعا ، غير ان المدرسة فى حياتها البالغة سبع وخمسين عاما ، اعتراها من التقلبات المتنوعة ما اخر تقدمها بخطوات واسعة ، وليس بعد مدرسة الصنائع فى شارع ٢٤ ديسمبر ما يستدعى منا كلاما ، وفى شارع جامع المغاربة يوجد الجامع نفسه وهو صغير الحجم جميل البناء له مأذنة اسطوانية قصيرة ، وبجانبه الشمالى مدرسة ابتدائية للبنات العربيات ويقابلها معهد تعليمى للايطاليين يقع بابه شمالا على شارع يتصل امتداده غربا بشارع مزران ، وفى الضفة اليمنى قبيل مدرسة البنات ، توجد مدرسة للراهبات يقمن فيها بتربية الاطفال والبنات الاجانب ، ويقابل هذه المدرسة أرقى دار للسينما فى المدينة ، قد أسسها وبناها لفيف من الاثرياء اغلبهم من العرب ، ومنهم أولئك الاخوة المستاجرين للمهارى ، ثم أجروها لشخص ايطالى ولهم معه اسهم من الارباح الطائلة والاعتيادية ، وينتهى شارع جامع المغاربة بخط تاجوراء الحديدى ، متصلا بشارع السيدى ، وتحف به من الجانبين طلائع مدينة الحدائق ، وينتهى شارع السيدى أمام المستشفى الكبير ، مختلطا بالطريق الجنوبى العظيم ، المار بالبلدان الساحلية الى برقة ويتفرع من هذا عند مدخل المدينة ، قسم يذهب فى الجنوب الغربى الى المطار الدولى المعروف محليا بفندق بن غشير ، ورسميا بمطار ادريس الاول وكان زمن الطليان يقال له (كاستيل بنيتو) ، ويبعد عن المدينة بمسافة خمسة وعشرين كيلومترا ، والمستشفى الكبير شرع فى اقامته للجند المرضى سنة ١٢٥٨هـ فى زمن الوالى التركى محمد أمين باشا ، وافتتح رسميا سنة ١٢٦٩هـ باحتفال رائع ، حضره جميع من فى المدينة من علماء وكبراء وحكام ، وهم اللائحة اشخاصهم فى الصورة المثبتة الاتية ، وقد غير وضوحها طول السنيل ، وأخذها فى مطلع الالات الفتوغرافية ، وكانوا واقفين عند تمام الحفلة فاتحين ايديهم لقراءة الفاتحة ، وابرز الشخصيات العظيمة الظاهرة يمينا فى المقدمة نحو سلم المستشفى ، هم أولا العلامة المشهور الشيخ بن مصطفى ، ويليه ثانيا العلامة الشيخ مصطفى باكير (١) ، مفتى ليبيا وقتئذ ، ويليه ثالثا العلامة الحنفى التركى ، الشيخ بدر الدين افندى ، قاضى طرابلس الغرب ، ويليه رابعا والى ليبيا العام أحمد راسم باشا ، المار بك سابقا بعضا من اخباره ، ويليه خامسا ، الحاكم العسكرى العام للقطر الليبى وقائد جندها ، المشير عارف باشا ، وقيلت يوم افتتاح المستشفى فى هذا الاحتفال ، قصيدة عصماء ، ومما جاء فى مطلعها هذان البيتان:

شارع جامع المغاربة

شارع السيدى

المستشفى الكبير وتاريخه

عظماء افتتاحه

من قصيدة مدحه

(١) هو جد الاستاذ الشيخ راسم باكير امام جامع شائب العين الان

تبارك الله دار الطب قد كملت ... بحكمة الله نالت فى العلا شرفا
فى روض منشية فى الغرب محكمة ... لسدة المجد تدعو كل من عكفا

وقوله (لسدة المجد) اراد به ان ينسب اقامة المستشفى ، الى مآثر الخليفة السلطان عبد المجيد اذ فى عهده انشئ ، ولا تزال منه بقايا موجودة بطرازها الاول ، وهى قسم الجراحة الكائن فيه خلف المبانى المستجدة ، ولما جاء الايطاليون راقهم مكانه وحسن مناخه ، فشيدوا فى ارضه الفضاء وما حوله من المسافات الواسعة ، اقساما اخرى من طبقتين ، ارضية وعليا ، ذات ابهة فى البناء وجمال وابداع ، وجعلوا كل واحد منها مخصصا لنوع من الامراض ، حتى صار فى وقتهم وللان اشبه ما يكون بمبانى (يلدز) ، أنه حقا مدينة صحية نادرة ، فيه القصور الرائعة ، والحدائق الظليلة ، زاخر بالمرضين والممرضات من عرب وطليان ، وفيه آلات لفنون المعالجة والجراحة وميئات من اسرة المرضى وعشرات من الاطباء البارعين ، والموظفين الصحيين ، وقد تاثر المستشفى هو أيضا بحوادث الحرب الماضية ، من سفر أطباء ومجئ اطباء ، ومن تغيير الظمة ادارته وميزانيته ، ومن نقصان اجهزته الفنية ولوازمه الصحية ، حتى صار فى عين من كان يعرفه من قبل ، بمنظر من هو كاسف باله قليل الرجاء ، ولنترك هذه البقعة الشفائية ، راجعين الى الميدان الرئيسى ، مركز التقاء الشوارع ، فالشارع الخامس معنون باسم التيجان من اوله الى حاضره ، فقد كان ايام الاتراك على اسم سلطانهم عبد العزيز ،

تكييراته الايطالية

صورة الشخصيات والجند المحتفلة بافتتاح المستشفى

احواله سابقا وحاضرا

شارع التيجان

وفى العهد الايطالى دعوه باسم ملكهم (فكتوريو عمانويل) ، ولما أخذت طرابلس استقلالها وضع له اسم الملك (ادريس الاول) ، والذين لاحظوا قبلا وتاليا هذه الاعتبارات الذوقية او السياسية فجعلوا تلك الاسماء النبيلة تخلف بعضها بعضا لهم حقا ظرفاء فى الاداب الدولية ، ومراعون لكل حادث تاريخى المناسبات اللائقة به ،

جادة ادريس الاول

واذا انت سرت فى جادة ادريس الاول ، مبتدئا من جزء الميدان الرئيسى الشرقى المقابل لشارع درغوت غربى القلعة ، تجد ان المرحوم اسماعيل كمال ، كانت قرائن احواله تدل على أنه لاحظ مع أولئك ، ما لهذا الشارع من الاسماء

منظر لجانب من جادة ادريس الاول

اللامعة والذكريات الخالدة ، فجعل باب الجامع المطل عليه من عمارة الاوقاف الاولى ، فى واجهة هندسية رائعة الجمال ذات صفاقتين من أنفس انواع الخشب جودة وزخرفة وطلاءا ، وكما جاء هذا الشارع عظيما فى تسمياته ، جاء كذلك فى مظهره وأوصافه ، أليق شوارع المدينة كلها بانتسابه الى أولئك الملوك ، فقد اصطفت على جانبيه العمائر الهيفاء ، تحتضن باقواسها المارين تحتها ، من لفح الشمس ووابل الغيث ، وأزخر أيامه بالناس هى اسابيع الاحد ، اذ تراه فيها غاصا بالجالية الايطالية ذكورا واناثا وهم باحسن الثياب وألطف الاداب ، وأقله بهجة ورواءا ايام السبت وأعياد اهله ، اذ بعد ان ذهب مجد سوق الترك مع اصحابه الاقدمين من آل عثمان والمتاخرين من ذريه الرومان ، فمن لم يسافر من تجار هذه الطائفة الى فلسطين ركز نشاطه بعد سوق الترك فى هذا الشارع ، لذلك تجد حوانيته بهم قد تبارت فيما بينها باجمل الرفوف والواجهات ، وأنفس ما فى أوروبا من النسيج والملبوسات ،

مظهرها العام

تجارة ومحتويات

وههنا ارقى الاندية مجتمعا ، وما به للفقراء مقام اوسع ، وحتى فى هذا الشارع كما كان قبلا فى سوق الترك ايام الطليان ، نادر جدا أن تلقى فيه لابناء البلاد متجرا كبيرا أو صغيرا ، اذ أكثر عمائره الهامة ملك للاسرائليين المحترفين ههنا اعمالا اقتصادية أو من مستاجريها لهذا الغرض، ولقد حاول فريق من الشباب الطرابلسى الكفء ماليا وباساليب التجارة الانيقة، ان يتحصل فى هذا الشارع على اى حانوت ولو باغلى ايجار او اخلاء فلم يوفق ، وعلى الرغم من هذا فقد استطاع شاب منهم بعد لأى واقدام جرئ أن يجد فيه محلا بعمارة سيدى حموده الثانية صرف على اناقته المبالغ الطائلة ، واملأه بافخر الانواع من ملابس الرجال والنساء المترفين ، ولاخيه فى سوق المشير محل مثل هذا ، وغاية ما نقول فيهما ، انهما أصدق نموذج وعنوان على مقدرة ابناء البلد الاقتصادية اذا ما اتيحت لهم الفرص الملائمة ، وفى شوارع عمر المختار والميدان الرئيسى و٢٤ ديسمبر وسوق المشير مواطنون من الشبان ، لهم متاجر من نفس البضائع الموجودة بجادة ادريس ونال نشاطهم مع بضائعهم من اقبال الاجانب عموما ، ومواطنيهم العرب خصوصا ما ازعج خصومهم، وهنا قامت الحرب التنافسية الخفية بين الفريقين باقوى تكتلها وبارع لباقتها ، ولسنا فى موقف يسمح لنا ان نحلل البواعث ، التى اخرت العرب الطرابلسيين عن متابعة الزمن فى تقدمه التجارى أو الاقتصادى ، فهذا أمر تفصيله لدينا عسير ، ولكننا فى حل غير ملام اذا اشرنا الى الاستاذ العملى الذى له الفضل الاول فى توجيه أولئك الشباب وغيرهم الى نواح جديدة من المغنم الحر الدسم الذى كان يتمتع به أئمة الاقتصاد اللبقون وحدهم ، انه فى هذا المضمار العميد الحقيقى لذاك الشباب او هو اسبق مجتاز جرئ فى طريقهم ، فقد استطاع منفردا منذ العهد الايطالى الى الوقت الحاضر ، ان يستحوذ فى سوق المشير على معظم تجارته التى كانت فى ذلك الحين بايد ليست عربية ، فغامر اولا بما كان عنده من ثروة محدودة وافتتح بها فى سوق المشير مخزنا كبيرا ، وتضاحك مواطنوه من جرأته على أمر خطير ، بين خصوم اقوياء بالتبر واللجين ، وأجاب بلسان حاله : (لا اقعد الجبن عن الهيجاء ولو توالت زمر الاعداء) ، وأخذ نضاله يشرق رويدا رويدا بلمعان الظفر ، وتدرج نحو البيع وتوارد العملاء المشترين بالجملة والاحاد ، وتلمض هو مذاق المغنم الشهى بعرق الجبين ، ولما فاضت عليه الارباح ووجم المستهزئون ، صار يستورد البضائع من الخارج بالتوالى وعلى اسمه هو بلا اية وسيلة اخرى ، ثم جمع فريقا من أبناء وطنه فعمل

الشباب العربى التجارى

التنافس التجارى

عميد الشباب التجارى

لهم عربات يد تحمل السلع الصغيرة بالاثمان القليلة ، واتخذوا فى جوانب سوق المشير نقاط ارتكاز ، كانهم جند كثيف فى معارك طاحنة ، أو ليست الحروب بين الشعوب ، قائمة دائما على مبدأ تنازع البقاء بلابلا ، وقامت فى سوق المشير الحرب واشتد فيه بين اللبقين والمبتدئين النضال والكرب ، واخذ ذاك الزعيم والقائد الشهير ، يمد جنوده بالمحارم والامشاط والجوارب وبكرات الخيوط وبالقمصان الصيفية وقوالب الصابون المعطر والاحزمة الجلدية والمطاطية ، وكل شئ لا يستغنى عنه الرجل الفقير أو المقتصد الخبير ، او السيدة الايطالية والعربية ، من اشتات القطع الضرورية للانسان الاجتماعى وما دامت المعارك قائمة فى وسط السوق ، فمن هو العميل الغبى الذى يقتحم داخل الدكاكين ، وكان العملاء غير اغبياء فصاروا يشترون مما هو موجود فى العراء ، كان كلما جاء جندى يطلب الميرة أو الذخيرة ، تهئ له القيادة العامة واركان حربها مطلوبه سراعا ، وكانت البلاغات الدائمة من قائد هذا الجند التجارى الذى أرعب وادهش ، الى حلفائه او ابنائه العساكر ، هى بموجز القول : (وما طلب المعيشة بالتمنى : ولكن الق دلوك فى الدلاء : تجئ بملئها طورا وطورا : تجئ بحمأة وقليل ماء) وقال الجند سمعا وطاعة ايها القائد الاعلى ، واذا هم بحسن اخلاقهم مع المشترين واعتبارهم لقول نبيهم صلى الله عليه وسلم (انما الدين المعاملة) ، يحدثون فى ساحة العدو فجوات عميقة فامر بتقوية الهجوم واخذ هو يجرى من مكان لاخر ، يراقب خطوط القتال الامامية والخلفية ، واخذت اقلامه السرية تزوده بخسائر اضداده ، فيحمد المولى المنان على تأيداته ، وصار أولئك اللبقون يفقدون عملاءهم الاقربين والابعدين يوما يوما ثم اسبوعا اسبوعا ثم شهرا شهرا ، وهنا لجأوا الى مؤامرات جبارة ، كاد القائد وجنوده من تاثيرها ان يتصاقطوا فى ميدان النضال صرعى ، واذا هو يفز صارخا ايها الجيش الباسل (لا اقعد الجبن على الهيجاء : ولو توالت زمر الاعداء) ، واجابوا لبيك لبيك ثم اعادوا الكرة بهجوم ذى معارك فاصلة ، وكان الثبات اروع وضربات التوجيه افزع ، حتى اسفرت عن انتصار ساحق وغنائم طائلة ، كان من نتائجها أولا ان تقدم بعده خطوات فى سلم المجد ، فصار يستاجر فى هذا السوق دكانا بعد دكان ويشارك فيه واحدا من ضباط جنده ويوم يراه حاذقا باعماله يتصافى معه ويتركه له مستقلا ، ثانيا من لم يكن من رتبة الضباط أو صف الضباط يؤازره بان يبقى جنديا ولكن عليه بان يشترى منه الذخيرة بالاسعار المخففة واذا

الحروب التجارية بسوق المشير

اشتدامعاركها

بلاغات وتنفيذات

بوادرللانتصار

التجاء الخصم للمكائد

الانتصار الساحق

احتلال سوق المشير

ظهر منه اى سلوك يدل على فقدانه لروح الجندية المشيرية يخاطبه قائلا : اذا بلغ الفتى ذهب حيث يشاء ، واذا اليوم سوق المشير عربى التجار ، بفضل الله وذاك البطل المغوار ، وبه تاثر مواطنوه فاخذوا يدخلون فى هذا الباب الاقتصادى شيئا فشيئا ، الى أن اصبحت حوانيت الشباب الطرابلسى ، لبيع الخردوات من امثال بضائع سوق المشير يتزاحم عليها الايطاليون وغيرهم من الاوروبيين ، كما كانوا يتزاحمون من قبل على حوانيت غير العرب ، ومن سوق المشير انتقلت الحرب بين اللبقين وبين الذين كانوا عنها

عقلية الجيل التركى

غافلين الى سوق آخر ، ولكنه سوق لصناعة نفيسة وتجارة رائجة رابحة ، ففى أيام الاتراك كان الطرابلسيون الاعيان او المتشبهون بهم غالبا ، يعتبروع ان الاشتغال بالحرف اليدوية ، وبغير الزراعة والتجارة الراقية والتوظف الحكومى ، امور لا تليق الا بالناس المألوفين ، او هى من أختصاص اهل الذمة ، وبسبب هذا الاعتقاد تهاونوا

احتكار اليهود لصناعة الفضة

بها ، ولم ياخذوا حتى أولادهم اليها ، فاحتكر اليهود فى العاصمة من ميئات السنين سوق الفضة (الفجرة) ، وهو يقع الى الغرب من جامع احمد باشا ، وما بين سوق الرباع واللفة احتكارا نافذا فى جميع تصرفاته ، وفى منتصف العهد الايطالى ، لما أحسن الشعب الطرابلسى عموما وذرية أولئك الاعيان خصوصا ، بخطأ اجدادهم فى تلك الافكار ونحوها ، وان

الانتباه للحرف

صنعة فى اليد آمان من الفقر ، تجارى شبابهم وصغارهم الى أشتات الحرف حيثما وجدت وتيسر لهم تعلمها بالمحاكاة ، ففشلت جماعات لما اقيم فى سبيلها من عقبات ، ونجحت

التوجه لصناعة الفضة

جماعات لتصابرها على الاذيات ، واتيح لفريق من الشباب وامثالهم وقتئذ ، ان يتلقى او يختلس مبادئ من صياغة الفضة ، عن رجلين من عباقرة صناعتها ، وكان أولهما ايطالى أستجلب لمدرسة الصنائع المتقدم اليك لمحة عنها ، وثانيهما عراقى صابئى المذهب جاء للعمل الحر ، واتفق ان كان محل اشتغالهما فى ذاك السوق الشرقى الجميل ، المشتهر الان باسم (الارتيجيناتو) وهو كائن فى أول الضفة اليسرى من سوق المشير

تعلمها بالذكاء

جهة ميدان الشهداء ومجاور لسوق الفجرة ومتصل به من باب عمومى وبذكاء هذا الفريق وثباته وبالاسراق وبالنظر الخاطف اليهما وعن غيرهما من المحترفين لها بالتوارث استطاع ان ياخذ من صياغتها وتركيباتها الشئ المفيد النافع ، ولهذا فانك تجد ارباب الحرف الدقيقة قلما يشتغلون بها امام الغرباء عن حرفتهم ، حتى ولو كان هؤلاء كبارا فى السن أو من الاشخاص الذين ليسوا هم باحتياج اليها ، غير ان هذا الفريق المتخرج فيها حكما أو حقيقة أو اقتباسا بما تيسر منها ، لسوء حظه فى ذاك الحين

انعدام الثقة والتشجيع

بلوى بثلاثة امور خطيرة اولها فقدان اى محل فى سوق الفجرة بين ارباب صناعتها الاقدمين ، وثانيهما ان جهلاء الارياف والبادية والدواخل من ابناء قومهم لم يمنحوهم اية ثقة أو تشجيع ، مستسلمين لغيرهم فى كل ما يطلبون بيعا أو يعطون شراء ، وثالثها ما كان يجده فى مزاولتها احترافيا من العوائق الخفية والعلنية فانزووا مترقبين الفرص آسفين على ما يفعل الجهل باصحابه ، جهل أولئك الريفيين وامثالهم ، فلما انتهت الحرب العالمية الثانية ، وزالت بها فى طرابلس عن العرب موانع للنشاط الاقتصادى ، شعر عقلاؤهم ما لهذه الصناعة والاتجار بها من الكسب المالى والادبى العظيمين ، فكون بعض من اثرياء ووجهاء المدينة الافاضل ، شركة مساهمة للتجارة فى حلى الفضة ، وشجعت لفيفا من ذاك الشباب فاسندت اليه اعمال الصياغية الفنية ، وقام أعضاء من مجلس ادارتها بالاشراف على شئونها المالية ، وأنشات قسما لبيعها او شرائها ، او قبول اصلاحها او تجديدها باجور معينة ، وبفضل هذا المشروع الكبير وبحزم أصحابه الغيورين ، انفسح مجال واسع امام مواطنيهم ، لم يخطر لهم من قبل ان يطرقوا بابه لولا تطور الافكار ونكبات الاجيال وتبدل الاحوال ، وكان من حظ المدينة والبلاد المبارك ، وان لم يكن من حظ العروبة السعيد ، ان تلك الهجرة وبمجهودات اعضاء هذه الشركة ، تقوت فى الناس الروح الوطنية الاقتصادية ، فانساقوا للحرف الهامة والدقيقة والصعبة ، انسياق ضرورة معيشية أو بدوافع قومية ، على النمط الذى أوجزنا بيانه فى سوق المشير وغيره ، واذا أولئك الرجال والشبان والصغار ، يتهافتون فى سوق الفجرة على الصياغة الفضية ، صناعة وبيعا وشراء وتعلما ، جنبا لجنب مع بقايا من زملائهم اليهود المتخلفين ، وليس ببعيد ان اخلص هذا الفريق الطرابلسى النيات ولم يكن افراده لغيرهم خفية من الامعوات .. ان يصير فى مستقبل قريب سوقا وطنيا باعماله وقلبه ولسانه ، اسوة بسوق الحلقة والعطارة وما شاكلها من امكنة بيع الاقمشة القطنية والحريرية التى تعربت تجارة واصحابا ، وعدا ذلك فقد نشط ابناء البلدان الطرابلسية عموما فى كل ناحية من حياتهم الاقتصادية ، فى حدود مقدرتهم المالية ، ومعارفهم المحصورة غالبا فى معلوماتهم المكتسبة بمحاكاة الاجانب وتقليدهم ، لا انه مرتكز على دراسات فنية وتحصيل علمى منتظم ، وهم فى هذا معذورون غير ملومين اذ احوال البلاد السابقة فى مدة ثلاثين سنة لم تفسح امامهم تحقيق هذين الامرين الضرورين لكل نهضة اجتماعية حديثة ، ومن أوضح

شركة الفضة الوطنية

غزو سوق الفجرة

ليس ببعيد

الادلة على نشاطهم فى دائرة تينك المقدرتين ، انك اليوم تجد مصلحة التنوير الكهربائى فى القصبات عاصمة مسلاتة ، هى وطنية صميمة منذ العهد الايطالى ، فى أعمالها الفنية والادارية ، تملكها أسرة من أعيان مدينة طرابلس ، كما ان مدينة طرابلس صارت افران مخابزها الفنية على الطريقة الحديثة ومعامل المكرونة كثير منها ملك لابناء العرب وتولى فى المدينة كثير من الشباب اعمال التصليحات الكهربائية ومعامل الالباب ، ومعظم مطاحن الدقيق الالية وفى الدواخل والارياف ، ثم مراكز اصلاح السيارات ثم معامل الصابون ومعاصر الزيت ، اصحابها والمشرفون عليها هم من شباب ورجال القطر الطرابلسى ، وكان لهجرة اليهود الى فلسطين التاثير الكبير فى رواج الحركة التجارية بالبلاد كلها ، واحتراف ابنائها جميع الصناعات الصغيرة التى كانت بيد أولئك المهاجرين ، ولنرجع الى حديثنا عن جادة ادريس الاول ، فبعد ذلك الوصف المجمل ، عن المظاهر التى انفرد بها عن الشوارع السابقة ، تجد من ابرز مبانيها فى الضفة اليمنى ، هى عمارة سيدى حموده الاولى ، وقبالتها يسارا بناية عظيمة مثلها حجما وارتفاعا ، وباسفل هذه مقهى أنيق وحمامات عامة على الطريقة الحديثة ، وروادها هى والمقهى من الاوروبيين غالبا

البلدية القديمة

ويجاور بناية المقهى جنوبا عطفة تليها بناية تتألف من دورين ، كانت تشغلها قبل الحرب العالمية الثانية بلدية المدينة ، حين كان عميدها المرحوم حسونة باشا القرمالى ، وبعد وفاته عين مكانه ابنه المرحوم سليمان بك ومن المحتمل ان تكون قريبا من

نادى الاتحاد

المقرات الوطنية الهامة ، ويقابلها عمارة الاوقاف الثانية وفيها (نادى الاتحاد) ، وهو مجموعة من الفرق الرياضية ، كانت بذورها ناشئة من الزمن الايطالى ، وفى العهد البريطانى برزت الى الوجود بأعضائها الاولين ، تحت شعار خاص له ثلاثة حلقات متماسكة ، واتخذت الاسم المتقدم عنوانا لها ، وقد أنتمى الى هذا النادى بمطلع ظهوره ، خيرة شباب المدينة الرياضى ، وقد أكسبه كل فريق من تلك المجموعات مفاخر وطنية رائعة وانتصارات على خصومه الشرفاء من الجاليات الاجنبية والبلدان التى راح لمبارزتها او جاءته هى لهذا الغرض ، رجع منها بعد كل ذلك الى مقره هذا وريات الظفر تخفق على ناديه ببشائر الفوز المبين ، وكانت آخر ملاحمه المجيدة تلك المسابقة الدراجية التى عقدت بمسافات كبيرة داخل القطر الطرابلسى بمسافة تبلغ مئات من الكيلو مترات ، واشتركت فيها الاقوى من الاندية الاجنبية ، فانتزع منها أحد ابطاله غاية السبق بخفة كالريش وسرعة كوميض البرق ، وصبر من ايوب ، واذ اغادرت البناية الوقفية الثانية ، وفى نفس

الضفة تجد شويرعا بخطوات قليلة يتصل باخيه ، ٢٤ ديسمر ، ثم يمر شارع ادريس بعمارة (قلالية دى بونو) ، انها عمائر اربع متواصلة باقواس اربع ، وفى وسطها فراغ الى السماء ، والقوس الاعلى المطل على هذا الشارع فيه اعمدة عظيمة بقواعد جسيمة ، يقابله غربا فى شارع ٢٤ ديسمبر مثله ، والثالث اقل منهما ارتفاعا مطل شمالا على ذاك الشويرع ، وصنو هذا القوس فى الجنوب كذلك على شويرع ، وماذا ينبغى لنا ان نذكرمن هذه (القلالية) المتخايلة بحسنها وروائها ، فيها امران حريان بالتبيان ، أولهما سياسى وثانيهما اجتماعى ، فاما السياسى فانك حين ترفع رأسك متنظرا شرفاتها ترى واحدة منها ، فى المنتصف من أعلى القوس مسندة عليها لافتة تحمل اسما لحزب طرابلسى سياسى ، وكان فى المدينة من أمثاله كثير ولكنه لاسباب لا ندرى حقيقتها ، او ليس من شئوننا الخوض فيها ، تقافلت ابوابها واحدا بعد واحد ، وكان بعضها فى شارع عمر المختار ، وبعضها فى محل النادى الادبى المذكور لك فى مبحث مدرسة الصنائع ، وبعضها فى (أوتيل فكتوريا) قبل ان يصير فندقا للمرة الثانية اذ كان فى العهد الماضى قبل الحرب العالمية الثانية فندقا ، والامر الاجتماعى الذى فى هذه القلالية ، انك حينما ترجع البصر الى ما تحت عمارة الركن الجنوبى تجد فى ارصفة اقواسها كراسى فى غاية من اللطافة والحسن ، ههنا أرقى منتدى أو مقهى عام ، ولا يغشاه ذوقا الا كبار القوم مراكز اجتماعية أو حكومية من الاجانب غالبا ، أو قليل من الاعيان الطرابلسيين ، وقبيل الحرب العالمية الثانية ، كان فى الناحية اليسرى من أواخر هذا الشارع مقهى عربى انيق ، وكان مجلسا لافاضل الطرابلسيين علما وأدبا وأصالة وثراءا ، وحاز فى المدينة من الشهرة والمنزلة الاجتماعية ما حازه فى القاهرة بار اللواء سابقا ، وبقى فى محله هذا الى ما بعد العهد الايطالى ، ثم نقل حوالى سنة ١٩٤٧ الى بناية عظيمة تقع غربى جامع السنوسية واستمر فى مكانه الجديد على ذوقه الاول ، من تجهيز حسن ومنظر وجيه وجلساء كثير منهم على وصف الجلساء المتقدمين ، واقتصاره فى مشروباته على ما يبيحه الشرع الاغر وصحة البدن ، ولكن نظرا لوفاة الفريق الاكبر من معارفه فى ذاك الزمن التركى ، والايطالى ، وتناقص كثير من احيائهم عن التردد عليه أو تشجيعه ليستبقى حياته كل من هذه الاسباب الجات اصحابه الاشراف اصلا وخلقا ، الراقون مستوى اجتماعيا ، الجاتهم الى تغيير المحل من مقهى الى محل تجارة للراديوات والدراجات مع لوازم

قلالية دى بونو

الاحزاب السياسية

ارقى المقاهى الاوروبية حاضرا

ارقى مقهى طرابلس سابقا

مصيره

تغييراتها ، وتجارة بالجملة والاحاد ، وكنا فى عهده قبل الحرب العالمية الثانية وما بعده من رواده واصدقاء اصحابه ، وكنا فى ايام حياتنا الدراسية بالقاهرة ، نرى أن سكانها تعارفوا ذوقا ، فاختصت واحدة من مقاهيهم للاعيان وأفاضل الناس وأخرى للاساتذة والعلماء وأخرى للتجار ومن فى حكمهم ، وأخرى للشبيبة المتعلمة وكبار الطلاب ، ولعله من أهم الاسباب التى تدفع كثيرا من العرب الاعيان الى المقاهى الافرنجية ، ما تعارف عليه جلساؤها من آداب المجتمعات ، من التكلم بصوت خافت وغض البصر عن مظاهر الناس واحوالهم ثم لياقة اصحاب وعمال تلك المقاهى ، للقيام بخدمات عملائهم فى حدود الذوق السليم واحترام شخصياتهم من جميع الوجوه ، كما أنها مجهزة بانظف الادوات والاثاث ، ومعتنية بحسن سمعتها العامة فى كل شئ ،

مقهى خاص بكل مجتمع

المقاهى الراقية وأحوالها

وحين تغادر القلالية وشويرعها الجنوبى ، تمر بفسحة مسورة بقضبان حديدية ، بابها على الشارع ، وهى مشغولة بسيارات للجند الحليف ومن ورائها غربا بناية بثلاثة ادوار ، فهذه الفسحة كان محلها أيام الاتراك قصرا ذا طبقتين سكنه لفيف من ولاتهم المتاخرين ، وعلى الخصوص المدعو منهم رجب باشا ، وفى الزمن الايطالى بقى فى أول احتلالهم على وضعه السابق منزلا لحكامهم ، ومن هؤلاء دى بونو وفولبى ثم تحولوا الى قصور اخرى اعدت لهم ، وحوالى سنة ١٩٣٦ م اتخذ مركزا للحزب الفاشيستى فى طرابلس ، ولاغراض مجهولة لدينا حتى الان ، هدم بعد ذلك واستعملت ارضه فى أثناء الحرب العالمية الثانية ، محطا للسيارات العسكرية ، للجند وللضباط الذين لهم مصالح رسمية خاصة داخل المدينة ، وبقيت من العهد الايطالى للان على هذا الوضع ، وأما البناية الواقعة غربى هذه الفسحة ، فحين جاءت لجنة التحقيق الاممية ، المتقدم ذكرها فى مبحث الاستقلال الطرابلسى ، اتخذتها مقرا لمكاتب اعمالها ،

فسحة ومبنى تاريخيين

وفى أعلاها الان رابطة معلمى القطر الطرابلسى ، وتلقى جنوبى الفسحة شويرعا متصلا بشارع ٢٤ ديسمبر ويمر الشارع بعده بعمارة لا تكاد تبصرها حتى تراها من طراز متخالف عن جميع ابنية هذا الشارع الانيق ، انها ذات ثلاثة ادوار والارضى ذو اقواس باعمدة رخامية رقيقة والفوقيان لهما حواجز للشرفات من خشب وقضبان حديدية ، وحتى سقفها غريب عن طراز السقوف لمبانى هذا الشارع لان هذا من خشب وتلك من الاجر المعقود بالحديد والاسمنت ويعرف هذا النوع محليا باسم (الكمر) ، هذه البناية التى نتحدث عنها بقاية من عهد الاتراك ، وهى ملك لافراد من اسرة

عمارة تركية

اسرائيلية قديمة ذات ثراء كبير وشهرة واسعة ، وكانت فى الزمان المسبوق عن الطليان ، ذات نفوذ اقتصادى فى البلاد وعند رجالات الحكم التركى ايضا ، وتعتبر الان عميدة لبقايا الطائفة اليهودية، وفى أول هذه البناية شمالا تجد فى الشويرع الذى بينها وبين فسحة السيارات ، بابا صغيرا له درجات من الرخام الابيض الناصع ، فاذا رقيت اليه تجد انظف وأوجه مطعم أوروبى فى المدينة كلها ، وقد كان ايام الطليان مختصا بكبار رجالاتهم ولما جاء الالمان انفرد ضباطهم به ، وفى العهد البريطانى صار باطعمته الشهية الفاخرة مكانا للترفيه عن جندهم وضباطهم ، وأما اليوم فاغلب عملائه من أسر الجالية البريطانية والاميركية ، وهناك مطعمان أوروبيان لا ادرى ايهما أفضل واحد فى شارع عمر المختار تجاه العمارة التى فيها ادارة الضرائب العامة ، وواحد فى أسفل الركن الغربى من قلالية دى بونو اى خلف ذاك المقهى تماما ، وفى كل من شارع عمرو بن العاص قريبا من الجامع المذكور فى أوله ، وشارع مزران امام المدارس الايطالية الابتدائية ، مطعمان عربيان اصنافا وروحا ولغة ، لشخصين طرابلسيين من أهل المدينة، ومحلهما فى غاية من النظافة ، وماكولاتهما الوطنية يثير اريجها شهية المعدة قبل أن تذوق طعمها الفاخر ، ولذا فان الاجانب من متوسطى الحال ، او من كبارائهم المغرمين بالكسكسى ، قد تزاحموا عليهما بالمناكب ، ولعله لولا هولاء الاجانب لكان أمرهما على وصف آخر ، او لعهما كانا بغيرهم فاترى الحركة ، لان الطرابلسيين من سكان المدينة لجود عائلاتهم لا يدخلون اليهما ، ومن غير سكان المدينة كانوا الى ما قبيل الحرب العالمية الثانية يعتبرون دخول المطاعم (الطباخين) مما لا يليق بكرامة الرجل الوطنى المحترم لنفسه ، ولكن أعيانهم الان ممن ياتون من الدواخل لقضاء مصالحهم فى المدينة ، صاروا لا يرون عيبا فى تناول غذائهم بها أو فى استجلابه منها الى حجرات الفندق المقيمين فيه ، وفى شارع درغوت وباب الحرية وسوق الحلقة ووراء المدرسة المركزية مطاعم وطنية اخرى لا باس عليها ، وبعد ذاك المطعم الاوروبى الممتاز يمر الشارع يسارا بعمارة المحاكم المدنية ، من ابتدائية واستئنافية وفيها جناح تشغله مكاتب المستشار القضائى ، واكثر قضاتها ان لم نقل كلهم من علماء الحقوق الايطاليين ، ومن بينهم قاض ايطالى عظيم ، قصير القامة هادئ الطباع ، اشتهر ببراعة تحقيقاته وصواب احكامه عند جميع الاهالى العرب ، ويوافقهم على هذا ابناء جنسه الايطاليون ، ويقال أنه اريد ترفيعه الى رئيس لمحكمة الاستئناف ، فابى

ارقى مطعم أوروبى

المطاعم العربية

المحاكم المدنية

قاض عظيم

ولا تكاد تراه ماشيا او جالسا فى مقام العدالة حتى تشعر نحوه باحترام زائد واعجاب بفضله أزيد ، وفى القضايا التى احد طرفيها عربى جاهل أو فقير بلا محام ويبدو له انه مظلوم ، كثيرا ما يقوم هو مدافعا عنه ضمنا بمقام المحامى ، فتراه يناقش الخصم القوى بنفوذه أو ماله أو محاميه ، ومهما يكن شانه من المنزلة الاجتماعية أو الرسمية ، مناقشة لبقة شديدة ، حتى يظهر له وجه الحق من الباطل ، وبعد ذلك يصدر حكمه صريحا جليا ، يتفق مع راحة ضميره ونزاهة العدالة ، ثم اذا سرت بعد المحاكم بضع خطوات

معبد اسرائيلى

تجد زقاقا يؤدى الى اكبر معبد لليهود فى المدينة الحديثة ، تراهم فى كل يوم سبت آتين اليه زرافات ووحدانا ، وهم فى البذلات الحسنة والقبعات المنسقة وكل واضع التورات ملفوفا فى وشاح العبادة ذى اللول الابيض والاطراف المخططة بالسواد ، وفى الحق ان المثقفين من غير المسلمين يهودا كانوا ام نصارى ، لهم حريصون على تادية صلواتهم فى أيامهم الاسبوعية المقدسة جد الحرص ، ورجالات دينهم القائمون بتهذيبهم لاخذون من كل علم بطرف ، ليعظوا كل فرد من أبناء ملتهم بما يناسب ذهن ثقافته ، ويمر الشارع بعد الزقاق بعمارة ذات طبقة ارضية يعلوها دور قصير الارتفاع اتخذ مكاتب لاعمال اقتصادية او ادارية ، هى اجد ما فى هذا الشارع من الابنية الحديثة ، وصاحبها ثرى من الاسرائيليين ، وفى واجهتها الرئيسية المطله على

حوانيت فاخرة

الشارع ، مجموعة من الحوانيت الانيقة ، تبيع أنفس الاقمشة والملبوسات ، واللوازم الشخصية لارباب الغنى والحياة الاوروبية البازخة ، ولذلك قلما ترى من زبائنها احدا من غير الاجانب ، واذا غابت الشمس سطعت أنوار مصابيحها فى سقف الاقواس ومن جوفها ، بما يعيد الى ذاكرتك ايام سوق الترك الغابرة ، وما فى هذا من عجب

مكتب للطيران

فتجارها من تلامذة بنى جنسهم الذين كانوا فى العهد الايطالى بذاك السوق ، بل هم ابناؤهم غالبا ، وحتى ههنا لا تجد بينهم طرابلسيا تاجرا مثلهم لا أثنين ولا واحدا وفى ركن هذه العمارة الغربى ، مكتب عام لسفريات احدى الشركات الجوية العالمية ، ومعظم خطوطها ذهابا وايابا بين طرابلس وايطاليا فانت بوساطتها تقرأ فى مدينة طرابلس الجرائد اليومية التى تخرج بروما او نابولى ، فى نفس الوقت الذى يقرؤها فيه ابناء هاتين المدينتين ويمر بعد هذه العمارة الوارثة لمجد سوق الترك ، بفضل ما أوتى اصاحبها وأولادهم من العبقرية فى معرفة ينابيع الارباح المامونة من الشركاء الغرباء ، يمر

شارع حسونه باشا

الشارع بطريق يذهب الى الجنوب فيختلط بشارع ٢٤ ديسمبر ، ويقال له رسميا

شارع حسونة باشا القرمانلى(١) وقد تقدم لنا ذكره بمناسبة بناية البلدية القديمة ، وهنا يقع منزله العائلى ، وفيه يسكن نجله عميد البلدية الان ، وفى شارع حسونة باشا غربا ومن وراء العمارة الوارثة لسوق الترك تجد فيه ارقى محل للسينما الصيفى وصاحبه المالك لارضه وبنائه بما فيه هو الرجل الاسرائيلى صاحب العمارة الملتصقة بهذه السينماء ، ويتجه طريق حسونة باشا شمالا نحو البحر ، وعند تلاقيه بالضفة اليسرى من جادة ادريس الاول ، تجد الان بناية متوسطة الكبر مؤلفة من ثلاثة ادوار ، معظمها يقع غربا على شارع حسونة باشا ، وطرفها الجنوبى على جادة ادريس والشمالى جهة الحدائق البحرية ، وكانت منذ خمس عشرة سنة تعرف بمحلات (أوبيم) وأوبيم كانت شركة ذات فروع فى البلدان الايطالية الكبرى ، على نسق اروز دى باك أو عمر افندى المشهورة بمصر ولبنان تماما، وكان محلها ايام الطليان بطرابلس فى هذه البناية ، وكانت جميع طبقتها الارضية ، فراغ واحد لعشرات الابواب مطلة على تلك النواحى الثلاث ، فيها كل شئ ضرورى لحياة الاسر والافراد والاشياء المنزلية وفى ذلك الحين لكثرة من كان يشتغل باوبيم من الفتيات الايطاليات ، اطلقت عليها العجائز الطرابلسيات وابناء البلد الظرفاء (سوق البنات) ، وفى الحق أنهم لمعذورون فى هذه التسمية ، فقد كن لمحل أوبيم روحه النشطة ودعايته التجارية الموفقة ، كانت منهن اسراب لبيع الاوانى المنزلية وتحف الاطفال وأدوات التزين ، واسراب لبيع الملابس اناثا وذكورا ، على اختلاف الاسنان والانواع والازياء والاشكال ، واسراب تجد عندها المقبول الحسن من الاثاث المنزلى ، او الضرورى من اللوازم الكتابية والدراسية ، واسراب تبيعك قطع النجارة الصغيرة والاشياء الهندسية والبنائية ، مما تعين الافراد فى تصليحاتهم الخاصة ، واسراب ترشد العملاء الى جهات المطالب، واسراب تغلف المشتريات واخرى تحسب او تقبض اثمان الحاجيات ، وكانت تلك الفتيات بحكم ما جبل عليه من الحياء والادب والعفة والثقافة والتربية الحسنة، وترويجا لاعمال أوبيم الذى يكسبن منه رزقهن الحلال الشريف ، تراهن يلاطفن الجمهور باحترام الكهول والشيوخ ، ومجاملة النساء العجائز ومسايرة الجميع بالصدر الرحب والقول المهذب ، واذا أوبيم فى الوقت الحاضر بعد أن كان مزدهما بالاقدام صباح

اوبيم سابقا

سوق البنات

اوبيم حاضرا

---

(١) - اقتصرنا فى اسم (القرمانلى) فى هذا الكتاب على لفظه الشائع ، وفى غيره يكتب (القره مانلى) نسبة الى بلدة قره مان بالاناضول ، موطن اجداد هذه الاسرة التاريخية

مساء ، قد جزئ بنيانه وفراغ سوقه الى طائفة من المحلات التجارية ، من مراكز لشركات السفر او لالات تذيع كل خبر ، او حوانيت للملبوسات او لسلع اخرى من الخردوات ، ولقد كان محل ذاك المقهى الطرابلسى الانيق ، تجاه اوبيم الغربى ليس مفصولا عنه الا بحديقة عامة ، وهكذا ذهب مع الزمان السالف أوبيم وسوق البنات ، واليق ما كان للعرب فى المدينة من قهوات ، وبعد أوبيم سابقا يمر شارع ادريس بميدان فرعى فى وسطه حديقة لها احواض اربع وتحف بالميدان عمائر ضخام من جميع الاطراف ، وتجد فى صدر الميدان جنوبا ام الكنائس الكاثوليكية فى القطر الطرابلسى ، وهى من أبدع وافخم المبانى الكنائسية الجديدة ، ولها غربا برج للنواقيس شامخ ، حين تدق فى الاعياد مجتمعة ، تبعث فى الجو الحانا كنائسية لطيفة على الاذان ، مسموعة باجلال عند الطليان ، ويعتبر هؤلاء ان رئيس هذا المعبد العظيم (الكردنال) هو والدهم الروحى وزعيمهم الدينى ، وقلما يرى خارج مقره الكهنوتى فى سيارته الفخمة الا نادرا ، وشمالى برج النواقيس شويرع

اكبر كنيسة بطرابلس

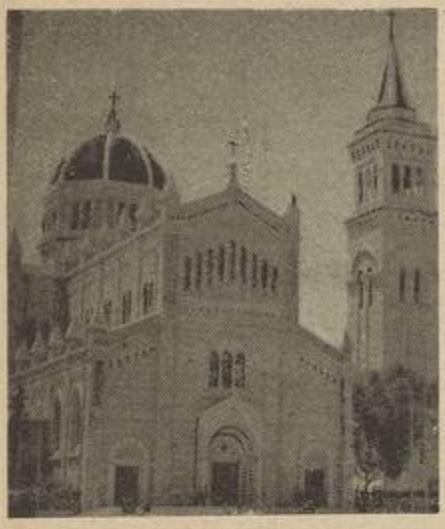

ام الكنائس الكاثوليكية بطرابلس

شارع هايتى وما به

ما بين ميدان الاحواض وشارع ٢٤ ديسمبر ، وحتى هذا الشويرع له صلة بحوادث البلاد الاخيرة ، فقد دعته تلك اللجنة (شارع هيتى) ، وصوت هذه الدويلة هو الذى رجح اقرار جمعية الامم للاستقلال الليبى ، وفى شارع هايتى شمالا تبصر بناية عالية الارتفاع من اربعة ادوار ، ولون بنائها من الاجر الاحمر القوى ، قيل أنها كانت زمن الاتراك مطحنة فنية واما فى العهد الايطالى فقد اصلحت واتخذت مقرا عاما للدرك (كرابينييرى) ، واستقر بها ايام الحلفاء فريق من الجند البريطانى وهى الان مدرسة تابعة للمعارف تدعى الكلية الفنية ، وفى ناحية الشمال الشرقى من الميدان نفسه ، يقابل شارع هايتى صنو له آخر يدعى شارع ٢١ نوفمبر ، وهو اليوم الذى اقرت فيه هيئة الامم استقلال البلاد ، وفى هذا الشارع تجد مجلس الامة الليبية ، او دار

شارع ٢١ نوفمبر

البرلمان الليبى

البرلمان الليبى ، وأصل بنائه مقام بمظهره الخارجى من أيام الاتراك ، ويتالف الان من دور واحد مستطيل ، تحتـه اقبية مرتفعة عن الارض قليلا ، وله اربعة ابواب يرقى اليها بسلالم قصيرة من الجانبين تتلاقى عند عتبات المداخل ، وأولها جنوبا مقابل للبلدية والثانى شمالا جهة ميدان الغزالة ، وأكبرها وهو الرسمى يقع غربا على شارع ٢١ نوفمبر ، والرابع من خلف البناء شرقا ولم يطرأ على هندسته التركية اى شئ هام ، سوى بعض من الاصلاحات الداخلية اجريت له ايام الطليان ، وكان طيلة العهد التركى والايطالى ومدة الاحتلال البريطانى ، مجتمعا خاصا بضباط هذه الدول الثلاث ، ثم اتخذ ناديا للجالية المالطية ، ولما جاء الاستقلال راق ولاة الامور مبناه الجميل ، لوقوعه منفردا عن غيره ، ووجود المنتزهات الرائعة امامه ، فاختاروه مكانا لمجلس الامة الليبية ، والنظام النيابى بطرابلس، ترجع نشاة اصوله الحديثة الى أيام الاتراك ، ففى سنة ١٢٥٨ هـ حين جاء الوالى أمين باشا ، جرى فى البلاد على سنة اسلافه ، من التدرج بها الى الحياة القدمية تبعا لنهضة العصر الحديث ، فاوجد فى البلاد هيئات استشارية يستمد منها المتصرفون والقائمقاميون، الرأى فى وضع الامور الحكومية أو عند تنفيذها ، ثم كون فى مدينة طرابلس مجلسا لشئون الولاية ، اعضاؤه من الاعيان الممثلين عن الاهالى بالتعيين او بانتخاب المتصرفيات ، وبمرور الايام تطور هذا المجلس العام بعد امين باشا ، الى ان تقارب اختصاصه(بالديوان الكبير) من نظام الحكم العثمانى بمصر قبل محمد على ، وصار يعرف فى طرابلس باسم (مجلس الادارة) ، وكان يتالف من ستة اعضاء ، منتخبين من سكان المتصرفيات، مضافا اليهم اربعة من موظفى الولاية الكبار ، وهم قاضى القضاة والمفتى والسكرتير العام (المكتوبجى) ورئيس مالية الولاية (الدفتر دار) ، وعلى الرغم من ان هذا المجلس اتخذ ليستنير به الولاة فى اجراءات اعمالهم وتصرفاتهم ، فقد كان لاقتراحات اعضائه وآرائهم وعلى الخصوص التى هى صادرة من ممثلى السكان ، التاثير البليغ فى كل شئ من النظم الحكومية للولاية داخلا وخارجا ، وبعد ان تكون فى العاصمة التركية ، الدستور العثمانى بزوال السلطان عبد الحميد ، وتكون فيها لمجموعة الولايات التركية مجلسا المبعوثان (البرلمان) والاعيان (الشيوخ) ، كان نصيب ولاية طرابلس من أعضاء المجلسين العدد النابه من كبرائها ، ومن هؤلاء مثلا المرحومين سليمان باشا البارونى عن الجبل الغربى ومصطفى بك بن قداره عن الجهة الشرقية ومحمود بك

لمحة تاريخية عنه

مجلس الادارة زمن الاتراك

مجلس المبعوثان العثمانى

ابن الحاج عن مدينة طرابلس وجامى بك عن فزان وغيرهم من مختلف البلدان والجهات الطرابلسية كثير، يضيق بنا المجال عن ذكرهم والالمام باسمائهم، وفى العهد الايطالى لم يكن للبلاد، اى مجلس وطنى منتخب يمثل اراءهم لدى الحكام العموميين بل كان الولاة عند اللزوم يستشيرون الاعيان المقربين اليهم فى بعض الامور، وفى أواخر الادارة البريطانية كون رئيسها الجنرال بلاكلى، هيئته استشارية اختير أعضاؤها من أهل البلاد بالتعيين

المجلس لادارى زمن البريطانين

وعرفت الهيئة باسم (المجلس الادارى)، واعضاء هذا المجلس العرب، هم الذين غالبا استلموا من البريطانيين مقاليد الحكم تمهيدا للاستقلال، ثم صار فريق منهم الان وزراءا او نظارا، وليس فى مجلس الامة الليبية الحاضر، اى عضو غير وطنى، ويتالف كما هو المالوف بالبلدان الاخرى من قسم للنواب المنتخبين وعددهم خمسة وخمسون ممثلا، عن الاقاليم الثلاث بنسبة عدد السكان فى كل منها، خمسة وثلاثون عن طرابلس وخمسة عشر عن برقة وخمسة عن فزان، ومحلهم فى جزء البناية الجنوبى، وقسم للشيوخ ومحله الطرف الشمالى، وهيئته من اربعة وعشرين عضوا، نصفهم منتخب، والنصف الاخر معين وقيل كلهم الان بالتعيين، ولكل اقليم من الثلاث (طرابلس برقة فزان) فى هذا المجلس، ثمانية اعضاء بالتساوى اى غير مشروط فيهم نفوس السكان

ملاحظات على البرلمان الليبى

والملاحظ على البرلمان الليبى بوجه عام، انه قرر للمملكة الليبية عاصمتين هما مدينتى طرابلس وبنغازى، وأنه انعقد لاول مرة فى الثانية، وفى دورته الحاضرة بالاولى، وأنه نشأ وهو خلو من أية كتلة حزبية معارضة، تؤثر على الوزارة من ناحيتى الاقالة والتعيين، وأنه يشتمل على لفيف من الاعضاء، يبدون آراء فى طيها اعتراضات خفية او علنية، ولكنهم مستقلون بحرية افكارهم، أو هم ممن لا ينتمون فى الوقت الحاضر الى حزب له وجود رسمى، وان بعض الاحزاب قاطعت الانتخابات بتاتا، وليس منهما فى هذا البرلمان نائب يمثل وجهة نظرها فى سياسة البلاد، وفى الميدان المبتدى

بناية البلدية الجديدة

من شارع ٢١ نوفمبر ترى فى طرفه الشرقى عمارة هائلة مترامية الاركان تحيط بها طرق فرعية من ثلاث نواح، جنوبا وشرقا وشمالا، انها مبنى البلدية الجديد، وواجهتها الرسمية تطل غربا على الميدان، وقد تم تشييدها فى أواخر العهد الايطالى، ولا نظير لاتساعها وكبرها وعظمتها فى مدينة طرابلس، وهى تبتلع فى جوفها ادارات البلدية كلها، وعميدها الان هو السيد طاهر القرمالى ابن المرحوم حسونة باشا القرمالى، وعدا ذلك فان هذه العمارة الهائلة تبتلع مصلحة البريد العامة باقسامها، ونظارة المواصلات

بمكاتبها ، ونظارة الاشغال بدواوينها ومقر كبير المتصرفين للمقاطعتين الغربيـــة وطرابلس ، وما يرتبط به من فروع للامن ومجالس ادارة وشئون اجتماعية ، وتحتضن مراكز الجمعيات الخيرية الحكومية ، وجميع اقسام المحاكم الاهلية ، واختصاص هذه القضائى ، بلوائح لهـا صلاحيات غير واسعة ، تنظر فى قضايا شعبية للوطنيين ، مما يتعلـق ببعض من الحقوق والجزاء ، ولها أمثال فى جميع البلدان الداخلية من عواصم القائمقاميات ، وقد أنشئت فى عهد الادارة البريطانية سنة ١٩٤٧م زمن الوالى بلاكلى ، والمدعـون فيهـا بالحـق العـام هـم الان مختـارون مـن رجـالات الشـرطـة الاكفاء ، الملميـن بـأنظمتهـا واوضاعهمـا القـانـونيـة ، ولا تنظـر فـى مخاصمـة اجنبى مع عربى الا برضاء الاجنبى ، ولا يقبل فيها عن المتخاصمين مهما كانوا اى محام او وكيل ، وقضاتها ملاحظ فى تعيينهم قبل كل شئ ، حسن السمعة والخبرة باحوال البلد التى هم فيها وبعاداتها الاقتصادية او الاجتماعية وما جرى به عرف سكانها ، ولنا رأى موجز عنها وعن غيرها من المحاكم الاخرى نشرناه فى جريدة طرابلس الغرب ، بتاريخ يوم الجمعة الثالث من أكتوبر سنة ١٩٥٢ وعدد (٢٨٠٨) بعنوان (فى خدمة العدالة) ، وخلاصته مطالبة ولاة الامور بالاصلاح القضائى الشامل ، بما يناسب تطور الزمن وروح الدين الاسلامى وتقاليد البلاد ، وامثل نظام قضائى على رأينا ، ما كان ذا اجراءات قصيرة الاجال ، فقد عرضت لنا قضية حقوقية ، كان ينبغى ان تنتهى فـى شهرين ، لتوفر جميع ادلتها واشخاصها ، ولكنها بسبب الاجراءات القضائية المعقدة ، استمـر البت فيها ابتدائيا واستئنافيا نحو اربع سنوات ، فلـو فرض ان أحد الشهود قد مات فى اثناء هذه المدة ، او سافر آخر لمكان بعيد ، او تلف شئ أو فقد مما يتوقـف عليهمـا اثبات حق أو نفيه ، لكانت النتيجة والحالة هذه ، وبالا على أحد الطرفيـــن المتخاصمين ، لغيبة شهوده او لضياع مستنداته ، والذى نفهمه ان المقصود من القوانين القضائية هو تقريب العدالة لروادها من أيسر طريق وباسرع بت فى القضايا ، وليس بعد ميدان البلدية أو الكنيسة فى شارع ادريس الاول ما يجدر بنا ذكـره سوى امريـــن أولهمـا انه يوجد خلـف الكنيسة الادارة العامة لمتاحف القطر الطرابلسى ، ثم اكبـر مطبعـة ايطالية بعد مطبعة ماجى ، وهى لا تشتغل الا بالنشريات الاوروبية ، اوبايصالات عربية ونحوها ، ويستمر الشارع جنوبا مارا من الضفة اليمنى باكبر مستودع (كراج) للسيارات فى مدينة طرابلس وفيه واجهات كبيرة تعرض احدث أنواعها الجديدة ، ثـم

الحاكم الاهلية

الحـاجـة للاصلاح القـضـائى

بعـد ميـدان الكنيسة

يمر بقوس عال جدا فيه أعظم شارع انيق يخترق محلة واحد وثمانين كلها مقاطعا لشارع جامع المغاربة وآخره متصل بشارع مزران ، وبعد ذلك بخطوات عشر ينتهى الشارع الادريسى عند باب ذلك القصر ذى الجمال المنيف ، الذى كان مقرا لولاة الطليان بليبيا ، وقد ذاع صيته فى أواخر ايامهم باسم (قصر بالبو) ، لانه هو الذى أكمل زينته الرائعة وجعل حياته فيه بازخة كحياة الامراء العظام ، وقد ابتدئ فى تشييده حوالى سنة ١٩٢٣م ، تحيط به مساحة من الارض مقدرة بخمس أو ست هكتارات ، كانت فى الاصل ثلاثة بساتين فيحاء لاشخاص وطنيين من أعيان المدينة ، وهم الطهار والزقار والسودانى وباش آغا ، والقصر بوصف عام متكون من دورين فخمين ، الواطئ منهما له باسفله اقبية غائصة فى جوف الارض ، ولها على سطحها جدران مرتفعة قليلا ، بها نوافذ وكوات صغيرة لتنير داخل الاقبية ، وكان هذا الجزء السفلى معدا لاماكن الطهى ، وتجهيز الاطعام والولائم ، ومهمات التنظيف ، ومجتمعات الخدم ، ومكاتب تنسيق اعمالهم ، ويكاد جزء الاقبية بهندسةبنائه الصحى وتقسيم حجراته ، ان يكون وحده منزلا رائقا ، ويمتاز الدور الاول بان وسطه من الداخل فراغ الى الجو مسقوف بقبة كبيرة ، وله من خارجه شمالا وجنوبا عدة ابواب كبيرة ، امامها فسحتان فيها اقواس رخامية على الطراز الاندلسى ، يصل اليهما الصاعد بسلم رخامى عرضه على قدر استطالة الفسحتين ، ودراجتهواطئة يتنصفها فى السلمين ، اثنتان عريضتان لاستراحة الصاعد ، وواجهة القصر الشمالية وما يتعلق بها من الوصف الاخر ، هى المدخل الرسمى المتصل بالباب العام المقابل لشارع ادريس ، وواجهة القصر الجنوبية وما يتصل بها من الوصف المماثل للاول فانها تقع خلف القصر ، وتطل على برك رخامية فائقة الحسن رائعة المنظر ، وهى فى مجموعها بهيئة صليب ، وكانت هذه الناحية الخلفية تستعمل للاحتفالات ، والمآدب الرسمية الكبرى ، ومن أبرز اوصاف الدور الثانى انه يرقى اليه من باب شرقى بسلم خشبى فاخر ثمين ، وبجانب هذا الباب زاوية بها مصعد كهربائى خاص ، فتجد به على فراغ الدور الواطئ دربزينا من الحجارة النادرة ، أو أنها معمولة من تركيبات صناعية خاصة ، والمماشى الدائرة بالدربزين ، تؤدى الى ابواب هذا الدور كله ، وفى هذا الدور من الازقة والردهات العدد الكثير ، وجميع حجراته فيحاء عظيمة النوافذ ، وأرضها مرصوفة بقطع الخشب السميك القوى ، منعا للرطوبة والنداوة ، وأكبر حجراته هى المطلة على الجانب الخلفى من القصر ، وفيها مدفئة

قصر الخلد (بالبو سابقا)

اقبيته

دوره الارضى

دوره العلوى

حجراته

مبنية على اشكال المواقد المعروفة فى قصور اوروبا التقليدية . وكانت متخذة للجلوس الرسمى الحافل ، ومن تحتها فى الدور الاول مثلها تماما ، وبهذا الدور الفوقى شرفتان على تانيك الفسحتين وأجملهما المطلة نحو الشمال ، وفيها اقواس اندلسية كالسبوق ذكرها ، وفى أعلا الزوايا من اركان القصر الاربعة ، اقيم فوق سقف كل زاوية من كل ركن ، قباب صغيرة تحف بتلك القبة الكبيرة وهى تلوح فى جملتها من بعيد كانها شمس تدور من حولها الكواكب السيارة ، اما خشب الابواب فى هذا القصر العظيم وزخرفة حفرها ، وتزين باطن سقفه وكثرة تجهيزاته الالية ، وأوضاع مصابيحه الكهربائية وأماكن

احوال تجهيزية

قصر الخلد من الواجهة الرسمية المقابلة لشارع ادريس الاول

الاستحمام والاستجمام ، وفخامة تشييده من جوفه وظاهره ، فحدث ما شئت عن ابهة احواله واطنب ، وبما اننا لم نر مفروشاته لا سابقا ولا حاضرا فلم نذكر عنها شيئا وقد غرست مساحة ارضه العامة ، بالشجر الباسق والخمائل الظليلة ، واحواض الازهار الباسمة ، وأينما تفسحت فى جنباتها لا ترى الا ملاعب رياضية وأرائك استراحية ، واكواخا بين العشب والنبات ، ومسارب للتنزه وطرقات ، وخراطيم الماء تسقى المنبوت والريحان ، وطيورا مغردة بين الاغنان ، وهذه الروضة الانف ، محجوزة كلها بسور حجرى مرتفع ، وطرفها المواجه للشمال ، كله ذو جدار متوسط بديع مشيد عليه قوائم

حدائقه وأوصافها

سوره الشمالى وجناح النقليات

حجرية فخمة وبين كل قائمة وأخرى شبابيك من حديد ، مصنوعة باجمل ما عرف من زخارف نوعها ، ومن وراء السور الغربى للقصر ، عند شارع جامع المغاربة المنتهى بخط تاجوراء ، تقع دائرة الحرس وقسم النقليات والسيارات الخاصة ، وفى زمن الاحتلال البريطانى ، جعل القصر دار عدالة للمحاكم المدنية والعسكرية ، وحين بت فى مصير ليبيا اشغلت ركنه الغربى الهيئة التشريعية التى أنيط بها ان تضع الاسس لدستور البلاد ، ثم أنتقلت الهيئة الى مدرسة الصنائع فاتمت عملها فيها ، ورجعت المحاكم المدينة الى مكانها الاسبق فى شارع ادريس ، بعد أن أكمل ترميمه واصلاحه من اضرار الغارات الجوية ، وباعلان الاستقلال جدد تحسين القصر بالتلبين والطلاء ، وببعض من الاجراءات الاصلاحية المناسبة لما سيكون له من شان عظيم ، وجهز بافخر الاثاث والمفروشات النادرة ، ثم أطلق عليه رسميا قصر الخلد ، واتخذ بلاطا لملك ليبيا المعظم ، وبهذا تكون جادة ادريس الاول ، من الزمان الغابر الى الوقت الحاضر ، ام الشوارع جميعها فى مدينة طرابلس كلها ، لما اشتملت عليه هذه الجادة ، من ذكريات تاريخية زاهرة ، واماكن للعبادة مقدسة ، ومتنديات عظيمة للوجهاء ، ودور للحكومة والقضاء . وحوادث اقتصادية نافعة ، ومناسبات اجتماعية لائقة ، واذا تحولنا منها الى الجولة الفاصلة فى الشارع الباقى من تلك الستة ، وكان قبل الحرب الثانية اسمه شارع (الكونت فولبى) ، وهو يعرف عند أبناء البلد بشارع البحر وصار يدعى الان رسميا (شارع الاستقلال) تجده محاذيا للبحر من اطراف الميدان الرئيسى الشرقى الى سيدى الشعاب ، وقبيل ضريح هذا الولى ، يستمر فى اتجاهه مخترقا زاوية الدهمانى الى بلدة سوق الجمعة المتباعدة عن المدينة بسبعة كيلومترات سيرا على الاقدام ، وفى أول حافته اليسرى عند مبدئه ، تجد عموديين تذكاريين قد ارتفعا الى الجو ، بما يبلغ طولهما عشرة أمتار تقريبا ، نصبهما الطليان امام المرسى الخاص الجانب للقلعة ، وفوق العمود الشمالى تمثال لذئبة ترضع جراءها ، رمزا لتاسيس مدينة روما سنة ٧٥٣ قبل الميلاد ، ولها قصة شائعة فى تاريخ الرومان ، وفوق العمود الجنوبى تمثال لسفينة من طراز العصور القديمة ، متجهة بمقدمتها نحو البحر وهى ناشرة لقلوعها ، وعلى امتداد هذا الشارع عند حافته المتصلة بحوض الميناء ، مقام حاجز أى (كرنيش) بديع ، معمول بالاسمنت وممزوجاته الحجرية ، وتتوسط طوله دعائم كبار ، ركز ما بين كل ثنتين منها فى بناء الكورنيش ، قضبان حديدية متشابكة كالنوافذ ، وفى أعلى كل دعامة عويميد حديدى فى

حياته بعد الحرب الثانية

حاضره العظيم

شارع الاستقلال (البحر سابقا)

العمودان التذكاريان

صورة للقلعة من جهة البحر، كما وصفناها فى صفحة (١٠٣) وترى الى جانب القلعة العموديين ، التذكاريين ، وبابها الرسمى بسلمه ، وفى اول السلم جهة البحر قاعدة التمثال فراجع ما كتبناه عنها ايضا فى صفحة (١٠٥)

اعلاه شطران يحملان مصباحين كهربائيين وتجد فى كافة الاعمدة المنصوبة فى هذا الشارع النضر ، مئات من المصابيح المماثلة لحجم الاولى ، وعشرات اكبر منها واسطع ، وكانت هذه وتلك فى سابق ايامها ، قبيل الحرب العالمية الثانية ، حين تضاء كلها للمناسبات المفرحة ، يخيل اليك أنها أحالت الظلام نهارا أو جعلت السماء بدورا ، وكان من اعجب رواء لياليها الغابرة هى حين زار فيها موسوليني مدينة طرابلس وعلى جانب الطريق الخاص بوسائل النقل ، غرس نخيل للزينة قصير ، واحواض للازهار والنبت الغزير ، كما وضع باطراف الممرات جنوبا ، مقاعد خشبية لطيفة ، لمن يريد الاستراحة ، او تنشق النسيم العليل ، وباول ضفة هذا الشارع اليمنى ، تجد بناء اكبيرا يدعونه (الميراماري) ، وهو افخم وأرحب مسرح للتمثيل فى المدينة ، قد شيد لهذا الغرض منذ عشرين سنة تقريبا ، ومدخله العمومى جهة الجنوب ، على طريق يوصل شارع البحر باخر غربى الميراماري اسمه شارع الجنرال كاليفا أول قائد عام لجيوش الاحتلال ، ويبتدئ هذا من وسط الميدان الشرقى الى عمارة البلدية الجديدة المسبوق لك وصفها ، وداخل الميراماري بنى على هيئة دائرة ناقصة الوتر ، وبطرفها الشمالى عند انتقاص الدائرة واجهة المسرح عالية فسيحة ، وعدا كراسى وسطه البالغة نحو الالف ، فيه للمتفرجين ثلاثة ادوار ، مقسم كل منها الى مقصورات بابواب خاصة ، وكانت تاتيه من ايطاليا بتشجيع حكامها من هنا وهناك ، ارقى وأعظم الفرق التمثيلية والموسيقية ، وظفر الميراماري أيضا . بتمثيل اشهر الفرق المصرية فى ذلك الحين ، وفى مقدمتها فرق يوسف بك وهبى ، والمرحومتين السيدة منيرة المهدية ، وبابا عز الدين ، وبديعة مصابنى ، اذ كانت هذه الفرق فى ذهابها الى تونس والمغرب لنشر فنها الثقافى فى تلك الربوع ، او عند رجوعها الى وادى النيل ، تستدعى للميراماري بتعهد مالى ، من بعض الشبان الطرابلسيين وأعيانهم ، او تمر هى بمدينة طرابلس فتحى فيها ليلتين او ثلاثا ترفيها لاخوانها العرب ، وقد صادف اكثرها وقتئذ اقبالا مدهشا ، واعجب بتمثيلها حتى النظارة الايطاليون ، واما زمن الاتراك فقد كان أشهر المسارح العربية موجودا فى المدينة القديمة فى امكنة من أحيائها مختلفة غير معدة اصلا لهذا الغرض، ولعله من أشهرها كان فندق (الدروز) وهو (البوليتياما) الكائن بسوق الترك وهذه التسمية الاجنبية عرف بها فيما بعد ، ولا يزال كثير من الشيوخ الوطنيين وبعض الكهول ، يذكرون انهم من اروع ما رأوه فى هذه المسارح

الميراماري

الفرق الايطالية

الفرق المصرية

المسارح المحلية

المحلية من المشاهدات الفنية الاخذة للالباب ، تلك الليالى الفذة التى ظهر فيها على خشبة بعضها الشيخ سلامة الحجازى ، وتمثيله فيها رواية صلاح الدين الايوبى ، اذ كان رحمه الله قد جاء بفرقته الى مدينة طرابلس ، كما ذهب بها الى سوريا وفلسطين ولبنان ، وأخيرا تحول الميرامارى الان الى دار للسينماء خاص بالجند البريطانى والاميريكى وعائلاتهم ، وقد كان فى سابق عهده ملحقا به بهو جميل اتخذ فى ذلك الزمن منتدى لفريق من ارباب الوجاهة ، وتحول(البوليتياما)الان ايضا الى دار للسينماء خاص بالافلام العربية المصرية ، ومما يؤسف له لم تنشأ من قبل ولا يوجد الان فى مدينة طرابلس ، اى فرقة محترفة للتمثيل العربى بالمعنى الفنى الصحيح ولم نشهد فى مدينة تونس تمثيلا عربيا احترافيا ، ولكنها مشهورة بفرقها الغنائية والموسيقية المحترفة وجاء منها الى مدينة طرابلس سابقا وأخيرا طائفة من فرقها الغنائية الموسيقية وحالفها ههنا الاقبال والتقدير ، والامر الاول وهو عدم نشوئها سابقا ، راجع الى احوال البلاد السياسية والاجتماعية الماضية ، والامر الثانى وهو عدم وجودها الان ، (وتشترك فى هذا الامر اغلب البلدان العربية ، ما عدا مصر أو من ناحية تضاءل نجاحها) ، راجع الى مزاحمة السينماء واقبال الناس على مشاهدتها دون التمثيل ، نظرا لما فى السينما من مبهجات المناظر ومغريات السمع والعرض ، وما يقوم به لفيف من الشبان الطرابلسيين فى الوقت الحاضر ، من الروايات التمثيلية المؤلفة محليا أو المقتبسة من مصادر عربية أو أوروبية ، هو عرض غير منتظم لانه ياتى المرة بعد المرة لاسباب مالية واجتماعية ، وينقصه الاستعداد الفنى فى كل شئ ، فضلا عن خلوه من العنصر النسائى ، الذى هو من الزم مقتضيات التمثيل الحديث ، ولذلك زهد الناس فى الاقبال على هذا النوع المرتجل او المفاجا ، ومنى اصحابه رغم مجهوداتهم واخلاصهم أو من عدم التشجيع الكافى ، بالفشل بعد الفشل ، ولا غرو فالتمثيل هو فى الحقيقة مدرسة للشيوخ والكهول والعلماء والمثقفين ، وتذكرة لما سلف من احوال الغابرين ، وواجد فيه الناس صور حياتهم الحاضرة عيانا ، وكل ما خالف منه اذواق هؤلاء جميعا ، يحسبونه بالاصغر منهم سنا اليق ، وبمن دونهم افكارا وتجارب أولى ، او يعتبرونه مظهرا من التمرينات ، الادبية التى يتمرن بها طلاب المدارس على اساليب الخطابة والانشاء ، باسلوب وفصول الروايات التمثيلية ، وكان نشاط التمثيل فى مدينة طرابلس واحواله ، فيما بين سنتى ١٩٤٤ و١٩٤٩م ، خير من حالته الان ، اذ رعاه وقتئذ فى كل من المدارس الابتدائية

حاضر الميرامارى

التمثيل فى طرابلس وتونس

اسباب تاخره

لما زهد الناس فيه ؟

انبعاثه ثم فتوره

ومدرسة طرابلس الثانوية ونادى الاتحاد والنادى الادبى ، طائفة من الاساتذة الفضلاء وفريق من الشباب المثقف به علميا واجتماعيا الى حد ما ، وبعد أن دربوا فى اماكنهم افردا موهوبين ، وجودوا تمثيل عدة روايات بقدر استطاعتهم الادبية والفنية ، عرضوا تمثيلها للملأ فى احد المسارح الكبرى بالتتابع ، فكانت نتائج بعضها اقبالا واعجابا وايرادا ، ادهش مخرجيها والمتفرجين عليها ، وتوجهت بها افكار الجمهور ، الى الفوارق الثقافية بين مشاهد التمثيل القومى ومناظر العرض السينمائى ، ثم فتر ذلك النشاط لظروف عامة وخاصة ، ويلى مسرح الميرامارى قصر فائق الجمال اندلسى الطراز ، يتالف من دورين باسفلهما قباء ارضى ، وتحف بالقصر حديقة لها سور حجرى واطئ ، مركب عليه حاجز من القضبان الحديدية كأن رؤسها حراب مسنونة ، هذا القصر هو بنك ايطاليا الحكومى سابقا ، وبنك بركليز البريطانى حاضرا ، ويقع بابه الرسمى غربا على شارع الجنرال كانيفا ، وداخله يتحدث بزخارف سقفه وحجراته ونوافذه وابوابه ومماشيه ، عما اختص به البناء العربى من سحر وابداع ، ياسران الاعين ويثيران فى النفس الحنين الى ذلك المجد الافل ، ومن غرائب الحوادث التى وقعت فى هذا القصر ايام الحرب العالمية الثانية ، ان احد مديريه السابقين ، بنى له وللموظفين فى حديقته مخابئ عميقة تحت الارض ، ليلجاؤا اليها عند الغارات الجوية ، ففى احدى الليالى اتفق ان قذفت الاساطيل الانجليزية بوابل من قنابلها ، تجهيزات الالمان والطليان الحربية فى الميناء ، وكان ليلتها ذاك المدير بالاجل المقدر له نائما مع فريق من موظفيه فى القسم الاعلى من القصر ، فتسارعوا بالنزول الى المخبا الجنوبى ، ولكن الحذر لا يغنى عن القدر ، فتطايرت من قاذف الاسطول شظية هائلة ، ودخلت الى جوف المخبأ الذى فيه المدير وقضت على حياته ، مع أن قصر البنك وما حوله من المبانى لم يصب بشئ من الاسطول ولا من غيره ، وهكذا صدق فيه قول المثل (قد يؤتى الحذر من مكمنه) ، ولاسباب دينية لم تنشأ ايام الاتراك فى مدينة طرابلس بنوك باوصافها واعمالها المعروفة لدينا الان ، غير أنه فى ولاية المصلح الكبير على رضا باشا الجزائرى ، انشا للبلاد صناديق للتوفير والتسليف الزراعى ، وكان مركزها العام موجودا فى مدينة طرابلس ، وتوظف للقيام باعمالها لفيف من ابناء البلاد المثقف ، وبقيت هذه مستمرة على تادية رسالتها الاقتصادية الى أن جاء الطليان ، وبعد ان يغادر الشارع البحرى بناية قصر البنك يمر بعمارة فاخرة ، تتقدمها حديقة باشجار وارفة داخل سور ،

القصر المالى

اغرب حوادثه القدرية

صناديق الاقتصاد التركية

الفندق الكبير

وهى بناية الفندق الكبير أو (الغراند أوتيل) ، وهو قبل ان ينافسه المهارى وودان ، كان مقاما للمسافرين العظام ، ثم صار ايام الطليان كلها فى الدرجة الثانية ، ولما جاءت فترة الاستقلال، اتخذ مقرا لمندوب الامم المتحدة بليبيا ، وفيه كان يعقد مجلس ليبيا الاستشارى ، المساعد للمندوب فى تنظيم المقدمات الضرورية للاستقلال ، ولما انجز المندوب ومجالسه الاغراض السياسية التى أنيطت بهم ، نقلت المكاتب الدائمة لهيئة الامم الى الجناح الشرقى الاعلى من بناية البلدية الجديدة ، واعلنت البلدية التى تملكه عن تاجيره ليعيد سيرته الاولى ، قصرا وجيها للمسافرين الكبار ، وفى الركن الغربى

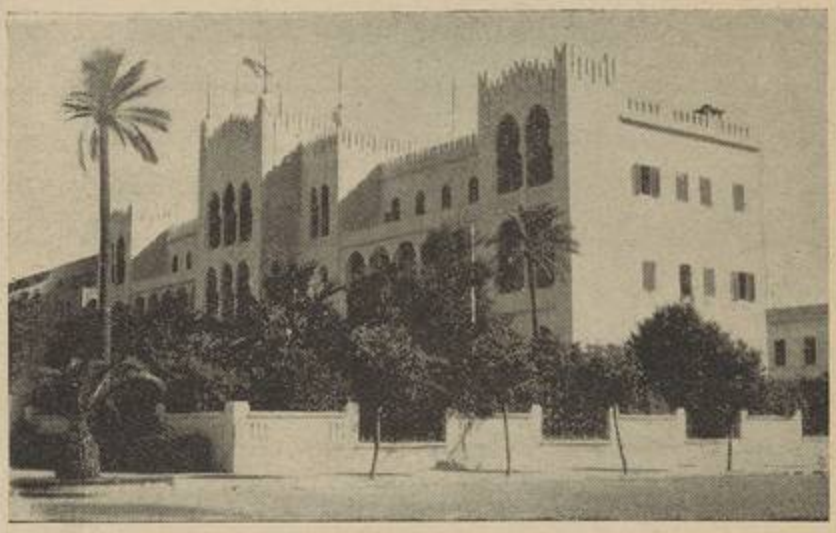

الفندق الكبير (قرند اوتيل سابقا)

الجنوبى من الفندق الكبير ، الذى رسا عطاء استئجاره على اشخاص وطنيين يقع على شارع كانيفا ، او تيل آخر جميل ولكنه اصغر حجما ويتالف مثل سابقه من ثلاث طبقات ، وكان ابناء الاقليم الشرقى الوجهاء ، لا يطيب لهم النزول الا فيه ، اذ هو فضلا عن نظافته واستقلال معظم حجارته بسرير واحد منفرد ، يقع فى صلب المدينة الحديثة وعلى بضع خطوات من شارع ادريس الاول ، كما انه كاكثر المبانى الحديثة العالية فى المدينة مجهز بمصعد كهربائى ، وقد آن للاقتصاديين الطرابلسيين فى المدينة وغيرها ان ينتبهوا الى ماتدره الفنادق الكبيرة والمتوسطة من الارح الجمة ،

الفنادق من الناحية الاقتصادية

وخصوصا فى هذا الجيل الذى تزاحمت فيه العواصم باقدام الوافدين عليها من كل مكان ، ودور المسافرين فى الشرق الاسلامى ، عرفت باسم الفنادق أو الخانات من اقدم السنين الى الوقت الحاضر ، وكانت أيام الاسفار البرية الطويلة ، معدة لنزول الغرباء هم ورواحلهم وبضائعهم ، فيستاجر الاشخاص او الجماعة غرفا لمدة معينة ولما يريدون السفر يتركونها ، ولا يزال فى مدينة طرابلس القديمة والحديثة عشرات من الفنادق ، بنفس أحوالها واغراضها الماضية فى أكثر عواصم المدن المغربية والمشرقية ، وذلك كفنادق اسواق الترك والمشير والحلقة ومحلة الفنيدقة وشارع عمرو ومزران وباب البحر ، غير ان أكثرها بمرور السنين وانقطاع المسافرين البريين بين المشرق والمغرب وبين السودان وطرابلس ، قد زالت اهميتها الاولى باعتبارها محل اقامة ومبيت للناس الغرباء ، ولم يبق منها متصفا غالبا باحوالها واغراضها الماضية ، الا فندقان فى شارعى عمرو ومزران ، وآخران فى المدينة القديمة ، والباقى منها تحول الى اماكن لعمل الانوال او لبعض الحرف الصناعية ، او مستودعات لخزن البضائع والاتجار بها ، وقبيل الحرب العالمية الثانية ، كان منها ثلاثة فنادق ، اتخذت بعض حجراتها وغرفها من اليق المجتمعات الفاضلة فى المدينة ، وأولها هو الكائن الان امام جامع الناقة شرقا ، وكان يملك اكثره المرحوم السيد محمد بك آل الفقيه حسن ، وقد توفى هذا السيد اثناء الحرب فى قرية المعمورة شمالى جنزور ، متباعدا باسرته العظيمة عن الغارات وضجيج الحرب ، ودفن بمقبرة (سيدى منيذر) ، وكان مكتبه فى هذا الفندق زاخرا بوفود العلماء والادباء والاعيان ، من الضحى الى الظهر ثم من قبيل العصر الى المغرب وكنت لا تسمع من مساجلاتهم فيه غير بحوث علمية هامة ، وحوادث تاريخية محلية نادرة ، ونوادر ادبية من وقائهم او مقروءاتهم فذة ، وكان السيد محمد بك الفقيه حسن هو عميد المتساجلين علما وفضلا وغزارة اطلاع ، ولا غرو فقد كان يملك مكتبة ومراجع ما برحت يستقى منها الباحثون والعلماء والادباء للان ، وقد تجول هو فى حياته بامهات العواصم الاوروبية من استانبول الى لندن ، تجول الاثرياء العلماء ، والاكابر الشرفاء ، وكان المجتمع الثانى فى فندق يقع امام الجامع الذى ذكرناه فى أول شارع عمروبن العاص ، واغلب انعقاده كان مساءا بعيد صلاة العشاء ، وعميده هو شاب من وجهاء المدينة وأدبائها ، وكان ايضا من اليق المجتمعات الثقافية الليلية ، ويسود فيه عنصر الشباب الاديب عن الكهول والشيوخ ، وكان الفندق الثالث بمحلة الفنيدقة ، وقد استاجر افراد طائفة من غرفه

الفنادق الشرقية

امثالها بطرابلس

زوال أهميتها

مجتمعاتها الفاضلة

المجتمع الحسنى

مجتمعان آخران

العليا وبعض من حجراته الارضية، اما كن للتدريس الخصوصى والتعلم فى أوقات الفراغ، ومنها ما اتخذ بمثابة معهد لتعليم الموسيقى أو الاستماع اليها من حذاقها الهواة بها، ومنذ أيام الاتراك الى ما بعد الحرب العالمية الثانية، لم يكن فى القطر الطرابلسى اى فندق على النظام الحديث، يديره شخص عربى من أبناء البلاد، وقد نفرهم وقتئذ من مزاولة اعمالها، ما كانوا يعتقدون او يرون او يسمعون فيها، من بعض الاحوال المخالفة للتقاليد الاسلامية، او أن ذلك لم يسبق ان جرى به العرف فى اعمالهم الاقتصادية، ولهذه الاسباب انفسح مجال مزاولتها امام غيرهم بلا مزاحم، فكانت الفنادق الحديثة فى شوارع عمر المختار وعمرو بن العاص ومزران، على الرغم من أن معظم نزلائها من اعيان وافاضل الليبيين، وفى صميم المدينة ومزدحمة بالمسافرين دائما، لم يكن فيها لاى طرابلسى سهم لا فى رأس مالها ولا فى ارباحها، ولكنهم اخيرا حين عرفوا الشئ الكثير عن اعمال الفنادق الحديثة، وعرفوا جوانبها المباحة شرعا وعرفا، ثابوا الى رشدهم قبل ضياع الفرصة، فرأينا اولئك الاخوة الاثرياء يستاجرون فندق المهارى العظيم ثم الفندق الكبير، وليس ببعيد ان واحدا من الفنادق الاخرى الذى تملكه البلدية فى احد الشوارع الهامة سيستأجره فى المستقبل اشخاص طرابلسيون، وافتتح بعضهم فى المدينة القديمة فندقين صغيرين، على قدر استعدادهم المالى، ولكن موقعهما يجعلها بتوسطى الحال الريفيين اليق، اذ ليس جميع الناس فى حياتهم الاجتماعية متساوون فى الاحوال المعيشة، ومن أمام الفندق الكبير يستمر الشارع البحرى على استقامته وعن يمينه تلك الحدائق التنزهية الموصوفة بمناسبة المنظر الجميل، وعن يساره حوض الميناء الفسيح، يستمر الى أن يتلاقى فى وسطه بسبع نخلات مثمرة مغروسة بشكل دائرة، تحتضن بركة ماء فيها تمثالان متماسكان، لمخلوقين كاملى النمو، وهما غزالة واقفة تعانقها امرأة جالسة ممددة الرجلين، وليس عليها شئ من الثياب، وللبركة ثقوب تنفر الماء من فوق هذا التمثال المزدوج، والناس العرب فى تفسير الرمز المقصود بهذا الوضع الغريب مختلفون، وقد أشتهرت هذه البقعة باسم التمثال الموصوف فقيل عنها ميدان الغزالة، ومن ميدان الغزالة يمر الشارع يسارا باخر الطرف الشمالى من حدائق البحر وفى هذه الناحية تمثال آخر لواحد من القادة الايطاليين، ويمر يمينا بنظارة المعارف الطرابلسية، وكانت فى السنة الماضية تشغل القسم الارضى، من مدرسة طرابلس الثانوية بشارع مزران، وأما مقرها الحالى الفخم، فقد كان معروفا ايام الطليان باسم (كازا

الفنادق الحديثة بطرابلس

التوجه لاعمالها

تمثال الغزالة

نظارة المعارف

ليتوريا) ، أحدى المؤسسات الاجتماعية لشباب الفاشستى سابقا ، ويخطا من يظن ان التطر الطرابلسى ايام الاتراك ، كان جاهلا لنظم التعليم الحديث ، بل من يقل هذا أو يعتقده ، فهو أما جاهل لاحوال البلاد فى ذلك العهد ، او غرضه الحط من سمعتها لمآرب مقصودة ، ففى سنة ١٢٧٤ هـ اى قبل مجئ الطليان اليها بسبعة واربعين عاما ، افتتح فيها الوالى العظيم عزت باشا مدارس ابتدائية للذكور ، فى كل من مدينة طرابلس ، وعواصم المتصرفيات وبعض القائمقاميات ، وكان القصد من انشائها وقتئذ

مبدأ التعليم الابتدائى

احد الجوامع بمدرسته الدينية القائمين على الاحباس الخيرية الطرابلسية

ان تعوض مسرعة البلاد عما فاتها من اسباب النهوض الحديث ، وحرص خلفاء عزت على غرسه الثقافى الميمون فشملوها بالرعاية الصادقة الى أن جاءت ولاية رجب باشا سنة ١٩٠٦ م ، فزاد فى عددها وترقيتها ، ولما رأى ان البلاد صارت فى حاجة الى تحصيل أعلى ، افتتح لها فى مدينة طرابلس معهدا ثانويا باسم المدرسة السلطانية (سلطانى مكتبى) وكان محله بالطريق الكائن بين شارع مزران وعمرو بن العاص الموجودة فيه الزاوية السعدية ، ثم نقلت الى شارع الشط بناحية سيدى الشعاب ، وتكونت فى الجناح الشمالى الشرقى من جامع أحمد باشا مدرسة للمعلمين ، ومدرسة للاناث فى مبنى النادى الادبى المتحدث عنه بموضوع مدرسة الصنائع ، ومن قبل ولاية رجب انشا الوالى راسم باشا

مبدأ التعليم الثانوى

سنة ١٨٨١ م مدرسة حربية فى محلة باب البحر ، ولا تزال موجودة هنالك بطراز بنائها الاول ، وفى سنة ١٨٩٥ م اتم الوالى نامق باشا تشييد مدرسة الفنون والصنائع ، بوضعها الهندسى الحاضر وتقسيماته ، وكان تدريس جميع المعارف الحديثة باللغة التركية ،

المدارس الدينية بطرابلس

والى جانب هذه المدارس التركية ، قامت المعاهد الدينية فى انحاء القطر الطرابلسى كمدرسة عثمان باشا وكلية احمد باشا بطرابلس ، وزاوية عربى بجنزور وابن شعيب فى الزاوية الغربية ، وبوراوى بتاجوراء والدوكالى بامسلاتة ، وسيدى عبد السلام بزيلتن ، وزاوية المحجوب والزروق بمصراتة ، وزاويتى السنى وطبقة بمزده ، قامت هى وغيرها من امثالها ، فى زواره وغريان وجبل نفوسة ، وترهونة وبنى وليد تساير

النهضة الثقافية للبلاد

داعى اليقظة التى جاءتها من مصر عن جمال الدين الافغانى والشيخ محمد عبده ، وأصابها من تلك المدارس الجديدة رذاذ من الافكار الاوروبية ، التى كان ينشرها مثقفى الترك ، فنشطت هى أيضا بتدريس علوم الدين واللغة باساليب فى طيها توجيه نحو النهوض الاسلامى ، حتى زخرت بالطلاب والعلماء المدرسين ، ووجدت فى احباس المواطنين الخيرين ، ومن تشجيع الولاة والاعيان كل فضل واحسان ، وفى مقدمة الاحتلال الايطالى فتر نشاط النهضة التعليمية ، بسبب ما وقع به فى البلاد من الحوادث الحربية والسياسية ، ثم اخذ التعاشه يرجع سيرته الاولى رويدا رويدا ، فقد أنشئت

المدارس الايطالية للعرب

فى هذا العهد للعرب مدارس ابتدائية جديدة ، وشملت نواحى البلاد برمتها وكانت على أحسن طراز من المبانى والنظم التربوية ، وكانت مدة التعلم فيها خمس سنوات ، وكما فعل الاتراك من قبل جعلت ادارتها للايطاليين وتدريس مبادئ العلوم العصرية بلغتهم ، واختص فيها المعلمون العرب بتدريس الاوليات من اصول لغتهم ودينهم ، ومع ملاحظة انه من غير المعقول عند الانام كلهم ، ان تكون ميول الاجنبى عن

كانت جسرا للتعليم الحاضر

البلاد ، هى نفس الميول التى يشعر بها اهلها نحو لغتهم وامانيهم ، نقولها كلمة انصاف تاريخى ، ان هذه المدارس (العربية الايطالية) ، على الرغم من كثرة مثالبها ، فقد كانت هى الجسر الثقافى الذى اجتاز عليه القطر الطرابلسى ، الى مطلع نهضته التعليمية الان ، وان كان لابد لكل قضية جدلية من برهان ساطع قاطع يثبت صحتها ، (وما امالى اذا ما قلت معتقدى: دع الجهول يظن الحق عدوانا) فان الاحياء من ابناء جيلها ، كهولا او فى مغرب الشباب ، ومن غير الذين درسوا فى الخارج ، هم اليوم الاكثر اشغالا للمناصب الحكومية كبيرها ووسيطها ، الابرزاهمية فى التعليم

الابتدائى ، الاوضح فى الحياة الحرة كتابة بالعربية والايطالية انشاءا واملاءا (وسائل ان بليت بامر شك ، فان الشك يقلله اليقين) ونزيد الامر بيانا من هذه اللمحات التاريخية انه فى ذلك الزمن بالنسبة لمدينة طرابلس خاصة ، كان من حظ ناشئتها العربية السعيد ، التى أبى اولياؤها أن يرسلوها الى تلك المدارس الايطالية ، لظروف عاطفية او اقتصادية ، ان وجدت لها بمساعى لفيف من الوطنيين الافاضل ، مدرستان حرتان اخذتا تعلمان مبادئ المعارف الحديثة باللغة العربية ، مع اهتمامها الزائد بتدريس القراءة والدين والقواعد والنحو والتاريخ والاسلامى ، وهما مدرستا الحزب الوطنى والعرفان ، وكان اساتذتهما يلقون علومهم غالبا ، بلا أى مقابل مالى ، وجلهم من علماء وادباء

التعليم الوطنى الحر فى المدينة

فصل من احدى المدارس الابتدائية الطرابلسية

البلد ذوى المكانة المحترمة ، وما كادت الحروب الوطنية حوالى سنة ١٩٢٢ م تخمد نيرانها باستقرار الاحوال فى دواخل القطر الطرابلسى ، حتى تقوى شعور الاهالى بمصائب الجهل وعواقبه الوخيمة ، فصار اناس من الفريق الدينى يرسلون ابناءهم للازهر وراح أناس من الفريق الزمنى ، يتهافتون على المدارس العربية الايطالية بعد أن كان محجما عنها ، ثم راح الاوجه والاغنى من الفريق الزمنى ، يدخل أولاده فى صميم المدارس الايطالية ابتدائية وثانوية ، وانتهز هذه الظاهرة المباركة لفيف من الاعيان المقبولين عند الحكام الايطاليين ، ومن هؤلاء المرحومين اسماعيل كمال والشيخ أحمد الفساطوى فاسروا اليهم والى المرشال بالبو ، انه من مصلحتهم ان توجد للطرابلسيين معهدا

التهافت على التعليم

المدرسة الاسلامية العليا

ثانويا ، يجمع بين الوسيط من الثقافتين العربية والايطالية ، ورغبوهم انه من ريع الاوقاف الخاصة بسور المدينة وهي كبيرة ، وبمساعدة مالية من حكومة الولاية ، يمكن لادارة الاوقاف ان تتولى الانفاق على المعهد المقترح ، وكان غرضهم الخفي هو التحصل من الحكومة الايطالية على أموال ونظارة الوقف السورى وصرفه لمصلحة الطرابلسيين في المدينة ، ومن ناحية اخرى ليفتحوا مجال التعليم الثانوى فالعالى امام ابناء البلاد ، الذين لا يقدرون على تحصيله في الخارج فاقتنع الطليان وبذلك تكونت المدرسة الاسلامية العليا وافتتحت رسميا حوالى سنة ١٩٣٤م بحضور اعيان المدينة والمرشال بالبو وكبراء حكومته ، وأول من تولى رآستها ، هو المرحوم العالم الفاضل ، الشيخ أحمد الفساطوى ، في عمارة للاوقاف هدمت في اثناء الحرب الثانية ، وكانت تجاه الباب الغربى الجنوبى من القلعة ، ثم في سنة ١٩٣٨ شيدت لها في الظهرة مبان جديدة رائقة ، وهي التي شغلتها بعد الحرب الثانية مدرسة طرابلس الثانوية ، وعلى الرغم من قصر حياتها التي انتهت سنة ١٩٤٢ م ، فانها انجبت الخمائر الثقافية القوية للشباب الطرابلسى الحديث ،

لمحة تاريخية عنها

مناهجها

اذ كان التدريس فيها ، جامعا بين المنهج الثانوى المصرى ، وطائفة من علوم المنهج الثانوى الايطالى ، وكان التدريس في النهج الاول بالعربية وفي الثانى بالايطالية ، ثم منهج ديني قوى ، من ذلك تحفيظ نصف القرآن غيبا والنصف الاخر تلاوة ، وتدريس العبادات والمعاملات والاحوال الشخصية والميراث على مذهب الامام مالك ، انها لو بقيت على هذا للان ، لكانت في طرابلس مقاربة لصادقية تونس ، وتولى التدريس فيها من العرب اكفاء من رجالات البلد علما وجدارة وتربية ، واحدث وجود المدرسة الاسلامية في جميع البلاد وعلى الخصوص في تلك المدارس الايطالية العربية ،

تاثيرها في البلاد

الوافدون من المشرق

روحا وثابة للعلياء ونشاطا ثقافيا واى نشاط ، ولما زال الحكم الايطالى وجاء من المشرق افراد من الجالية الطرابلسية بمصر والشام وتونس ، وفريق من اشقاء العروبة ، دهشوا ان وجدوا فيها من الادباء والعلماء والكتاب والاساتذة والشباب المثقف الى حد ما والمدارس الابتدائية ، ذات اللغة العربية الواضحة جدا ، وباملاء صحيح وخط حسن وانشاء نير ، دهشوا فراحوا يكذبون انفسهم بما كانوا يسمعون عن طرابلس من الجهالة المطبقة في أقل نواحى التعليم والتثقيف ، وحسبوا من قبل انه لم يكن فيها اى مدارس تذكر سوى الكتاتيب القرآنية او ما في حكمها ، ولو علموا قبل قبل مجيئهم بما سبقت الاشارة اليه ، من المخلص التاريخى عن التعليم الحديث بطرابلس

والى أى حد تاثرت البلاد به ، لخففوا من غلواء ظنونهم الخاطئة ، ولدخلوها وهم قائلون (ان بنى عمك فيهم رماح) ومرة ثانية اذا جاز للحقائق التاريخية ، ان تزحزح من طريقها العواطف والاهواء ، لتمضى فى سبيلها المنصف ، فقد كان للاتراك أولا وللطليان آخرا ، الفضل الاكبر فيما اخذه أبناء البلاد من الاساليب التربوية وتنسيق المدارس ، ومناهج التعليم الفنى ، وأما تدريس جميع المواد فى المدارس الحكومية باللغة العربية ، واطلاق حرية الفكر فى سن المناهج المسبوقة عن زمن الاستقلال ، فهو من مزايا الادارة البريطانية كما يرجع اليها الفضل فى تكوين مدرستين ثانويتين ، أحدهما بمدينة طرابلس ، والاخرى ببلدة الزاوية الغربية ، وفى ايفاد رحلات وبعثات مدرسية للخارج ، وفى تاسيس النواة الاولى لكل من الاقسام الداخلية للمدرستين الثانويتين وتكوين مدرسة للمعلمين ، وثانوية للبنات محلها الان فى الثانوية سابقا بالظهرة ، ولنرجع

انصاف تاريخى

حوالى نظارة المعارف

الى مرور الشارع بنظارة المعارف ، التى لمناسبة ذكرها انسقنا الى أخبار التعليم الطرابلسى فى غابر الازمان وحاضره ، فانه بجانب مبناها سينماء لعرض الافلام المصرية ، ومن ورائها المصلحة العامة لتسجيل الاملاك وفى هذا المحل نفسه الادارة المختصة بتاجير المساكن ، ثم يمر بفندق الودان ، ومن بعده يمضى الى نهايته التى اشرنا اليها فى مبدأ الحديث عنه ، وبجانب الودان من الخلف شارع يقال له سيدى عيسى ،

وادارة الامن والجوازات

فحين يتجاوزوراء (الودان) نحو الشمال الشرقى تجد عند ضفته اليسرى بناءا ضخما فى منظره سطوة وحزم ، انه المركز العام للشرطة ورجالات الامن ، وجوازات السفر ، والشرطة الطرابلسية مع أن غرضها منحصر فى شئون الامن وحماية القوانين ، فانها لا تزال غالبا ، هى المظهر الوحيد للجند الوطنى ، وقد كونها البريطانيون بادئ الامر

مدرسة البوليس

فى بلدة ترهونة ، وذلك على أثر احتلالهم للبلاد مباشرة ، فافتتح لها هنالك مدرسة تدريبية صغيرة ، اخذ بها من الافراد والضباط الوطنيين ، ما دعت الضرورة العاجلة اليه ، ولما انتهت الحرب العالمية الثانية ، واحتيج الى ميئات من الشرطة وقادتها ، نقلت المدرسة الى مدينة طرابلس ، وجعلت فى احدى ضواحيها المعروفة بابى ستة المشتهر بميدان السباق للخيول وهى كائنة قريبا من البحر ، شمالى سوق الجمعة ، وهنا ازدادت العناية بتنظيمها وتثقيفها والاكثار من عدد رجالها ، حتى صارت كل من المدرسة

سيرها قدما

والشرطة موشكة ان تساير امثالها فى بلدان الشرق العربى الراقية ، وهى فيما نعلم بالنسبة للعرب أول مدرسة من نوعها فى تاريخ البلاد ، وقد تخرج منها ولا يزال

البوليس

يتخرج ، ضباط ومفتشون وعرفاء وجند مدرب ، كانوا وما برحوا للامن وشئون القضاء اليد اليمنى والحراس اليقظين ، وبرهن أغلبهم على أنه تثقف بواجباته العامة احسن تثقيف ملائم للاوضاع السابقة التى مهدت الطريق امام الاستقلال ، ودلوا على ما قام به أساتذتهم ورؤساؤهم على اختلاف اجناسهم من فضل واخلاص فى تعليمهم وتكوينهم ، والمامول ان تزداد الشرطة تحسنا ثقافيا واداريا عاما ، وأن يزداد اهتمام الحكومة بتقديرهم ماليا وان يرفع الشعب منزلتهم ادبيا ، ومن أهم

الضواحى

الموجودات الاخرى فى ضاحية ابى ستة مستشفى خاص بالامراض الصدرية وما دمنا خرجنا بالحديث من حيز المدينة الى الضواحى فان الضواحى الخضراء تحف بمدينة طرابلس كالهلال فى بدء ظهوره ، ومن أشهرها غربا بلدة قرقارش ، وتقع عن طرابلس بخمسة كيلومترات ، وهى ما بين البحر والطريق العام ، المؤدى الى زوارة فتونس ، وقد اسسها حوالى سنة ٥٧٠ هـ حاكم طرابلس قره قوش الايوبى ، الذى تحدثنا عنه هنا فى تاريخ الموحدين ، وبنى فيها قصرا عظيما سكنه باسرته ، ما برحت آثار خرائبه باقية للان ، ولذلك حملت هذه البقعة اسمه فقيل لها فيما بعد قرقارش ، ويليها

قرقارش

شرقا ضاحية سوانى قرجى والغيران ، انها اقل مساحة من قرقارش ، ومن أهم معالم هذه الضواحى الثلاث ، أنه باراضيها محاجر للبناء ، وفى ارض العزيزية على بعد عشرين

سوانى قرجى

كيلومترا جنوبا ، محاجر اخرى هائلة تملكها مصلحة الاوقاف الطرابلسية ، واخذ منها الاميريكان لمنشاتهم بالملاحة المقادير الضخمة ثم تركوها وصاروا ياخذو مطلوبهم من مكان آخر فى نفس الجهة ، كما انه يستخرج من هناك الحجر الرخامى ، وبعضه ملون يشبه النوع المسمى فى مصر (الجرانيت) ، وأما الضواحى المجاورة للمدينة مباشرة فهى كثيرة الاسماء متعددة الجهات ، من ذلك جنوبا ضاحية باب عكارة ،

محاجر العزيزية

وتقع شرقى باب قرقارش ، وبها مساكن للعمال الفقراء من غير أهل المدينة ، كانت

باب عكاره

مشيدة من أيام الطليان بهيئة أكواخ خشبية ، او من بناء تافه ذى طبقة ارضية ، ومنذ سنتين اكتسحها وادى المجنين بالسيل العرم ، فاغرقها واتلف منازلها كلها تقريبا ، وعلى أثره تسابقت الحكومة والبلدية والمحسنون ، الى نجدة سكانها بالمبرات المتنوعة ، ثم جمعوا لهم الاموال واسسوا لهم بها محل قريتهم ، منازل جديدة بناؤها متين ، وعلى أحدث طراز نموذجى لقرى العمال الفقراء ، وهذا المكان واقع جنوبى السور الجديد ، والسور الجديد بناء يمتد باطراف المدينة من غربى باب قرقارش الى شارع

السور الجديد (الكردون)

الشط ما بين أبي ستة وسيدى الشعاب ، وقد أقامه الايطاليون فى مبدأ احتلالهم سنة

تاريخه ١٩١١ م تحصينا للمدينة من غارات المجاهدين الوطنيين ، حين كان سلاح هؤلاء السيوف والخناجر والفؤوس ، وبنادق تافهة من النوع القديم المسمى (موزر)

تعدد ابوابه وجعلوا فيه فتحات للدخول والخروج ، اطلق عليها اسماء ايطالية وبقيت مستعملة للان ، ومن ذلك بورتا قرقارش وبورتا عكاره ، وبورتا بنيتو ، اى باب قرقارش وباب عكاره

احواله وباب بنيتو ، ومن غير هذه باب جامع الصقع والهانى وسوق الجمعة ، ويبلغ ارتفاع السور نحو اربعة امتار وعرضه نحو نصف المتر أو أقل ، مشيد بقوالب من الحجارة الصلبة ، وباعلاه مماش يرقى اليها الجند من سلالم محاذية للبناء ، وفى الجزء الاعلى

مظهره الحربى مسارب مكشوفة الى داخل السور المطل على جهات المدينة ، وفى الجزء الاخير من مرتفع السور ، ثقوب رأسية او افقية بمقدار ما تراه الاعين وتخرج به طلقات البنادق وهو من أكبر المظاهر الحربية التاريخية ، على جرأة اولئك المجاهدين البواسل ، فى هجماتهم الكاسحة على القوات الايطالية فى صميم المدينة ، وما كان يخشاه الطليان رغم اساطيلهم واستعداداتهم الالية ، من استيلاء الطرابلسيين على عاصمتهم بسلاح

تذكار تاريخى السيوف والخناجر وبنادق الموزر ، وبعد ان استقر الامر لهم وترقت الالات الحربية الى أوصافها وأنواعها الحاضرة ، احتفظ الطليان بهذا السور ليكون تذكارا واثرا تاريخيا ، وعسى الا يغير فكرتهم هذه أبناء الجيل الحاضر أو المستقبل ، اذ أن

شارع البك بناءه لا يزال ثابت الاركان قوى البنيان ، وكان اسمه عند الطليان (الكردون) ،وهو المشتهر به عند العموم ، ومن الضواحى الرائعة الموجودة داخل السور الجديد او الكردون ، محلة شارع البك وتقع الى الجنوب من ضريح سيدى ابى مشماشة ، المتحدث عنه لمناسبة شارع عمرو بن العاص ، ومن اشهر معالم هذه الضاحية ، بئر أبى مليانه الارتوازى المقام فى سوانى بن رقة ، وقد تكلمنا عنه سابقا فى موضوع الحنايا ،

المنشية(سكرة) ثم حدائق المنشية (سكرة) وكان لفظ المنشية يتناول تاريخيا جميع الضواحى المحيطة بالمدينة ، والطريق الى سكرة يعرف محليا بشارع ابن عاشور ، ويبتدئ أوله من شرقى وغربى قصر الخلد ، وكانت ضاحية المنشية (سكرة) ، من زمن الاتراك الى ما قبيل الحرب العالمية الثانية ، من ارقى ضواحى المدينة عمرانا وفلاحة ووجاهة سكان ، وكان

ماضيها الزاهر من لا يملك بستانا ومنزل اصطياف فى سكرة ، ودارا كبيرة لسكنه فى المدينة ، ومتجرا قيما فى سوق الرباع ، لا يعتبر فى عرف ابناء البلد من الاعيان (المقومين) حتى ولو

حاز من غير ذلك الاموال الطائلة والاراضى الواسعة ، ولا غرو فقد قيل خاطب الناس بما عرفوه ، ولا تكن منكرا لما الفوه ، ولذلك رأينا اكثر بساتينها على الرغم من تغير الملاك عليها فى مدة نصف قرن ، فما برحت مشتهرة باصحابها السابقين ، ومن هذه مثلا سانية الباشا ، ويريدون به حسونة القرمالى ، وسوانى ابن رحال والفقيه حسن وزميت وقنابه وابن لطيف وابراهيم باقى والخوجة ، ولكن سكرة اليوم قد ذهب عزها مع أولئك الاماثل ، وتمتاز حدائقها ماضيا وحاضرا ، بالاثمار الفائقة والخضروات الوافرة والفواكه المتنوعة ، وعلى الخصوص منها البرتقال والموز ، ويلى سكرة شمالا ضواحى الهانى وفشلوم وشارع الشط والنوفليين ، وأما الضواحى التى هى خارج السور الجديد (الكردون) فهى فسيحة الارجاء متعددة الاسماء ، وفى مقدمتها شهرة ، تلك الضواحى الواقعة على اطراف الطريق العام المؤدى الى الخمس وما بعدها ، ومن أهمها عمرانا وحدائق وسكانا ، المنشير والمهضبة الخضراء وسيدى المصرى وهنا توجد مدرسة أو كلية المعلمين والفرناجى والجديدة ، وفى الجديدة المركز العام للسجون الطرابلسية ، ويلى مجموعة هذه الضواحى شمالا الى شاطئ البحر ، قرى وبساتين سوق الجمعة ، وتشتهر هذه المنطقة بالساحل ، وأحيانا يقال لها ساحل طرابلس ، تمييزا بينها وبين ساحل آل حامد الواقع ما بين زيلتن والخمس ، وهذه الضواحى جمعاء ، من قرقارش الى سوق الجمعة ، ولا سيما منها الكائنة داخل السور الجديد والمجاورة لخارجه ، اينما سرت فى أنحائها لا ترى فيها الا الخمائل الظليلة والاشجار الباسقة ، والازهار الباسمة ، والاثمار اليانعة ، والخضروات النامية والمياه الجارية ، ولقد زاد العهد الايطالى فى اتساع رقعتها ومحاسن بهجتها ، بما امتد ورائها من المزارع ، وتكاثر فيها من المغروسات الشتى ، وكان العامل الموثر فى هذا التطور الاخير وفى تزايد محصولات تلك الضواحى كلها ، هو استخراج الفلاحين للماء ، بالمحركات الالية المستمدة قوتها من التيار الكهربائى العام ، حتى صارت اليوم رياضا غناء ، تحتضن مالا يحصى من القصور الانيقة والمنازل اللطيفة ، وراحت فيها الطرقات المعبدة ، والمسارب المهدة ، تنساب فى جوانبها من أية جهة ، ملتوية كالثعبان ، او مستقيمة كالخيزران ، ومن أروع طرقها العامة منظرا ، ذلك الطريق الكائن ما بين المدينة وسيدى المصرى ، ومن أمثاله كثير ، انه طريق لا نجد ما نصفه به غير اقتباسنا لمعانى ذلك الشعر الاندلسى الفريد ، طريق يصد الشمس عنك انى واجهتك ،

حاضرها

ضواحى متعددة

كلها مورقة مثمرة

مظاهر عمرانها

الطريق

فيحجبها ويأذن للنسيم ، وأما اشجاره الوارفة فهى تحنو عليك حنو المرضعات على الفطيم ، ان ضواحى المنشية الطرابلسية قد جعلت من غير شك ضواحى ريانة التونسية ، اكسف بالا وأقل جمالا وما كانت تلك الضواحى تدرى ان لهما فى مدينة طرابلس اخوات حسان ،معطرات بالريحان ، منضرات المحيا ساحرات الرؤيا ، ولكى لا تحسب ان اطراءنا للمنشية وما حولها فيه مبالغة ، نقدم اليك ما قاله عنها منذ مائتين وسبع وخمسين سنة، واحد من ابناء مدينة طرابلس العظام ، هو العلامة الكبير سيدى الشيخ أحمد البهلول قاله حينما كان بمصر يطلب العلم بالازهر من قصيدة وصفية رائعة ، وهى تفيض بالحنين الى وطنه العزيز ، وتشعرك ان جمال هذه الضواحى وحسن خمائلها ، لم يكونا وليدى سنين قريبة ، فمما قاله فيها العلامة البهلول وقد تخيرنا منها بعد المطلع الابيات الاتية(١):

منافسة لضواحى ريانة

القصيدة البهلولية

طرابلس الغـرء ! تـرا لى عـودة .·. اليك وهل يدنو الذى كان قدذهب
بـديـعـة حسن زادها الله بهجة .·. وآمن أهاليها من الخوف والشغب
بـلاد لهـا بالخد آية شبـهـة .·. فمنهـا نبات الزعفران كذا العنب
وفيها نخيل باسقات اذا الصبا .·. تهب عليها اسقطت يانع الرطب
وفيها من الاشجار ما جل وصفه .·. باوراقها الورقاء غنت من الطرب
فيا حبذا ثغر له النصر خادم .·. ويا حبذا عين بها الماء قد عذب
لقد أعجزت أوصافها كل معرب .·. وكل الذى املى وكل الذى كتب
ولكن قصارى مطنب القول انها .·. تفوق بلاد الغرب طرا ولا عجب
فان من الايمان والنص شاهد .·. محبتك الاوطان عن سيد العرب
وكيف بدار قد حوت كل رفعة .·. بقوم لهم فى العلم باع وفى الادب

ختم الكتاب

وبذلك نختتم هذا الكتاب ، الذى على مؤلفه اخطاؤه وسيئاته ، وللبلدين مفاخره وحسناته مع اعتذارى لسادتى التونسة ، لتطفلى على مائدة فضلهم وعلمهم تطفل الرجل الغريب ، على رب الدار النسيب ، والعذر عند كرام الناس مقبول ، كما انى بمزيد الشكر والامتنان ساتلقى اى نقد عليم أو تصحيح قويم يوجهان الى فيما يتعلق بمعلومات هذا الكتاب ، والحمد لله على ما اعطى واهدى .

تم بفضل الله وتوفيقه آخر مراجعة من كتابة تاليفه صباح يوم الاثنين الواقع فى ٩ جمادى الثانية ١٣٧٢ ، الموافق ٢٣ فبراير سنة ١٩٥٣ .

(١) - راجعها كاملة فى تاريخ النائب المشهور باسم المنهل العذب صفحة (٩)

455
71 465X N 92 1

كأنك معي

في طرابلس وتونس

ينبئك

عن احوالهما العامة اسلوبا وصورا وتنسيقا

كأنه الشريط السينمائي الدقيق الرائع

بقلم الأستاذ

محمد بن مسعود

بمدرسة طرابلس الثانوية ومؤلف

تاريخ ليبيا العام

حقوق الطبع والترجمة والنقل والاقتباس محفوظة للمؤلف

١٣٧٢ هـ مدينة طرابلس الغرب (مطبعة ساجي) ١٩٥٣

Date Due

Demco 38-297

NYU - BOBST
31142 02840 7834
DT239.T7 I3
Ka-annaka mai ti Tarabulus wa-